الهجرة النبوية
واليهود في الجزيرة العربية

لسماحة الاستاذ الشيخ ابراهيم القطان
(عضو المجمع)

١ـ جاء الاسلام فوجد امما قوية مختلفة قد ترابطت فيما بينها على الحياة والفتح ، وتسخير الناس بالظلم والطغيان والجبروت ، وكانت على عقائد خرافية تتفانى في الذّب عنها . فأتى بدين قويم ، فيه ارقى ما يمكن تصوره من روابط الاجتماع القائمة على احكم الأصول الأدبية .

والعالم كله يعلم أن العرب كانوا على عهد النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قبائل متفرقة ، واوزاعا متنافرة ، لا يوحد كلمتهم دين ولا تضمهم جامعة . وكانت بينهم حروب متوارثة ، وإحن وَتَرات قائمة على اعتبارات جاهلية ، يعتبرون هذا كله من مفاخرهم ، لم يقم فيهم من يدعوهم لتوحيد كلمتهم ، وتعيين غايتهم ، ولم يكونوا قادرين على النظر او التفكير في تغيير ما هم فيه من الجمود على عقائد باطلة ، وتقاليد ضارة .

فلما أُرسل محمد ، صلى الله عليه وسلم ، الى العالم بالهدى ودين الحق ، أنكروه غاية الانكار ، وثاروا عليه ثورة عارمة ؛ فرموا الرسول الكريم بالافتراء والاختلاق ، وبالسحر وقول الشعر ، ورموه بالجنون . وقد حكى الله بعض ما واجهوا به الدعوة الاسلامية فقال تعالى : « وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُم مُنْذِرٌ مِنْهُم ، وَقَالَ

الكافِرُونَ هٰـذَا سَاحِرٌ كَذَّاب ، أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلٰهاً واحِداً ، إِنَّ هٰـذَا لَشَيْءٌ عُجَاب . وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُم أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا على آلِهَتِكُم إِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ يُـرَادُ ، ما سَمِعْنَا بِهٰذَا فِي الْمِلَّـةِ الْآخِرَةِ ، إِنْ هٰذَا إِلاَّ اخْتِـلاق » (١) .

وقال تعالى : « وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُم إِنْ هٰذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِين ، وما آتَيْنَاهُم مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَها ، ومـا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِم قَبْلَكَ مِـنْ نَذِير » (٢) .

ومكث الرسول الكريم في هذه البيئة المستعصية ، يحاول ان يهديهم بالقرآن الكريم ، تارة يرغبهم ، ويرهبهم تارة اخرى . ويعدهم ويوعدهم ، ويضرب لهـم الامثال ، ويدعوهم للنظر والاعتبار ، فلم يزدادوا إلاّ عتوّاً واستكباراً وعناداً ، ونفوراً مـن الحق وإنكاراً . وقد مكث فيهم ثلاث عشرة سنة لم يترك خلالها وسيلة الا اتّبعها ، وهم مصرّون علـى العناد ، يؤذونه شر ايذاء ويؤذون اصحابه ، ويعذّبون المستضعفين منهـم اشد العذاب ؛ فصبر على ذلك كله ، وهو يدعو لهم ويقول : « اللهم اهدِ قومي فانهم لا يعلمون » . ثم امر اصحابه بالهجرة ، فهاجر بعضهم الى الحبشة .

ولما لم يجد من قومه استجابة ، عرض نفسه على قبائل العرب التي كانت تحج الى مكة ، فلم يستجيبوا له ، ولم يأبهوا لدعوته .

وفي موسم مـن مواسم الحج قابـل بعضا من رجال الأوس والخزرج من سكان يثرب ، فقبلوا دعوته ، ووعدوه بعرض امره

---

(١) سورة (ص) ، الآيات ٤ ــ ٧ .

(٢) سورة سبأ ، الآية ٤٣ ، ٤٤ .

على قومهم ، وقد كان اليهود بيثرب يقولون لهـم اذا اختلفوا معهم : ان نبيا مبعوثا الآن قد أطل زمانه ، نتبعـه فنقتلكم معه . فلما كلم النبي ، عليـه الصّلاة والسلام ، أولئك النفر ودعاهم الى اللـه ، نظر بعضهم الى بعض وقالـوا : والله انه للنبي الذي تواعدكم به يهود ، فـلا يسبقنّكم اليه .

وعاد هؤلاء النفر الى المدينة ، ومن بينهم اثنان من بني النجار ، من أخوال عبـد المطلب ، فذكروا لقومهم اسلامهم ، فألّفوا قلوبا منشرحة ، ونفوسا متلهفة لدين يجعلهم موحّدين كاليهود ، بل يجعلهم خيرا منهم ؛ فلم تبق دار من دور الأوس والخزرج جميعا الا فيها ذكر محمد ، عليـه الصلاة والسلام .

فلما استدار العام ، وعادت الأشهر الحُرُم ، وعاد الحج لمكة ، أتى الموسم اثنا عشر رجلا من أهل يثرب ، فالتقوا بالنبي ، صلى الله عليه وسلم ، بالعقبة في منى ، فبايعوه بيعة العقبة الأولى .

وبعث النبي الكريم معهم مصعب بـن عمير يقرئهم القرآن ، ويعلّمهم الاسلام ، ويفقههم في الدين، فازداد الاسلام انتشارا . واقام مصعب بين المسلمين من الأوس والخزرج يعلّمهم دينهم . ولما كان الموسم للحج ، حج عدد كبـير من أهل يثرب ، وكان مـن بينهم خمسة وسبعون مسلما : ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان . والتقوا مع الرسول الكريم عند العقبة ، وكان معه عمـه العباس بن عبد المطلب ، فبايعوا النبي على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم .

٢ ــ وبعد هـذه البيعة أمر الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، اصحابه أن يهاجروا الى المدينة . وبدأ المسلمون يهاجرون فرادى أو نفرا

قليلا حتى لا يثيروا ثائرة قريش عليهم . وحاول رجال من قريش ان يردوا من استطاعوا رده من المهاجرين الى مكة ، ليفتنوه عن دينه ، او ليعذبوه وينكلوا به . وتتابعت مع كل هذا هجرة المسلمين الى يثرب ، والنبي ، عليه الصلاة والسلام ، مقيم ، ولا يعرف أحد هل اعتزم الاقامة أم قرر الهجرة . وبعد ذلك هاجر الى المدينة هو وابو بكر ، ووصلا الى المدينة بعد رحلة مضنية ، حفّتها اخطار كثيرة ، وكان الاسلام قد انتشر في المدينة .

وصل النبي الكريم ، عليه الصلاة والسلام ، الى المدينة يوم الجمعة ، فصلّاها بالمدينة . واقبل عليه المسلمون بيثرب ، وكل يحاول ان يراه وان يقترب منه ، وان يملأ عينيه من هذا الرجل الذي آمن به ولم يره من قبل ، والذي امتلأت مع ذلك نفسه بحبّه والايمان برسالته . وركب ناقته والقى لها خطامها ، فانطلقت في طرق يثرب ، والمسلمون من حولها في حفل حافل يُخلون لها طريقها ، وسائر اهل يثرب من اليهود والمشركين ينظرون الى هذه الحياة الجديدة التي دَبَّت في مدينتهم ، والى هذا القادم العظيم الذي اجتمع عليه من الأوس والخزرج ، الذين كانوا من قبل اعداء متقاتلين ، ولا يجول بخاطر احدهم ما أعدَّ القدر لمدينتهم من جلال وعظمة يبقيان على الزمن .

واول شيء عمله النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في المدينة هو بناء مسجده ومسكنه الى جوار المسجد ؛ وكان المسجد هو مكان العبادة ، وهو المدرسة ؛ يجتمع فيه المسلمون لتلقي تعاليم الاسلام ، والتفقه في الدين ، وهو النادي يجتمعون فيه ، ويتباحثون في ما يواجههم من حوادث وامور هامة .

٣ ــ وبدأ النبي بتأسيس الدولة الجديدة ، وكان أول عمل بدأ به هو المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ؛ فكان بعض الانصار يقاسم أخاه من المهاجرين ماله ، وبعضهم يقدّم ما يستطيع من المعونة لأخيه المهاجري . وهكذا تكونت أخوّة بينهم لم يوجد لها مثيل في تاريخ البشرية .

وكانت مهمة الرسول الكريم شاقة وصعبة ؛ فقد كان في المدينة ثلاث فئات من السكان هم : المسلمون من المهاجرين ، والانصار من الاوس والخزرج ، واليهود ، وهم قبائل مختلفة ، ولهم نفوذ كبير ووزن في السياسة والاقتصاد والقتال ، فكان لا بد من تجنب شرهم ، وكسب صداقتهم لمواجهة ما يتوقعه الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، من عدوان قريش ومن يحالفهم من العرب الذين لم يدخلوا الاسلام . والفئة الثالثة لم تحدد موقفها ، فهم في الظاهر مسلمون ، ولكنهم كاذبون منافقون ، يظهرون خلاف ما يُسِرّون . وقد بيّن القرآن الكريم هذه الفئات الثلاث في أول سورة البقرة ، بقوله تعالى : « الٓمٓ ، ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ، وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ، وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ، وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ، وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ؛ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ». هذه الفئة الاولى وهم المسلمون .

« إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ، لَا يُؤْمِنُونَ ؛ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ، وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ». وهذه هي الفئة الثانية وهم اليهود .

« وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ؛ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا

يَشْعُرُونَ ؛ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ، فَزَادَهُمُ اللَّـهُ مَرَضًا ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ؛ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ : لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ ، قَالُوا : إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ، أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ المُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ ، وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ : آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ ، قَالُوا : أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ؟ أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لا يَعْلَمُونَ ؛ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا ؛ وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ ، إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ؛ اللَّـهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ؛ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالهُدَىٰ ، فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ؛ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّـهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ ؛ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ ؛ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ؛ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ المَوْتِ ، وَاللَّـهُ مُحِيطٌ بِالكَافِرِينَ . يَكَادُ البَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ، كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ ، وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ؛ وَلَوْ شَاءَ اللَّـهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ، إِنَّ اللَّـهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » . وهذه هي الفئة الثالثة وهم المنافقون ، وشياطينهم اليهود .

وقد وصف الله تعالى المؤمنين في اربع آيات ، والكافرين من اليهود في آيتين ، ووصف المنافقين في ثلاث عشرة آية .

٤ ــ فكان على الرسول الكريم ان يُنَظِّم العلاقات بين المسلمين واليهود ، فعقد اول معاهدة دولية بين اليهود والمسلمين ؛ وهي من انفس العقود الدولية وامتعها واحقّها بالنظر والتقدير من الناس كافة ، وأَوْلاها بأن تكون نبراسا للمسلمين في أصول العلاقات الدولية بينهم وبين مخالفيهم من اهل الأديان الاخرى . وكان في عقدها ابتداء الدولة

الاسلامية ، وابتداءُ الاعتراف بالمسلمين دولةً مستقلةً لها كيانها واصولهـــا .

وهذه الوثيقة هي عقد حُسْنِ جوار وتحالفٍ دفاعي ، وتعاونٍ ضد العدوان ؛ يتكافل الموقعون عليهـــا على نصرة بعضهم بعضا ، وحماية عقائدهم ممن يريد اوطانهم او جماعتهم بسوء ؛ وهـــم بذلك يكفلون حرية العقيدة،وحرية الدعوة لأعضاء الميثاق علـــى تباين معتقداتهم . وهذا هـــو الميثاق العظيم :

بســـم اللـــه الرحمٰـــن الرحيـــم

١ ــ هذا كتـــاب من محمد النبي « رسول اللـــه » بين المؤمنين والمسلمين من قريش ، واهل يثرب ومـــن تبعهم فلحق بهم وجاهـــد معهـــم .

٢ ــ انهم امـــة واحدة من دون الناس .

٣ ــ المهاجرون من قريش على رَبْعَتهم « أمرهم الذي كانوا عليه » يتعاقلون بينهم ، وهم يفـــدون عانيهم (أسيرهم) بالمعروف والقسط بيـــن المؤمنين .

٤ ــ وبنو عوف على رَبْعَتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٥ ــ وبنو الحارث مـــن الخزرج على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفـــدي عانيها بالمعروف والقسط بيـــن المؤمنيـــن .

٦ ــ وبنو ساعدة على رَبْعَتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٧ ــ وبنو جُشَم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٨ ــ وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٩ ــ وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

١٠ــ وبنو النَّبِيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

١١ــ وبنو الأوس على ربعتهم الأولى يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

١٢ــ وأن المؤمنين لا يتركون مُفْرَحا (وهو من اثقله الدين) ان يعطوه بالمعروف في فداء او عقل ، وان لا يخالف مؤمن مولى مؤمن دونه .

١٣ــ وأن المؤمنين المتّقين ايديهم على كل من بغى منهم او ابتغى دَسِيعة ظلم (طلب دفعا على سبيل الظلم ، او ابتغى عطية على سبيل الظلم) او اثماً او عدوانــاً او فساداً بين المؤمنين ، وأن ايديهم عليه جميعا ولــو كان وَلَدَ احدِهم .

١٤ــ ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر ، ولا ينصر كافراً على مؤمن .

١٥ــ وأن ذمة اللــه واحدة ، يجير عليهم أدناهم ، وأن المؤمنين بعضهم اولياء بعض دون الناس .

١٦ــ وأنه من تبعنا من يهود ، فان له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصــر عليهم .

١٧ــ وأن سلم المؤمنين واحدة ؛ لا يسالم مؤمن دون مؤمــن في قتال في سبيل الله الا على سواء وعدل بينهم .

١٨ــ وأن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا . « يعني يكون الغزو بينهم مناوبة،يعقب بعضهم بعضا فيه » .

١٩ــ وأن المؤمنين يبيءُ بعضُهم عن بعض بما نال دماءهم في سبيل الله . ــ باء فلان بفلان : قتل به ــ (يعني أن المؤمنين بعضهم اولياء بعض فيما ينال دماءهم) .

٢٠ــ وأن المؤمنين المتقين على أحسن هدى واقومه ؛ وانه لا يجير مشرك مالاً لقريش ولا نفساً ، ولا يحول دونه على مؤمن .

٢١ــ وأنه من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينــة فانه قَوَدٌ به ، إلاّ ان يرضى وليّ المقتول بالعقل ؛ وان المؤمنين عليه كافــة ، لا يحل لهم الا قيام عليه .

(اعتبطه : قتله بــلا جناية او جريرة توجــب قتله . قَوَد بــه : فان القاتــل يقتل به) .

٢٢ــ وأنه لا يحلّ لمؤمن أَقَرَّ بما في هذه الصحيفة ، وآمن باللــه واليوم الآخر ، أن ينصر محدثا او يؤويه ؛ وأنه من نصره او آواه فان عليه لعنــة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخــذ منه صــرف ولا عــدل .

(المحدث هنا : الجاني ، المجرم . لا يقبل منه صرف ولا عدل : والصرف : التوبة . والعدل : الفدية) .

٢٣ــ وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء ، فان مَرَدّه الى الله والى محمد .

٢٤ــ وأن اليهود يُنْفِقُون مع المؤمنين ما داموا محاربين .

٢٥ــ وأن يهود بني عوف امة مع المؤمنين ؛ لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ،مواليهم وانفسهم ، الا من ظلم او اثم فانه لا يُوتِغُ الا نفسه واهل بيته .

(يُوتِغ : يهلك ويفسد) .

٢٦ــ وأن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف .

٢٧ــ وأن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف .

٢٨ــ وأن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف .

٢٩ــ وأن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف .

٣٠ــ وأن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣١ــ وأن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف ، إلاّ من ظلم واثم فانه لا يوتغ الا نفسه واهل بيته .

٣٢ــ وأن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم .

٣٣ــ وان لبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف ؛ وأنّ البرّ دون الاثم.

٣٤ــ وان موالي ثعلبة كأنفسهم .

٣٥ــ وان بطانة يهود كأنفسهم . (بطانة الرجل : اهله وخاصته) .

٣٦ــ وانه لا يخرج منهم احد الا باذن محمد ؛ وانه لا يَتحجَّر على ثأر جرح ؛ وانه من فتك فبنفسه وأهل بيته ، الا من ظلم ، وان الله على ابر هذا . (لا يتحجر : لا يلتئم جرح على ثأر) .

٣٧ــ وأن على اليهود نفقتهم ، وعلى المسلمين نفقتهم ؛ وان بينهم النصر على من حارب اهل هــذه الصحيفة ؛ وان بينهم النصح والنصيحة والبر دون الاثم ؛ وانه لا يأثم امرؤ بحليفــه ؛ وان النصــر للمظلــوم .

٣٨ــ وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين .

٣٩ــ وأن يثرب حرام جوفها لاهل هذه الصحيفة .

٤٠ــ وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم .

٤١ــ وأنه لا تجار حرمة الا باذن اهلها .

٤٢ــ وأنه ما كان بين اهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده ، فان مرده الى اللــه والى محمد رسول الله ؛ وأن الله على أتقى ما في هــذه الصحيفة وابره .

٤٣ــ وأنه لا تجــار قريش ولا من نصرها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٤٤ــ وأن بينهم النصر على من دهم يثرب .

٤٥ــ واذا دعوا الى صلح يصالحونه ويلبسونه فانهم يصالحونه ويلبسونه ؛ وأنهم اذا دعوا الى مثل ذلــك فانه لهم علــى المؤمنيــن ، الا مــن حارب في الديــن ، على كــل اناس حصتهم مــن جانبهم الذي قبلهم .

٤٦ــ وأن يهود الأوس مواليهم وانفسهم علــى مثل ما لاهل هذه الصحيفة ، مع البر المحض من اهل هذه الصحيفة ؛ وأن البر دون الاثم ، لا يكسب كاسب إلاّ على نفسه ؛ وأن اللــه على اصدق ما في هذه الصحيفة وابره .

٤٧ــ وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم ؛ وأنه مـن خرج آمن ، ومن قعد آمن بالمدينة ، إلاّ من ظلـم وأثم ؛ وأن الله جار لمن برّ واتقى ، ومحمد رسول الله . » « الرسالة الخالدة ، نقلا عن كتاب الوثائق السياسية في العهـد النبوي والخلافة الراشدة » للدكتور محمد حميد الله الحيدر أبادي ، استاذ الحقوق الدولية بجامعة حيدر اباد دكن) .

٥ ــ هذه هي الوثيقة السياسية التي وضعها النبي الكريم ، صلى الله عليه وسلم ، منذ ألف وأربعمائة سنة ، والتي تقرر حرية العقيدة ، وحرية الراي ، وحرمة المدينـة ، وحرمة الحياة ، وحرمة المال ، وتحريم الجريمة . وهي فتح جديـد في الحياة السياسية والحياة المدنية في عالم يومئذ ؛ ذلك العالم الذي كانت تعبث به يد الاستبداد ، وتعيث فيه يـد الظلم فسادا . ولئن لم يشترك في توقيع هذه الوثيقة من اليهود بنو قريظة وبنو النضير وبنو قينقاع ، فانهم ما لبثـوا بعد قليل أن وقّعوا بينهم وبيـن النبي ، عليه الصلاة والسلام ، صحفا مثلهـــا .

فقد قال ابن هشام في السيرة : ان يهود بني قينقاع كانـوا أول من نقض العهد مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، « جزء ٣ ص ٤٧ » . وأيد ذلك ابـن سعد في طبقاته « جزء ٣ ص ٦٨ » والمقريزي في امتاع الأسماع ، والطبري في الجزء الثالث من تفسيره . وأصبحت المدينة ومـا وراءها حرما آمنا لأهلها ، عليهم أن ينضحوا عنها ويدفعوا كـل عادية عليها ، وان يتكافلوا فيما بينهم لاحترام ما قررت هذه الوثيقة فيها من الحقوق ومن صور الحرية . « حياة محمـد لهيكـل » .

وفي هذا الميثاق وضع اساس الدولة الاسلامية ، واصبح المؤمنون رعايا هـذه الدولة علـى اختلاف اجناسهم وعصبياتهم ، اسيادا وموالي ، امة واحدة دون الناس .

هذه الامة تتعاقد في هذه الصحيفة مع امم اخرى من ديانات اخرى ، فينشأ في اول تعاقد لها ميثاق « لجمعية امم » ، اساسه النصر للمظلوم ، والنصـح والنصيحة ، والبر دون الاثم ، وحرمة الاوطان المشتركة ، وحرمة من يدخل في الميثاق ويقبل جواره ؛ على ان تصان عقائد المتعاقدين وشعائرهم وحريتهم في الدعوة لدينهم ، مهما تباينت هـذه الاديان . ولقد سبق الاسلام بهذا الميثاق عهد « هيئة الامم » الحديثة بأربعة عشر قرنا .

« الرسالة الخالدة » :

فقد ضمنت هـذه المعاهدة لليهود فتح باب الاسلام لمن يرغب منهم فيه ؛ كذلك نصت على كفالة الحرية الدينية لهم ، كما نصّت عدة بنود اخرى على ان القبائل اليهوديـة تُعَدّ هي وبطونها امة من المؤمنين . وكذلك نص البند الرابع والعشرون على وجوب اشتراك اليهود في دفع ما عليهم من نفقات في حالة الحرب ؛ وحَرَّم نص اخر على المتعاقدين من مسلمين ويهود مناصرة قريش ، وايواء احد منهم ، وقرر البند الثاني والاربعون رغبة المسلمين في التعاون الصادق مع اليهود من اجل اشاعة الأمن والطمأنينة في المدينة ، والضرب على ايدي مدبري الفتن . وان اي خلاف ينشأ يُرَدّ الى الرسول الكريم ، صلى الله عليه وسلم ، للبتّ فيه ؛ وقرر البند السابع والاربعون ، وهو الأخـير : ان من ارتكب اثما يوجـب العقوبة عوقب ، وان اشتراكه في هذه الصحيفة لا يعفيه من العقوبة.« اليهود فـي شبه الجزيـرة ، بتصـرف » .

وقد حققت هذه الوثيقة كثيرا مـــن المكاسب لجميع المتعاقدين ؛ فقد وحّدت المدينة تحـــت قيادة الرسول الكريم ، عليـــه الصلاة والسلام ، وقوّت صفوف المسلمين أمام عدوهم قريش ، في الوقت الذي أمِنوا فيـــه جانب اليهود .

٦ ــ بعد تلك المعاهدة سكن المسلمون الى دينهم ، وجعلوا يقيمون فرائض دينهم مجتمعين وفرادى ، لا يخافون اذى ولا يخشون فتنة ؛ وصار اهل يثرب جميعا يسمعون منذ الفجر من كل يوم دعوة الاسلام ، مرتلة ترتيلا حسنا بصوت بـــلال الجميل ، وهكذا انقلبت مخاوف المسلمين امنا ، واصبحت يثرب مدينـــة الرسول الكريم ؛ وَقَوِيَ الاسلام ، واصبح المسلمون يستمتعون من حرية العقيدة بما قرر الاسلام ، من ان ليس لانسان على انسان سيادة ، ولا فضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى ، وأن الدين للـــه وحده ، والعبودية له وحده ؛ والناس امام اللـــه سواسية ، لا يجزون الا بأعمالهم ، « وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَـــا سَعَى » (النجم ٣٩) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وانفسح المجال امام النبي الكريم ليعلن دينه القويم ، وليكون بتصرفاته واخلاقه المثل الاعلـــى ؛ وبذلك وضع حجـــر الاساس للحضارة الاسلامية ؛ وحجر الاساس هذا هـــو الاخاء الانساني : إخاء يجعل المرء لا يكمـــل ايمانه حتى يحـــب لأخيه ما يحب لنفسه ، وحتى يصل بـــه هذا الاخاء الـــى غاية البر والرحمـــة من غير ضعـــف ولا استكانـــة .

وهكذا تركت تعاليم الاسلام وخلق النبي الكريم في النفوس اعمق الأثر ، وأقبل الناس افواجا على الاسلام ، وازداد المسلمون في المدينة قوة ، وهنالك بـــدا اليهود يفكرون مـــن جديد في موقفهم

من هذا النبي واصحابه ، وبدات الحـرب الباردة . ودعا الرسول الكريم اليهـود فيمن دعا الى الاسلام ، وخصهم القرآن بقسط كبير من الآيات لانهم اهـل كتاب ، وهم يعلمون من كتبهم صدق رسالته ، وكانوا يعتقدون بظهور نبي منتظر من بني اسرائيل ، وكانوا ينتظرون مجيئه ويسألون اللـه ان يفتح عليهم بهـذا النبي الذي وُعـدوا به على لسان الرسل ، حتى يتبعوه ويقاتلـوا العرب الوثنيين معه ، ويستعيدوا ملك بني اسرائيل في الارض ؛ وكانـوا يقولون للعرب بصراحة : ان اللـه سيبعث النبي المنتظر فيكونون أول من يتبعه ، ثم يقاتلون العرب معـه ، فيكون لهم بسببه النصـر والغلب . ولما لم يأت هـذا النبي من بني اسرائيل ، بـل جاء من العرب أولاد اسماعيل ، عليـه السلام ، حسدوهم ؛ فكفر بـه عامة اليهود ، وآمن منهم نفر قليل بهذا الديـن الجديد ؛ وهذا ما وضحـه القرآن الكريم بقوله تعالى : « وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّـهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ ، وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ، فَلَمَّـا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ؛ فَلَعْنَةُ اللَّـهِ عَلَى الْكَافِرِينَ » البقرة ٨٩ .

وقوله تعالـى : « الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ، يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ؛ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ » البقرة ١٤٦ .

لقد عقـد اليهود مع النبي عهدا ، وكانوا يطمعون في ان يضمّوه الى صفوفهم ، وان يزدادوا بـه منعة وقوة ؛ ودعاهم النبي الى الاسلام فاستكبروا ؛ وجاملهم ، وكان يزورهم في « مدارسهم » (١) ويجادلونه ، واعرضوا عن دعوته ، ونصبوا لـه العداء ، وانطلقوا بمكرهم يُكذّبونه ، ويؤلبون عليـه العرب ، ولا يدعون سبيلا من

---

(١) مدارسهم : مكان دراستهم وتعليمهم التوراة .

سبل الكيد لـــه ولرسالته الا سلكوه ؛ مع أن الرسول الكريم أمّنهم في عهـــده على حريتهم الدينيـــة ، وطقوسهم ومعابدهم ومدارسهم واموالهم وحقوقهـــم ، وابقاهم علـــى محالفاتهم مـــع بطون الاوس والخزرج ، واوجـــب لهم النصرة والحماية ، مشترطـــا عليهم أن لا يغدروا ، ولا يتجسسوا ، ولا يعينوا عـــدوا ، ولا يمدوا يـــدا بأذى . لكنهم مـــا لبثوا ان تطـــيّروا بقدوم هذا النبي العربـــي ، وغلى الحسد والحقد في قلوبهم ، واخذوا ينظرون اليـــه بعيون متوجسة حانقة ، تخشى رسوخ قدمـــه ، وانتشار دعوته ، واجتماع شمل الأوس والخزرج تحت لوائه بعد ذلك العـــداء الدموي الطويل الذي كـــان بينهم ؛ وكـــان اليهود يستغلونه ويفيدون منـــه ، ويحقّقون لانفسهم كثـــيرا من المصالح والمنافـــع والامتيازات التي كانـــوا يتمتعون بهـــا ، ويجنون ثمراتها ، وفـــي مقدمتها المصالح الاقتصادية ؛ فقد كان لليهود فـــي الحجاز أفضل مـــزارع النخيل التي كانت أهـــم الثروات المستقرة يومئـــذ في المنطقة ، وكانـــوا يعاملون الناس بالربـــا ، ويستعبدونهم ويمتصون دماءهم • « **مكايد يهودية عبـــر التاريخ** » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تحدثتا صفية بنـــت حُيَيّ بن اخطـــب ، زوجـــة الرسول الكريم ، وكـــان ابوهـــا من اكبر احبار يهود بني النضير ، تقـــول : كنت أُحَبّ وَلَد ابـــي اليه والى عمي ابي ياسر ، لـــم أَلْقَهما قَط مع ولد لهما الا اخذاني دونـــه . فلما قَدِم رسول اللـــه ، صلى الله عليه وسلم ، المدينـــة ، ونزل بقبـــاء في بني عمرو بـــن عوف ، ذهب اليـــه ابي وعمي في الصباح الباكـــر ، ولم يرجعا حتى كان مـــع غروب الشمس ، فأتيا كالّيـــن كسلانين ساقطيـــن يمشيان الهوينى مـــن التعب .

قالت وسمعت عمي ابا ياسر وهو يقول لأبي حيي بن اخطب : اهو هو ؟ قال : نعم والله ، قال : اتعرفه وتثبته ؟ قال : نعم . قال : فما في نفسك منه ؟ قال : عداوته والله ما بقيت . هذا الخبر رواه معظم كتب الحديث ؛ وفي سيرة ابن هشام قال ابن اسحاق : وكان حيي بن اخطب واخوه ابو ياسر بن اخطب من اشد يهود العرب حسدا للرسول الكريم ، وكانا جاهدين في ردّ الناس عن الاسلام بما استطاعا . فأنزل الله تعالى فيهما قوله : « وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً ، حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ الحَقُّ ؛ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ ». البقرة ١٠٩ .

وهذا عبد الله بن سلام ، كان حبرا عالما من كبار احبار اليهود وعلمائهم ، روى قصته البخاري ومسلم ، والامام احمد في مسنده ، وابن هشام في سيرته ، وكثير من المحدثين ، وخلاصتها : لما سمعت برسول الله ، عرفت صفته واسمه وزمانه الذي كنا نترقبه ، فكنت مسرًّا لذلك ، صامتا عليه ، حتى قدم المدينة ؛ فلما سمعت الخبر بقدوم رسول الله كَبَّرت ، فقالت لي عمتي حين سمعت تكبيري : خيَّبك الله ! والله لو كنت سمعت بموسى ابن عمران قادما ما زدت ؛ قال : فقلت لها : اي عمة ، هو والله اخو موسى بن عمران ، وعلى دينه ، بعث بما بعث به ، فقالت : اي ابن اخي ، اهو النبي الذي كنا نُخْبَر انه يُبْعث ؟ قال : نعم . قال ، ثم ذهبت الى رسول الله فأسلمت ، ثم رجعت الى اهل بيتي فأمرتهم فأسلموا ، وكتمت اسلامي ؛ ثم جئت رسول الله فقلت له : ان اليهود قوم بُهْت ، يقولون على المرء ما

ليس فيـــه ، واني احب ان تدخلني في بعض بيوتك ، ثـم تسالهم عني حتى يخبروك كيف انا فيهم قبل ان يعلموا اسلامي . فادخله الرسول الكريم بعض بيوته ، ونـــادى بعض رؤوس اليهود ، فدخلوا عليه وكلموه . ثـم قال لهم : أي رجل الحصين بن سلام فيكـم ؟ ـ وهذا اسمه قبـــل ان يسلم ـ قالوا : سيدنا وابن سيدنا وحبرنا وعالمنا ؛ قـــال : فلما فرغوا مـــن قولهم خرجتُ عليهم فقلت لهم : يا معشر يهود اتقوا الله ، واقبلوا مـــا جاءكم به محمد ؛ فوالله انكم لتعلمون انـــه لرسول الله ، تجدونه مكتوبا في التوراة باسمـــه وصفته ؛ فاني اشهد انه رسول الله ، وأومن به وأصدقه واعرفه .

فقالـــوا : كذبت ؛ ثم وقعوا بي فقالوا : شَرُّنا وابـــن شَرِّنا ؛ فقلت لرسول اللـــه : ألم أخبرك يا رسول الله أنهم قوم بُهْت ، أهل غدر وكذب وفجور ؟ .

٧ ـــ ولمـــا اخذت شوكة المسلمين تشتد ، اخذ اليهـــود يدبرون المكائد للرسول الكريم واصحابه . وما اسرع مـــا اجتمع اليهم من بقي على الشرك مـــن الأوس والخزرج ، ومـــن اسلم منهم نفاقا ، وعلـــى راسهم عبد الله بن ابي ، راس المنافقين . وبدات حرب جـــدل بين النبي الكريم واليهود اشد لددا وأكبر مكرا من حـــرب الجدل التي كانت بينه وبين قريش بمكة ؛ ففـــي هذه الحرب البـــاردة تعاونت الدسيســـة والنفاق والعلـــم بأخبار السابقين ، اقامتها اليهـــود جميعا ، يهاجمون بها محمدا ورسالته واصحابه مـــن المهاجرين والانصار ، ونصبوا العـــداء للمؤمنين جميعا بغيـــاً وضغناً وحسداً من عنـــد أنفسهم ؛ وحمـــل لـــواء ذلك العداء احبارهم ا فأخذوا يدبرون مؤامرات عديدة لصد العـــرب عن قبول دعوة الرسول ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفتنة المسلمين عن دينهم ، وإلجائهم الى اضيق السبل ، والتخذيل عنهم ، وتوهين قواهم .

ودسوا من احبارهم من اظهر اسلامه ، ومن استطاع أن يجلس بين المسلمين يظهر غاية التقوى ؛ وصاروا بين الحين والحين يبدون الشكوك والريب ، ويلقي بعضهم على النبي من الأسئلة ما يحسبه يزعزع في انفس المسلمين عقيدتهم به ، وبرسالة الحق التي يدعو اليها . ولم تَخْفَ هذه الامور على المسلمين ، فقد فطنوا لهم وعرفوا غاية سعيهم . ورأوهم يوما في المسجد يتحدثون بينهم خافضين أصواتهم ، قد لصق بعضهم ببعض ، فأمر النبي باخراجهم من المسجد ، فأخرجوا بعنف . ولم يثنهم ذلك عن كيدهم وسعيهم في الوقيعة بين المسلمين . « هيكل »

من هؤلاء الذين تظاهروا باسلامهم من احبار يهود بني قينقاع نفاقا وكيدا للمسلمين : سعد بن حنيف ، وزيد بن اللصيت ، ونعمان بن أوفى ، وعثمان بن أوفى ، ورافع بن حريملة ، ورفاعة بن زيد بن التابوت ، وسلسلة ابن برهام ، وكنانة بن صوريا .

مَرَّ شاس بن قيس ، وهو من شياطين اليهود ، على نفر من الأوس والخزرج في مجلس مجتمعين مسرورين ، فغاظه صلاح ذات بينهم ، وقال في نفسه : اذا بقي هؤلاء على هذه المودة والتعاون فما لنا معهم من قرار . وأمر فتى شابا من اليهود كان معهم أن ينتهز فرصة يُذكّرهم فيها يوم بعاث ، يوم انتصر الأوس فيه على الخزرج . وتكلم الغلام ، فذكّر القوم ذلك اليوم ، وانشد بعض ما قيل فيه من أشعار . فتنازع الاوس والخزرج ، وتفاخروا واختصموا ، وقال بعضهم لبعض : ان شئتم عدنا الى مثلها . وبلغ النبي ذلك

الامر ، فخرج اليهم ومعه بعض اصحابه ، فذكّرهم بما ألّف الاسلام بين قلوبهم ، وجعلهم اخوانا متحابين ؛ وما زال بهم حتى بكى القوم ، وعانق بعضهم بعضا ، واستغفروا الله جميعا « ابن هشام » .

وقد بلغ الجدال بين اليهود والمسلمين حدًّا كان يصل احيانا الى الاعتداء بالايدي . والمعروف عن ابي بكر ، رضي الله عنه ، دماثة الخلق وطول الأناة وليـن الطبع ، ومع هـذا فقد استثاره بعض اليهـود حتى ضربه بيده ؛ فقد اجتمع برجل منهـم يقال له فنحاص ، من احبارهم ، وجعل يدعوه الـى الاسلام ، فرد فنحاص بقوله : « والله يا ابا بكر ما بنا الى الله من فقر ، وانه الينا لفقير ، وما نتضرع اليه كما يتضرع الينا ، وانـا عنه أغنياء ، ومـا هو بغني عنا . ولو كان غنيا مـا استقرضنا اموالنا كما يزعم صاحبكم » . وفنحاص يشير هنا الى قوله تعالى : « مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً » سورة البقرة ٢٤٥ . فلم يطق ابو بكر على هـذا الجواب صبرا ، فغضب وضرب وجـه فنحاص ضربا شديدا ، وقـال : والذي نفسي بيده ، لولا العهد الذي بيننا وبينكم لضربت راسك يا عدو الله . وشكا فنحاص امره الى النبي ، وانكر ما قاله لابي بكر ، فنزل قوله تعالـي : « لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ؛ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا ، وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِيَـاءَ بِغَيْرِ حَـقٍّ ، وَنَقُولُ ذُوقُـوا عَذَابَ الحَرِيـقِ » آل عمران ١٨١ .

لم يكتف اليهود بالوقيعة بين المهاجرين والانصار ، وبين الاوس والخزرج ، ولم يكفهم فتنة المسلمين عن دينهم ، ومحاولة ردهم الى الشرك دون محاولة تهويدهم ، بـل زادوا على ذلك ان حاولـوا فتنة النبي محمد نفسه ، عليه السلام . ذلـك ان عددا من احبارهم ،

وهم كعب بن أسد ، وابن صلوبا ، وعبد الله بن صورى ، وشاس بن قيس ، اجتمعوا وقال بعضهم لبعض : « اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه ، فانما هو بشر » . فذهبوا اليه وقالوا : « يا محمد ، انك عرفت امرنا ومنزلتنا ، وانا ان اتبعناك اتبعك اليهود ولم يخالفونا ، وان بيننا وبين بعض قومنا خصومة ، ونريد ان نتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم ، فنؤمن بك ونتبعك » . فرفض النبي الكريم عرضهم ، وابى أن يحكم بينهم الا بالحق اذا تحاكموا اليه . وانزل الله فيهم قوله : « وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ، وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِم ؛ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ، أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ؟ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ » المائدة ٤٩ ، ٥٠ .

ومن امثلة المكايد التي كانوا يدبرونها ما تحدثنا به كتب السيرة ، ان طائفة من اليهود تذاكروا فيما بينهم لتدبير مكيدة الدخول في الاسلام أول النهار ، والخروج منه آخره ، ليقلّدهم العرب المسلمون في ذلك . فقد اجتمع عبد الله بن ضيف ، وعدي بن زيد ، وهما من يهود بني قينقاع ، والحارث بن عوف ، وهو من يهود بني قريظة ، فقال بعضهم لبعض : تعالوا نؤمن بما انزل على محمد واصحابه غدوة ، ونكفر به عشية ، حتى نلبس عليهم دينهم ، لعلهم يصنعون كما نصنع ويرجعون عن دينهم ؛ ففضح الله مكيدتهم هذه وانزل فيهم قوله تعالى : « يَا أَهْلَ الكِتَابِ ، لِمَ تَلْبِسُونَ الحَقَّ بِالبَاطِلِ ، وَتَكْتُمُونَ الحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ؟ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ : آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ . وَلاَ تُؤْمِنُوا

إِلاَّ لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ . قُلْ : إِنَّ الهُدَى هُدَى اللَّهِ ، أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ ؟ قُلْ : إِنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ ، يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ » آل عمران ٧١ ــ ٤٣ .

ولا يتسع المقام لسرد جميع اخبارهم ومكائدهم في تاريخهم مع الرسول الكريم واصحابه ، فانها اخبار طويلة جدا . ومن نظر في امر اليهود اليوم ، وما يثيرونه في العالم من فتن ، وما يختلقونه من اكاذيب ودعاوى باطلة ، ويبكون ويتباكون كذبا وزورا ، وينشرون الفساد في الارض في مختلف انواع الطرق ، والحيل الشيطانية ، حتى لا يكاد الباحثون يجدون مكرا في الارض الا وقد سبق اليهود الى اكتشافه ، ووضعه ضمن قائمة خطط مكرهم ، « وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الجِبَالُ » ابرهيم ٤٦ . ومن نظر في امرهم يجد انهم هم هم في كل مكان وكل زمان .

٨ ــ الحرب الفعلية بين النبي الكريم واليهود . شعر اليهود والمنافقون بعد معركة بدر بتزايد قوة المسلمين ، وقامت قيامتهم ، وبدأ بعضهم يرسل الاشعار في التحريض عليهم ، وسلطوا شاعرين من شعرائهم ، هما أبو عفك ، وكعب بن الاشرف .

اما أبو عفك فقد كان شيخا كبيرا يقول الشعر ، فأخذ يسلط لسانه بهجاء النبي صلى الله عليه وسلم ، والتحريض على قتاله . وقد كان الشعر في العرب أهم وسيلة اعلامية تحرِّض على الحرب . فثارت ثائرة احد المؤمنين ، واسمه سالم بن عمير ، فنذر ان يقتله او يموت دونه ، فما زال يتربص به حتى قتله .

واما كعب بن الاشرف فقد كان امره اخطر من ابي عفك ، لما له من جاه ومنزلة عند قومه وعند العرب . فانه لما بلغه خبر

انتصار المسلمين في بدر ، ومقتل صناديد قريش ، قال : « أحق هذا ؟ اترون محمدا قتل هؤلاء ؟ فهؤلاء اشراف العرب وملوك الناس . والله لئن كان محمد اصاب هؤلاء القوم لَبَطْنُ الارض خير من ظهرها » .

واخذ يسلط لسانه على الرسول والمؤمنين ، واعلن نقض العهد ، وذهب الى مكة ، وجعل يحرض على رسول الله ، وينشد الاشعار ويبكي فيها من قتل في بدر من المشركين ؛ ثم رجع الى المدينة مجاهرا بعداوته ، وجعل يقول الاشعار في نساء المسلمين ، ويشبب بهن حتى كان منه اذى بالغ . فأُحِلّ دمه بما فعل ؛ فانتدب لقتله نفر من الأوس على راسهم محمد بن مسلمة ، فذهبوا الى حصن كعب واستنزلوه منه وقتلوه . وبمقتل هذين الشاعرين اللذين تصديا للرسول وللتحريض عليه وهجوه ، واعلان عدائهما له ، قطعت ألسنة التحدي ، وانطفأت جذوة الشر . ولكن الرسول الكريم كان دائما متيقظا ، محترسا منهم ، وعلى علم بما يمكرون ويكيدون .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكان لليهود في المدينة وحولها ثلاثة معاقل كبيرة ، هي بنو النضير ، وبنو قينقاع ، وبنو قريظة ، وفي شمال المدينة : خيبر ، ووادي القرى ، وفدك ، وتيماء .

بنو قينقاع : بعد مقتل كعب بن الاشرف ازدادت مخاوف اليهود ، وأضمروا الشر للنبي وللمسلمين . وفي هذه الاثناء قدمت امراة من العرب الى سوق لليهود من بني قينقاع تريد أن تشتري حلية ، وجلست الى صائغ منهم ، وكانت محجبة ، فجعل نفر من يهود بني قينقاع يستهزئون بها ، ويطلبون منها أن تكشف وجهها ، والمراة تأبى ذلك ؛ فعمد الصائغ اليهودي الى طرف من ثوبها من خلف

وعقده الى ظهرها وهي جالسة ، دون أن تشعر المرأة بما فعل . فلما قامت انكشفت عورتها ؛ فضحكوا منها ، فصاحت ؛ فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ، وقام جماعة من اليهود وقتلوا المسلم ، فاستصرخ اهل المسلم المسلمين على اليهود ، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع .

فجاء الرسوم الكريم الى سوقهم ، وجمع اليهود ، وطلب اليهم أن يكفوا عن أذى المسلمين ، وأن يحفظوا عهد الموادعة او ينزل بهم ما انزل بقريش . فاستخفوا بوعيده وقالوا : « يا محمد ، لا يغرنك انك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة ؛ انا والله لئن حاربناك لتعلمن انا نحن الناس » .

فأنزل الله تعالى فيهم قوله : « قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا : سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ ، وَبِئْسَ الْمِهَادُ . قَدْ كَانَ لَكُمْ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا : فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ؛ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ » آل عمران ١٢ — ١٣ (ابن هشام) .

وكان عملهم هذا بمثابة الانذار العلني ، المتضمن استعدادهم لمحاربة الرسول . وعندما سمع الرسول بحادث المرأة نبذ عهدهم ، ودعا المسلمين الى قتالهم ؛ فحاصرهم في حصونهم خمس عشرة ليلة . والقى الله في قلوبهم الرعب ، ولم يستطيعوا أن يظهروا لقتال المسلمين . ولما طال عليهم الحصار ، نزلوا على حكم الرسول الكريم والتسليم بقضائه . فتقدم عبد الله بن ابي بن سلول ، رأس المنافقين ، وحليف بني قينقاع ، فقال : يا محمد ، احسن في مواليّ . وما زال يلح الى الرسول حتى اذن بأن يجلوا عن المدينة ،

وان يأخذوا اموالهم واثقالهم وخفيف السلاح . فخرجوا الى الشام ، ونزلوا باذرعات ، واستراح المسلمون منهم .

بنو النضير : هدات احوال اليهود من بني النضير وبني قريظة ظاهرا بعد اجلاء بني قينقاع ، الا ان بواطنهم ما زالت تجيش بالحقد والعداوة . وحدث ان رجلا من المسلمين اسمه عمرو بن امية الضمري قتل رجلين مشركين من بني عامر ، وهو لا يعلم ان معهما عهدا من الرسول ، صلى الله عليه وسلم . فقام الرسول بجمع ديتهما ، وذهب الى بني النضير مع عدد من اصحابه . وجلس معهم يكلمهم في ذلك ، فأظهروا الغبطة وحسن الاستعداد لاجابته . ولكنهم ابطأوا ، واحس ان هناك مؤامرة تدبر . وفعلا كان هناك مؤامرة لقتل الرسول الكريم ؛ فقد دخل احد رجالهم ، واسمه عمر بن جحاش بن كعب ، البيت الذي كان محمد مستندا الى جداره ، ليلقي عليه صخرة يقتله بها ، وفي تلك اللحظة انسحب النبي عليه الصلاة والسلام من مكانه ، تاركا اصحابه وراءه وهم يظنون أنه قام لبعض حاجته ، ومضى الى المدينة . فلما طال انتظار اصحابه ، قاموا في طلبه ، واخبرهم احد المسلمين انه رآه يدخل المدينة ، فلحقوا به ، فأخبرهم ان اليهود كانوا يدبرون مكيدة لقتله . ودعا محمد بن سلمة ، من اصحابه ، وقال له : « اذهب الى يهود بني النضير فقل لهم : ان رسول الله أرسلني اليكم أن اخرجوا من بلده ، فانكم قد نقضتم العهد بما هممتم من الغدر به ، وقد أجلتهم عشرة أيام ، فمن رؤى بعد ذلك ضربت عنقه » « امتاع الاسماع وابن هشام » . وفي ذلك نزل قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ » المائدة ١١ .

ومكث اليهود اياما يتجهزون ، فأرسل اليهم عبد الله بن ابي ، راس المنافقين ، بأن لا يخرجوا من ديارهـــم ، وانه سيمنعهم ويحارب معهم ؛ فدخلوا حصونهم وامتنعوا . وانقضت الايـــام العشرة ولم يخرجـــــوا.

خرج اليهم رسول اللـــه ومعه اصحابه ، وحاصرهم عشرين ليلة ، وهم يرمون المسلمين بالنبـــل من فوق الجدران . ولم يأت عبد الله بن ابي ؛ فلما يئسوا سألوا النبي عليه الصلاة والسلام ان يؤمّنهم علـــى اموالهم ودمائهم وذراريهم حتى يخرجوا من المدينة ؛ فأمنهم على ان لهم مـــا حملت الابل من المـــال والطعـــام ، وعلى ان يتركوا الاسلحة . فخرجوا بنسائهم وذراريهم علـــى الابل ، واجتازوا سوق المدينـــة والنساء وسط الهوادج يضربن بالدفوف ويزمرن بالمزامير ، وعلى راسهم حيي بن اخطب ، وسلام بن ابي الحقيق ، في نحو ستمائة بعـــير . وحزن المنافقون لخروجهم اشد الحزن ، وذهبوا الـــى خيبر وبعضهم الى الشام .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي بني النضير نزلت سورة الحشر : « هُوَ الَّـــذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْـــلِ الكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الحَشْرِ ؛ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّـــهِ ، فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ، وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْـــبَ ، يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي المُؤْمِنِينَ ؛ فَاعْتَبِرُوا يَـــا أُولِي الأَبْصَارِ » .

ثم تمضي السورة تتحدث عن المنافقين وكذبهم ، فيقول تعالى : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْـــلِ الكِتَابِ : لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا ، وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ ؛ وَاللَّـــهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ؛ لَئِـــنْ أُخْرِجُوا لا

يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ ، وَلَئِنْ قُوتِلُوا لا يَنْصُرُونَهُمْ ، وَلَئِنْ نَصَرُوهُم لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ » الحشر ١١ ــ ١٢ . وتركوا وراءهم للمسلمين مغانم كثيرة من غلال وسلاح وارض واسعة . وكان نصر الله عظيما . وفي ذلك يقول تعالى : « مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ القُرَى ، فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وابْنِ السَّبِيلِ ، كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ، وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ » الحشر ٧ . وفي اجلاء بني النضير ذهب شر كبير . يقول محمد حسين هيكل : « ليس من العسير أن يقدر الانسان قيمة نصر المسلمين واجلاء بني النضير عن المدينة ، لما كان يخلفه بقاؤهم من تشجيع عوامل الفتنة ، ومن دعوة المنافقين الى ان يرفعوا رؤوسهم كلما اصاب المسلمين شر ، ومن التهديد بالحرب الاهلية اذا غزا المسلمين غاز من الاعداء » .

بنو قريظة : كانت مؤامرة بني قريظة ونقضهم للعهد من أخطر المؤامرات ، لانها جاءت في وقت من أحرج الاوقات على المسلمين . فقد خرج نفر من بني النضير ، على رأسهم حيي بن أخطب ، وسلام بن أبي الحقيق ، وكنانة بن أبي الحقيق ، ومعهم من بني وائل هوذة بن قيس ، وابو عمار ، وغيرهم ، وذهبوا الى مكة ، وألّبوا قريشا ، وحرّضوهم على قتال محمد واصحابه ، وقالوا لهم انهم مستعدون أن يأتوا من خيبر ليقاتلوا معهم ، وان بني قريظة اقاموا بالمدينة مكرا بمحمد حتى تأتوهم فيميلوا معكم . وتحاوروا معهم طويلا ، وسألهم كبار قريش فقالوا لهم : يا معشر يهود ، انكم أهل الكتاب الأول ، وأهل العلم بما اصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ؛ أفديننا خير أم دينه ؟ فقال اليهود : بل دينكم خير من دينه ،

وانتم اولى بالحق منـــه . والى ذلك يشير القرآن الكريم في قوله تعالـــى : « أَلَمْ تَرَ إِلَـــى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبـــاً مِنَ الكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالجِبْتِ وَالطَاغُوتِ ، وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً . أُولَئِكَ الَّذِيـــنَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ، وَمَنْ يَلْعَـــنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً » سورة النساء ٥١ ــ ٥٢ .

وفي موقف اليهود هذا من قريش ، وتفضيلهم وثنيتهم علـــى توحيد محمد ، يقـــول الدكتور اسرائيل ولفنسون في كتابـــه « تاريخ اليهود في بـــلاد العرب » : « كان من واجـــب هؤلاء أن لا يتورطوا في مثل هـــذا الخطأ الفاحش ، وان لا يصرحوا امام زعماء قريش بأن عبادة الاصنام افضل من التوحيـــد الاسلامي ، ولو ادى بهـــم الامر الى عدم اجابة مطالبهم . . . الى ان يقول : كان من واجبهم ان يضحّـــوا بحياتهم ، وكـــل عزيز لديهم في سبيـــل ان يخذلـــوا المشركين ؛ هـــذا فضلا عن أنهم بالتجائهم الى عبدة الاصنام انمـــا كانوا يحاربون أنفسهم ، ويناقضون تعاليم التوراة التي توصيهم بالنفور من أصحاب الاصنـــام ، وبالوقوف منهم موقف الخصومة » .

ولم يكتف حيي بن أخطب واليهود الذين معـــه بهذا الذي قالوا لقريش في تفضيل وثنيتهم علـــى توحيد محمد ، صلى اللـــه عليه وسلم ، بـــل خرجوا يحرضون قبائل العرب ، حتى التفوا حول أبي سفيان ، وخرج بنحـــو عشرة آلاف مقاتـــل قاصدا المدينة فـــي غـــزوة الخنـــدق .

وذهب حيي بن أخطب الى بني قريظة ، يريد رئيسها وقائدها كعب ابن اسد ، الـــذي امتنع عن مقابلته في اول الامر ؛ ولكن حيي بن أخطب ألح عليـــه ، وما زال بـــه حتى فتح له باب الحصـــن ،

ثم قال لـــه : « ويحك يا كعب ، جئتك بعز الدهر وببحر طام ، جئتك بقريش وغطفان مع قادتها وسادتها ، وقد عاهدوني وعاقدوني على ان لا يبرحوا حتى نستأصل محمدا ومن معه » .

وتردد كعب ، وذكـــر وفاء محمد وصدقه لعهده ، وخشى مغبة مـــا يدعوه حيي اليـــه ؛ ولكن حُيَيّاً ما زال بـــه ، يذكر لـــه ما اصاب اليهود من محمد ، ومـــا يوشك ان يصيبهم منـــه اذا لم تنجح الاحزاب في القضاء عليه ، ويصف له قوة الاحزاب وعدتها وعددها ، وعلـــى راسها ابـــو سفيان . وما زال بـــه حتى لان كعب ووافقه ، ونقض عهده مع الرسول الكريـــم والمسلمين ، وخرج من حياده . واجتمعت جيوش الأحزاب حـــول الخندق محاصرين المدينة ، واشتد الامـــر على المسلمين، وضاقت عليهم الدنيا بمـــا رحبت ؛ ودام الحصار نحو عشرين ليلة ، وتخلّفت اليهود من بني قريظة ولم تحارب . واشتد الامر على المحاصرين ، وهبت عواصف ، فقلبت القدور وتوّضت الخيام ، وهطل المطر غزيرا ، ودخل الرعب قلوب المشركين ؛ فقام طليحة بن خويلد الاسدي فنادى : ان محمدا قد بداكم بشر ، فالنجـــاة النجاة ! وقال ابو سفيان : يـــا معشر قريش ، انكم والله ما أصبحتم بدار مقام ؛ لقد هلك الكراع والخف ، واخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا منها ما نكره،ولقينا من شـــدة الريح ما ترون ، فارتحلوا فاني مرتحل. واصبح الصبح ولم يجد النبي منهم احدا ، « وَكَفَى اللَّـــهُ المُؤْمِنِينَ القِتَالَ » الاحزاب ٢٥ . وفي هذا الموقف يقول اللـــه تعالى في سورة الاحزاب : « يَـــا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ، إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُـــودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا ، وَكَانَ اللَّـــهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً ، إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ، وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ ، وَبَلَغَتِ القُلُوبُ

الحَنَاجِرَ . وَتَظُنُونَ بِاللَّـهِ الظُّنُونَا ؛ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً . وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ مَـا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً) الآيات ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ .

وعاد رسول الله والمؤمنون الـى المدينة ، ومنها امر الرسول الكريم المؤمنين ان يذهبـوا الى بني قريظة . وحاصروا بني قريظة مدة خمسة وعشرين يوما ، لم تقع خلالها حرب الا بعض تراشق بالنبل والحجارة . ولما طال عليهم الحصار بعثوا يطلبون من النبي ، عليه الصلاة والسلام ، ان يتركهم يخرجون الـى اذرعات ، على ان لا يأخذوا معهم شيئا ؛ فأبى ذلك الا ان ينزلوا على الحكم ، فقبلوا حكم سعد بن معاذ ، رئيس الأوس وحليفهم ؛ فحكم سعد فيهم أن تقتل مقاتلتهم، وتسبى الذرية والنساء ، وتقسم أموالهم . ونفذ فيهم الحكم . (سيرة ابن هشام) .

وبذهاب الاحزاب ، والقضاء على بني قريظة ، صفـا جو المدينة من اليهود ، وخفـت صوت المنافقين ، وذهبت العرب كلها تتحدث بقوة المسلمين وسلطانهم .

خيبـر : كانت غزوة خيبر اخر صدام بين النبي ، صلى الله عليه وسلم ، واليهود . وتقع خيبر في شمال الحجاز ، وهي على طريق الشام . واليهود لا يؤمن جانبهم ولا ينفع معهم عهد ولا صلح ؛ وقد خشي الرسول الكريم أن يجمع اليهود بعضهم بعضا ، ويصلهم مدد من هرقل ، ويقوموا بهجوم مباغت علـى المدينة . فعزم على غزوهم والخـلاص منهـم .

امر رسول اللـه الناس بالتجهّز لغزو خيبر ، ومضى ومعه الف وستمائة مقاتـل ، منهم مائة فارس ؛ وقطعوا مراحل الطريق

ما بين خيبـــر والمدينة في ثلاثة ايام ، وباتوا امام حصونها . واصبح الصباح ، وغدا عمـــال خيبر خارجين الى مزارعهم ، ومعهم مساحيهم وآلات الزراعة . فلما رأوا جيش المسلمين ، ولّوا الأدبار يتصايحون قائليـــن : هذا محمد والجيش معـــه . وقال الرسول الكريم ، عليه الصلاة والسلام ، لما سمع قولهم : « خربت خيبر . انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » . وكان في خيبر احد عشر حصنا ، وكان اليهود فيهـــا مسلّحين ، وهم اشداء مقاتلون اغنياء ، والسلاح عندهم كثـــير . ودارت الحرب بين المسلمين واليهود ، وقاتلوا قتالا شديدا (١) ، وبدات حصونهم تنهار امام هجمات المسلمين الواحد تلو الآخر ، حتى فتحوها كلها ؛ واستسلم اليهود ، وصالحهم الرسول على ان يبقوا في ارضهم يستغلونها ويكون لهم نصف ثمرها مقابل عملهم ، والنصف الثاني للرسول يضعه حيث يشاء .

وكان من احسان النبي الكريم معاملة اليهود في خيبر انه كان من بين مـــا غنم المسلمون ، حين غزوها ، بعض نسخ من التوراة ؛ فطلب اليهود ردّها ، فأمر النبي عليه الصلاة والسلام بردّها اليهم . « محمد حسين هيكل » .

لقد عامل النبي يهود خيبر معاملة حسنة ، مـــع انهم حاربوه حربا شديدة لأمرين : الاول ان خيبر ارضها واسعة ، وهي غنية بالحدائق والمزارع والنخيل ؛ وهذا كلـــه يحتاج الى الايدي العاملة الكثيرة لاستغلاله وحسن القيام علـــى زراعته .

والثاني : بسقوط خيبر انتهى بأس اليهود ، ولـــم يعد منهم اي خطر على المدينة ، ولن تقوم لهم بعد ذلك قائمة ابدا .

---

(١) دامت الحرب بينهم وبين النبي عليه الصلاة والسلام ستة أسابيع .

وبعد ذلك اذعن اهـل فدك من اليهود ، فصالحوا الرسول على نصف اموالهم من غـير قتال ، وكذلك يهـود وادي القرى . واما يهود تيماء ، فقبلوا دفع الجزية من غير حرب ولا قتال . وبذلك دانت اليهود كلهـا لسلطان النبي ، صلى الله عليـه وسلم ، وانتهى كل ما كان لهم من سلطان في شبه الجزيرة العربية ؛ واصبح النبي واصحابه في مأمن من الشمال ، من ناحية الشام ، كمـا صار من قبل في صلح الحديبية بمأمن من ناحيـة الجنوب .

وهكذا أمن رسول اللـه واصحابه شر قريش واليهود ، وتفرغ لنشر رسالته الخالدة للعالم اجمـع ، وارسل رسله الى الملوك : هرقل ، وكسرى ، والمقوقس ، والحارث الغساني ملك الحيرة ، والحارث الحميري ملك اليمن ، والى النجاشي بالحبشة يدعوهم الى الاسلام . وما مضى ثلاثون عاما على ارسال تلك الرسائل حتى اصبحت تلك البلاد في قبضة الاسلام ، ودان اكثرها بالاسلام ؛ ذلك الدين القيم ، الذي يجمع بين الروح والمـادة ، دين الكمال ، دين الله جـل شأنه ، الذي يحرر العقول لترى ، والقلوب لتبصر ، والذي يضع للانسان في حياة العقيدة ، كما يضع له في نظام الجماعة ، قواعد عامـة توازي بين سلطان الروح وقوة المادة ، لتبلغ بالانسان الى غاية الكمـال ، ولتبلغ بالجماعة الانسانية ، بفضـل ذلك النظام ، الى خير مكان اعد لها بين كائنات الوجود .

لقد كان الاسلام دائما اغنى ما يكون في الجوهـر ، وابعد ما يكون عن فخامة المظهر ؛ وقد جاء الـى هذا العالم فأحدث اكبر انقلاب خلقي ، واعظم ثورة على الوثنية والظلـم والفساد ، واضخم حضارة مثالية انتشرت في مشارق الارض ومغاربها في اقـل من مائة عام ، فغيّرت التاريخ في زمن يكاد يكون مجرد لحظـة من صفحات التاريخ الطويل ، اذهل المؤرخين ، وحير المفكرين .

المراجـــــع

١ ــ القرآن الكريم وعـــدد من التفاسير .

٢ ــ التاج الجامع للأصول « الكتب الستة » ، الشيخ منصور علـــي ناصـــف .

٣ ــ سيرة ابن هشام .

٤ ــ شرح سيرة ابـــن هشام للسهيلي

٥ ــ امتاع الاسمـــاع للمقريزي .

٦ ــ تاريـــخ الطبـــري .

٧ ــ تاريخ ابـــن كثير .

٨ ــ حياة محمد ، محمد حسين هيكل .

٩ ــ الرسالة الخالدة ، عبد الرحمن عزام .

١٠ــ العرب واليهود ، الدكتور احمد سوسة .

١١ــ التاريخ اليهودي العام ، صابر طعمة .

١٢ــ اليهود بين الدين والتاريخ ، صابر طعمة .

١٣ــ اليهود : نشأتهم وعقيدتهم ومجتمعهم ، زكي شنوده .

١٤ــ تاريخ بني اسرائيل من أسفارهم ، محمد عزة دروزه .

١٥ــ سيرة الرسول ، صورة مقتبسة من القرآن ، محمد عـــزة دروزه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٦ــ عصـــر النبـــي ، محمد عزة دروزه .

١٧ــ خاتم النبيين ، الشيخ محمد أبو زهرة .

١٨ــ اليهود في القرآن الكريم ، عفيف عبد الفتاح طبارة .

١٩ــ اليهود في شبه الجزيرة العربية ، الدكتور محمد رشيد العقيلـــــي .

٢٠ــ مكايد يهوديـــة عبر التاريخ ، عبـــد الرحمن حسن حبنّكة الميداني .

٢١ــ المفسدون في الأرض ، ناجـــي .

٢٢ــ تاريخ اليهود في بلاد العرب ، اسرائيل ولفنستون .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أضواء على مؤلف كتاب
نقائض جرير والاخطل

للمهندس الاستاذ حاتم غنيم

مقدمة :

منذ اعوام عدة ، وكان الصديق الدكتور عبد المجيد المحتسب قد نشر كتابه عن نقائض جرير والأخطل (١) ، تطرق بنا الحديث الى موضوع كتاب نقائض جرير والاخطل المنسوب الى أبي تمام ، والذي حقّقه وطبعه الأب صالحاني اليسوعي سنة ١٩٢٢ . وعلمت منه حينذاك ان الرغبة تراوده على اعادة تحقيقه ونشره ، اذ ان نسخه كانت فقدت من الأسواق ؛ كما ان ظهور كثير من الكتب المطبوعة حديثا ، (مثل ديوان جرير (٢) الذي حققه الدكتور نعمان محمد أمين طه ، وديوان الأخطل (٣) الذي حققه الدكتور فخر الدين قباوة ونشره عن نسخة طهران الخطية) ، اضاف شيئا من وضوح الى بعض ما اشكل أمره من النصوص والشروح ، مما يساعد في التحقيق . ثم اطلعني على انه قد حصل على صورة للنسخة الخطية المحفوظة في الكتبخانة العمومية ببايزيد في استنبول ، والتي اعتمدتها طبعة اليسوعيين ؛ وانه على الرغم من تكبده المشاق في البحث عن طبعة اليسوعيين هذه في المكاتب العامة والخاصة ، فانه لم يستطع التوصل الى نسخة منها هنا في الاردن . عند ذاك أخبرته بوجودها في مكتبتي ، ثم اعرته اياها ، لكنه اعادها بعد فترة مبينا لي انه قد غض النظر عن

---

(١) من منشورات مكتبة المحتسب ودار الفكر سنة ١٩٧٢ .

(٢) نشرته دار المعارف بمصر في مجلدين سنة ١٩٦٩ و ١٩٧١ ضمن سلسلة ذخائر العرب .

(٣) صدر عن دار الأصمعي بحلب في جزأين سنة ١٩٧١ .

اعادة تحقيق الكتاب . ولعل مـــا حداه على ذلك ظهور طبعة حديثة مصورة عن الطبعة القديمة للكتاب (٤) . ولست ادري انفض الدكتور المحتسب يده من الكتاب وتحقيقه ام لا ، وارجو الا يكون فعـــل ؛ ولكن ما دعاني الى ذكر هـــذه المقدمة هو حديث كنـــا طرقناه عن توثيق نسبة الكتاب الى ابي تمام ، وما ذكره الدكتور المحتسب في كتابه (٥) عن شكّه في هذه النسبة . وآنذاك كان في نفسي ايضا ما فيها من هـــذا الامر ، فرجوته لو قام في مقدمته لتحقيقه الجديـــد للكتاب ، بدراسة يتحرى فيهـــا المؤلف الحقيقي او على الاقل من يرجح نسبة الكتاب اليـــه . ولكن صرفه النظر عن اعادة تحقيق الكتاب حملني على ان اقوم بهذا البحث ، اكمالا لموضوع ترك ناقصا ، واثير حوله الكثير من التساؤل والتشكيك ، علني اقف على جليـــة وضع التبس ، وامـــر اشكل .

العوامل الداعية الى الارتياب في مؤلف الكتاب :

لعل اول من رفض نسبة النقائض الى ابي تمام كان العلامة الاستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي ؛ فقد قال في مقدمته لكتاب **الوحشيات** (٦) ان الكتاب « ليس له البتة . واظن بعد الوقوف على ما في فهرست النديم انه للاصمعي ، كما وردت فيه كنيته ابو سعيد غير ما مرة ، وذلك برواية السكـــري لعلـــه » (٧) .

كما ابدى الاستاذ المحتسب شكه ايضا في نسبة هـــذا الكتاب الى ابي تمام . وكان دافعه الى ذلك امور منهـــا :

---

(٤) اعادت طبعها بالاوفست دار المشرق ببيروت دون ذكر سنة الطباعة .

(٥) ص (١٧) .

(٦) شارك في تحقيقه الاستاذ محمود محمد شاكر ونشرته دار المعارف بمصر ضمن سلسلة ذخائر العرب سنة ١٩٦٣ .

(٧) ص (٥) .

« اولا : ان هذه النقائض غير مسندة الى ابي تمام عن احد من الرواة العلماء ؛ فلم يروِها احد من الرواة عن ابي تمام ؛ كما نرى في مصنفات القرنين الثاني والثالث الهجريين ، او كما نرى ذلك عند زميلتها نقائض جرير والفرزدق . وهذا واضح من عنوان الكتاب وبدايته ؛ فعنوان الكتاب : نقائض جرير والاخطل ، تأليف الامام الشاعر الاديب الماهر ابي تمام . وبدايته (٨) : نقائض جرير والأخطل ، تأليف الامام الشاعر الاديب الماهر ابي تمام رحمه الله آمين . بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله كما هو اهله وصلى الله على محمد وآله . كان من حديث حرب قيس وتغلب أن معاوية بن ابي سفيان هلك واستعمل ابنه يزيد بن معاوية فبايعه الناس ما خلا هذا الحي من قيس الخ . . .

« ثانيا : لا نرى ذكرا كثيرا في هذه النقائض لعمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ، وهو الذي اعتمد عليه ابو عبيدة وغيره من العلماء في نقل كثير من أخبار جدّه جرير واشعاره ؛ مع العلم بأن ابا تمام وعمارة كانا متعاصرين .

« ثالثا : لم نسمع عن ابي تمام بأنه لُقّب « الامام الشاعر الاديب الماهر » في غير هذا الكتاب ؛ والدارج اسمه حبيب بن اوس الطائي ، وكنيته ابو تمام . ونرى ذلك واضحا في اشهر اختياراته : الحماسة ، والوحشيات ، وهو الحماسة الصغرى ، ومختار اشعار القبائل » (٩) .

---

(٨) هذا ما جاء في طبعة اليسوعيين . أما النسخة الخطية فجاء اسم الكتاب والمؤلف في صفحة الغلاف فقط ، وابتدأت الصفحة التالية بالبسملة .

(٩) نقائض جرير والاخطل ـ تأليف الدكتور عبد المجيد المحتسب ، ص (١٧ ـ ١٨) .

لا ريب في ان هذه الاعتراضات كلهـــا لها وجه وقيمة ، بالاضافة الى ما ذكره العلامة الميمني (١٠) من ان اسم المؤلـــف كان اضيف الى صفحة الغلاف بخط حديث مخالف لخط النسخة الأصل . وهذا كاف لان يدعو الى الشك والتساؤل ، فكيـــف وقد اضيف اليه امور تؤكد هذا الشك وتزيد من هذا التساؤل ؟ لذلك وجدت نفسي ضمن المرتابين في صاحب الكتاب ؛ غير انني كنت اميل الـــى الاعتقاد بأن مؤلفه هو ابن حبيب،لا الأصمعي كما خمن الاستاذ الميمني ، وذلك لاسباب سأذكر بعضها تاليا . ثم اني رجعت عن هذا الراي بعد ان وقفت على نصوص تخالـــف ما كنت عليـــه ، مما سأبينه فيما يلـــي من فقرات .

نصوص مؤيدة لنسبة الكتاب الى ابي تمام :

قبل نحو سنتين وقعت علـــى ثلاثة نصوص في كتاب « شفاء الغليل في ما في كلام العرب من الدخيل » (١١) ينقل فيها الشهاب الخفاجي عن ابي تمام فقرات يستشهد بها . فهو يقول في كتابه (ص ٤٧) : « ابن المراغة : قال أبو تمام في شرح المناقضات : يقولون انها رذيلة ولدته في مراغة الدواب او كانت كالمراغة لمن ارادها . . . »

ويقول (ص ٩٧) مشيرا الى البيت :

ملاعـــبه جِنّان كـــأن ترابها اذا أُطَّرَدَت فيـــه الرياح مغربلُ

« ذكره ابو تمام في شرح المناقضات »

---

(١٠) الوحشيات ــ المقدمة ــ ص (٥) والذي رايته في النسخة المصورة للمخطوطة والمحفوظة في مكتبة الجامعة الاردنية يظهران صفحة الغلاف بكاملها كتبت بخط مغاير لخط النسخـــة الاصل .

(١١) للشهاب الخفاجي ــ تحقيق عبد المنعم خفاجي ــ المطبعة المنيرية بالازهر سنة ١٩٥٢

ويقول (ص ٢٠١) : « قال ابو تمام في شرح المناقضات : يقال فتح السيف اذا انتضاه . وانشد يزيد بن مفرّغ :

ويومَ فتحتَ سيفك من بعيد اضعتَ،وكلُّ امرك للضياع .. »

وبعد الرجوع الى كتاب النقائض وجدت النصوص الثلاثة هذه فيه . ففي ص ١٣٩ : « وقوله يا ابن المراغة : يقال انها ولدته في مراغة دواب ، ويقال بل كانت كالمراغة لمن ارادها . . » . ونجد في ص ٥٥ من النقائض ابا تمام يروي البيت الذي ذكره الشهاب للأخطل كما رواه في « شفاء الغليل » . اما في الصفحة الثامنة من النقائض فنجد النص كما يلي : « . . . فقال اتينا والله ، افتحوا سيوفكم ، يريد انتضوها . فبلغ ذلك يزيد بن مفرغ فقال :

ويومَ فتحتَ سيفك من بعيد اضعتَ،وكلُّ امرك للضياع .. »

هذه النصوص تدلنا على ان الشهاب الخفاجي نقل عن كتاب نقائض جرير والأخطل ونسبه الى ابي تمام . فهل في هذا ما يزيد الارتياب في النسبة ، ام ان النسخة الأصل التي نشر الكتاب عنها قد تكون وقعت في يد الشهاب ونقل عنها ، فموّه عليه ما اضيف الى العنوان وانتهى به الى الخطأ ؟ . .

نكاد نجزم بأن نسخة الشهاب هي غير نسختنا الأم ؛ فهو يسميها في المواضع الثلاثة « شرح المناقضات » . وربما اختصر هذا العنوان عن « شرح مناقضات جرير والأخطل » او « شرح المناقضات بين جرير والأخطل » مثلا ؛ فهو استعمل كلمة « شرح » وهي غير واردة في عنوان نسختنا ولا في نهايتها ؛ كما استعمل « المناقضات » بدل « النقائض » التي جاءت في اول نسختنا وآخرها . ونرجح ان الشهاب لو نقل عن نسختنا لكان اختصر الاسم الى « النقائض » او قال : « ذكره ابو تمام في نقائضه » مثلا . .

هذا التباس قمين بأن يجعلنا نتيقن من ان الشهاب الخفاجي اطّلع على نسخة ثانية من نقائض جرير والاخطل معزوّة لأبي تمام ، مما يعزز هـذه النسبـة .

ورغم ان هذا دليل قوي علـى أن الكتاب لأبي تمام ، واخلق به ان يكون حاسما ، الا انه لا يكفي في حالة وجود ادلة تتعارض وهذا الافتراض . لذلك اخذت على نفسي أن أُنقّر عن صحة مـا توسمه الشاكّون في هذا الأمر ، عسى أن يكون الصواب حليفهـم . وكان عليّ قبل ان أصـل الى الراي الاخير ألا آلو جهـدا في وزن الحجج ، ورفض ما حقّه الرفض ، وترجيح مـا نصيبه الرجحان .

دراسة احتمالات اخرى لهوية المؤلف :

ذكر في الفهرست (١٢) ان نقائض جرير والاخطل صنعها ابو عمرو (الشيباني ؟) والأصمعي ، واثبت ذلـك بطريقة قد توحي بأن ابا سعيد السكري صنعها ايضا . فهل كانت النسخـة التي وصلت الينا من عمل الأصمعي وبرواية السكري كمـا رجح العلامة الميمني ؟ .

لمعرفة ذلك قمت بحصر الرواة والشُرّاح من العلماء المعروفين الذين مرَّ ذكرهم في الكتاب ، لعـلَّ ذلك يقودُنا الى نتائج تلقـي ضوءا قد ينير الغموض الذي يحيط بمؤلف الكتاب . وهذه قائمة بهؤلاء الرواة والعلماء :

١ ــ ابو سعيد ، وسننظر في هويته فيما بعد ٩ مرات

٢ ــ ابو عمرو الشيباني اسحٰق بن مرار . كوفي نزل بغداد . توفي سنة ٢٠٦ او ٢١٣ او ٢١٦ هـ . ٥ مرات

---

(١٢) النديم ــ تحقيق رضا تجدد ــ طهران ١٩٧١ ص (١٨٠) .

٣ ــ الأصمعي عبد الملك بن قريب . بصري . كانت وفاته سنة ٢١٦ أو ٢١٧ هـ ٤ مرات

٤ ــ ابو عبيدة معمر بن المثنّى . بصري . كانت وفاته سنة ٢٠٨ أو ٢٠٩ هـ ٤ مرات

٥ ــ هشام بن الكلبي ابو المنذر . كوفي نزل بغداد وتوفي في الكوفة سنة ٢٠٤ أو ٢٠٦ هـ . كان الأصمعي يتهمه (١٣). ٣ مرات

٦ ــ ابن عياش عبد الله المنتوف ابو الجراح الهمذاني الكوفي توفي سنة ١٥٨ هـ مرتان

٧ ــ الفراء يحيى بن زياد ابو زكريا . كوفي توفي سنة ٢٠٧ هـ مرتان

٨ ــ ابن الاعرابي ابو عبد الله محمد بن زياد . كوفي توفي سنة ٢٣١ هـ مرتان

٩ ــ الكسائي علي بن حمزة . كوفي نزل بغداد وتوفي سنة ١٨٠ أو ١٨٣ أو ١٨٩ هـ مرة واحدة

١٠ــ الهيثم بن عدي . كوفي بغدادي توفي سنة ٢٠٦ أو ٢٠٧ أو ٢٠٩ هـ مرة واحدة

١١ــ الأثرم علي بن المغيرة ابو الحسن . بصري نزل بغداد . توفي سنة ٢٣٢ هـ مرة واحدة

١٢ــ الجهضمي نصر بن علي . بصري نزل بغداد وتوفي سنة ٢٥٠ هـ (أو ابوه علي بن نصر المتوفى سنة ١٨٧ هـ) مرة واحدة

---

(١٣) انظر لسان الميزان لابن حجر ــ نسخة بالأفست عن طبعة حيدر اباد الدكن سنة ٢٩ ــ ١٣٣١ هـ ج ٦ ص ١٩٦ .

١٣ــ عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير . من اليمامة سكن بادية البصرة وزار بغداد . توفي سنة ٢٣٩ هـ مرة واحدة

مما تقدم نستبعد أن يكون الكتاب للاصمعي ، فقد ورد لقبه غير مكنى اربع مرات ، كما ان مجموع مـــا روي عن ابي عبيدة وابي عمرو الشيباني وابن الاعرابي يكاد يتساوى مع مـــا روي عنه باللقب والكنية . ومن الغريب أن يذكر كاتب الأصمعي بالكنية مجردة ، مما يوحي بأنه اتصل به وقرأ عليـــه ونقل عنه ، ثم يروي عن ابن الأعرابي والأثرم . كما اننا نستبعد أن يروي الأصمعي عن هشام بن الكلبي ، وكـــان يتهمه ، وهو بصري وهشام كوفي .

وقد نقلت كتـــب اللغة روايات وشروحا عن الأصمعي تخالف ما جاء في النقائض عن (أبي سعيد) ، مما يرجح أن ابا سعيد هذا ليس بالأصمعي. فمن ذلك ما جاء في نقائض جرير والأخطل (ص ١٨) : « ناقع : ثابت ، قال ابو سعيد : سم ناقـــع أي قاتل » . في حين روى الأزهري في تهذيـــب اللغة (١٤) ــ مادة نقع ــ : « قال الأصمعي : . . . وسم ناقع ثابت . وقال ابن الأعرابي : النقيع السم الثابت . يقال سم منقوع ونقيع وناقع . . . قلت (الأزهري) : يقال سم ناقع أي قاتل ، وقد نقعه اذا قتله . . . وهذا سماعي عـــن العرب » .

كما جاء في النقائض (ص ١٥٣) : « قال ابو سعيد : يقال اشاطوا اذا رفعوا عليه ما يعتل (يقتل ؟) به . . » وروى التهذيب ــ شاط ــ (١٥) عن الأصمعي : « اشاط دم جزور أي سفكه ، . . واشاط فلان فلانا اذا اهلكه » .

---

(١٤) نشرة الدار المصرية للتأليف والترجمة سنة ١٩٦٤ ــ ١٩٦٧ بتحقيق جماعة من الاساتذة . أنظر ج ١ ص ٢٦٢ من الكتاب .

(١٥) المرجع السابق ج ١١ ص ٣٩٠ .

كذلك جاء في النقائض (ص ٣) :

« وان عصفت عليكم فاعصبوها عصابا تستدر به شديدا

وان صعبت أجود ، قال ابو سعيد : وان عصفت اي كما تعصف الريح ، اي لم تطمئن بكم . . » وفي التهذيب ـ عصب ـ (١٦) : « روى ابو عبيد عن الأصمعي البيت : فان صعبت . . » .

كل هذا يدعونا الى التردد في قبول نسبة الكتاب الى الأصمعي ، ونرى ان واضع الكتاب من الذين رووا او اطلعوا على رواية كل من البصريين والكوفيين ،وهذا ينطبق على ابي سعيد السكري . فهل اصاب العلامة الميمني في تقديره مرة اخرى ؟ .

نشك أن يكون السكري هو ابو سعيد واضع الكتاب ، وذلك لما يلي من الأسباب :

أ ـ لم يذكر الوساطة في نقله عن الأصمعي وابي عبيدة . وكان السكري في اكثر روايته عنهما يعتمد ابن حبيب ، ولكن هذا لم يرد له ذكر في الكتاب .

ب ـ عمل السكري شعر الأخطل فجوده (١٧) ولكننا نجد ان نسخ ديوان الأخطل الذي صنعه السكري قد أخلت بالنقيضة :

(حي الظعائن اذ رحلن بكورا)

ولا يعقل ان يكون عرفها ولم يثبتها في الديوان .

---

(١٦) المرجع السابق ج ٢ ص ٤٨ .

(١٧) الفهرست ص (١٧٩) .

كما نلاحظ اختلاف النصوص الشعرية والشروح في النقائض عنها في نسخ ديوان الأخطل ، سواء من حيث عدد الابيات او ترتيبها او الرواية فيها . نذكر من ذلك ان قصيدة الأخطل (الا يا اسلمي يا هندُ هندَ بني بدر) زادت في النقائض احد عشر بيتا عما جاءت في اكمل نسخ ديوان الأخطل . وتزيد قصيـــدة الأخطل :

(كذبتك عينك ام رايت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالا)

بيتين عما في نسخ الديوان ، كما زادت النقائض عن نسخ الديوان بيتا في قصيدة الأخطل : (خف القطين فراحوا منك او بكروا) ، وكلها من اشهر قصائد الأخطل ؛ ومـــا كان السكري ليغفل منها ابياتا لو كان يعرفها .

اما اختلاف الرواية فكثير ، نذكر منه ما جاء في القصيدة الأولى من الديوان كمثال ، على الرغم من ان التفاوت فيها قليل مقارنة بغيرها من القصائد . وقد اعتمدنا لديوان الأخطل طبعة الدكتور فخر الدين قباوة عن نسخة طهران ، وطبعة الأب انطون صالحاني عن نسخة بطرسبرغ (١٨) :

رقم البيت	طبعة قباوة	طبعة صالحاني	النقائض
٢٧ــ	وجوز فلاة ما يغمض	ما يغمض	ما يعرّس (مـــع شرح للتعريس)
٢٨ــ	لا يهتدي له ــ وما	لا يهتدي له ــ ومـــا	لا يهتدي به ــ ولا
٣٤ــ	جنينهـــا	جنينهـــا	جبينـــه

(١٨) ديوان الأخطل ــ نشر الأب انطون صالحاني اليسوعي ــ الطبعة الثانية ــ دار المشرق (المطبعة الكاثوليكية) سنة ١٩٦٩ .

٣٧ــ بقايا قلات	بقايا قلات	بقايا ركاء (وفي الشرح قــلات)
٥٠ــ (الشرح : هشام : هاشــم بن عبــد مناف ، ونوفل بن عبد مناف)		(الشرح : هشام بن المغــيرة المخزومــي ، ونوفل بن عبد مناف . وعن ابــي المنذر : هشــام ــ الجــود ونوفل ــ العطايا)
٥٣ــ بما احتفلت (ويروى بما احتملت)	بما احتملت	بما احتملت
٤ ــ وشّرق للدهنا	(غير موجود)	(غير موجود)
٦٠ــ مطافــل	مطافيــل	مطافيــل
٦١ــ الى الله منها	الى الله منها	الى اللــه فيها
٦٤ــ اتاك به الجحاف ــ وسط البيوت	اتــاك بــه الجحاف ــ عند البيوت	آمرك الجحاف ــ وسط البيوت (مــع شرح لآمــرك مما يؤكــد الروايــة)
٦٥ــ لقد كان للجيران	لقــد كــان للجيران	لقد كان في الفرقان ــ (الشرح يذكر الجيران)
٦٦ــ ونحيــا	ونحيــا	فنحيــا
٦٨ــ وان تحملوا ــ وان ثقلــت	وان تحملوا ــ وان ثقلت	فــان تحملوا ــ وان عظمت .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اما اختلاف ترتيب الابيات فكثير جدا ، ولا داعي لاعطاء امثلة عليه .

ج ـــ تمر جمل تؤكد ان الراوي هو غير (ابي سعيد) ، كما جاء في الصفحة الأولى : « قال : واخبرني ابو سعيد عن ابن الكلبي ايضا » ، مما يفيد ان جامع الكتاب ليس ابا سعيد ، لان ابا سعيد السكري لم يرو مباشرة عن ابي سعيد آخر ، ولا يعقل ان يروي عن الأصمعي مباشـــــرة (١٩) .

لكل ما تقدم نتيقن انه من المستبعد ان يكون صاحب الكتاب هو الأصمعي او السكري ؛ فالأدلة التي تتنافى وهذه النسبة كثـــيرة ، فعلينا اذن ان نبحث في اتجاه آخر لعلنا نصل الى خيط يقودنا نحو الحقيقة .

احتمال آخر :

خالجتني فكرة علقت بوهمي في ان يكون صاحب الكتاب هو ابن حبيب ، وان النسبة لأبي تمام كانت خطأ في القراءة ، حيث ان حبيبا هـــو اسم ابي تمام ، فلعل كلمة (ابن) كانت سقطت مـــن نسخةٍ أُمٍّ فجاء ناسخ وفسر حبيبا بأبي تمام . وابن حبيب قام بعمـــل نقائض جرير والفرزدق وديوان جرير . ولكنني بعدما تحريت جلية الأمر تيقنت ان ابن حبيب ما جاز ان يكون مؤلف الكتاب ، واليك ما حملني على هـــذا التحقق :

ا ـــ لم يمر ذكر لابن حبيب في الكتاب لا باللقب ولا بالكنية ، على كثرة ما ذكر من الرواة ، ونحن نعرف ان هذه الكتب كانت تدرس على الأئمة وتروى عنهم ، فكان لا بد ان يظهر الاسم في ثنايـــا الكتاب كما هي الحال في نقائض جرير والفرزدق وديـــوان جرير . وللدكتور المحتسب تحفّظ على نسبة الكتاب لأبـــي تمام مبني على المسألة نفسها (٢٠) . ولكننا سنعالج ذلك تاليا .

---

(١٩) ولد ابو سعيد السكري سنة ٢١٢ هـ ، وتوفي الاصمعي سنة ٢١٦ او ٢١٧ هـ .

(٢٠) نقائض جرير والاخطل تأليف الدكتور المحتسب ص (١٧) .

ب ــ عندما روى ابن حبيب نقائض جرير والفرزدق عن أبي عبيدة ، وأضاف اليها مما نقل شيئا وحذف شيئا ، لم يرو الجزء الأكبر (٢١) من نقائض جرير لشعر الفرزدق في عمله لديوان جرير ، مكتفيا بما جاء في النقائض ؛ وكذلك عمل في ديوان الفرزدق (٢٢) . لكنه لم يفعل ما يشاكل هذا في نقائض جرير للاخطل . بيد اننا لا نرى في ذلك دليلا قاطعا على أن ابن حبيب لم يقم بعمل هذه النقائض التي بين أيدينا ؛ اذ ربما كان قـــام بوضعها بعد عمله لشعر جرير . وقد ذكر ابن النديم أن ابن حبيب عمل نقائض جرير وعمر بن لجأ ؛ وربما كان صاحب « منتهى الطلب » نقل اشعار ابن لجأ عنها (٢٣) . وعلى الرغم من أن هذه لم تصل الينا ، الا اننا نرى كثيرا من أشعار هجاء جرير لعمر بن لجأ في ديوانه . لذلك لا يمكننا اعتبار هذا الأمر قولا فصلا ، بل عاملا مرجحا يضاف الى غيره من الأدلة . وسنذكر في الفقرة التاليـــة ما يجعلنا نميل الى الاعتقـــاد بأن ديوان جرير كان يجب أن يسبق النقائض ، لو صح أن هـــذه الأخيرة من صنع ابـــن حبيـــب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جـ ــ تختلف رواية شعر جرير في النقائض عما هي عليه في الديوان . ولنمثل ذلك بالقصيدة الأولى في ديوان جرير « طبعة دار المعارف » :

في الديوان تتكون هذه القصيدة من ٥٣ بيتا ، في حين انها في النقائض تضم ٥٨ بيتا ؛ فهـــي تنقص ستة أبيات عن رواية

---

(٢١) نعتقد أن ابن حبيب لم يرو جميع ما جاء في كتاب نقائض جرير والفرزدق الذي صنعه هو (راجع الفهرست ص ١١١٩) وان هذه النقائض تخالف نقائض أبي عبيدة « المطبوعة » في أنها لا تشمل سوى نقائض جرير والفرزدق ، وأهملت نقائض جرير والبعيث وغسان السليطي . . الخ . . ولنا بحث في هذا الامر نرجو أن ينشر قريبا.

(٢٢) راجع ديوان الفرزدق تحقيق عبد الله اسماعيل الصاوي ــ الطبعة الاولى ــ مطبعة الصاوي سنة ١٩٣٦ .

(٢٣) راجع « شعر عمر بن لجأ التميمي » جمع الدكتور يحيى الجبوري ــ دار الحرية للطباعة سنة ١٩٧٦ ــ ص (١٨) . وجميع ما جاء في منتهى الطلب لعمر كـــان في هجـــاء جرير .

النقائض ، وفيها بيت غير موجود في النقائض . هذا الى تفاوت في تتالي الأبيات . أما تباين الرواية فيهما فكما يلـــي :

رقم البيت	الديوان	النقائض
٣ ــ	لم ار	لم نلق
٤ ــ	وكنت مربة (مع شرح المربة)	وكنت محلة (مع شرح المحلة)
٦ ــ	بعد الوجيف (مع شرح الوجيف)	بعد الذميل (مع شرح الذميل)
٩ ــ	يجعلن مدفع عاقلين ايامنًا	فجعلن برقة عاقلين ايامنا (مع شرح مدفع)
١٠ــ	اذا افتخرن	اذا اعتزين (مع شرح الاعتزاء)
١٣ــ	لو ان ــ انزلا	ولو ان ــ انزل
١٤ــ	حييت لست (مــع ذكر رواية : كري فلست) اذ يخدن (مــع شرح الوخـــد)	فيئي فلست (مع شرح فيئي) آذ يسقن (مع شرح الوخد !!)
١٧ــ	بكل ابيض	بكل اشعث
٢٦ــ	تكـــــر	تشد
٢٧ــ	اباركـــم	ابادكـــم
٢٨ــ	راياتهـــم	راياتنـــا
٢٩ــ	تجمـــع (وكررها فـــي الشرح)	تجـــزر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رقم البيت	الديوان	النقائض
٣٢ــ	لقيــت	رايــت
٣٣ــ	فاعترف	فاحتجــر
٣٤ــ	لو أن	ولو أن
٣٦ــ	معشر (مــع ذكر رواية تدرا)	تــدرا
٣٧ــ	راحت خزيمة	وردا بلادك
٣٩ــ	ما كنت تلقى ــ اذا ركبوا	ما كان يوجد ــ اذا فزعوا
٤٠ــ	صبّحــن	فصبّحــن
٤٢ــ	لتحرمــنّ	لقد حرمت
٤٦ــ	تحوي النهاب	تسبي النساء
٤٨ــ	احسابهــا	احلامهــا
٥١ــ	ورميت ــ فقد لقيت	ارميت ــ لقد لقيت

ولم يرد في النقائض البيت رقم ٥٢ في الديوان

اما الأبيات التي لم ترد في الديوان ووردت في النقائض فهي الابيات من ٤٦ ــ ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٥ حسبما جاءت في النقائض .

وربما امكننا تفسير زيادة ابيات هذه القصيدة في النقائض عما هي عليه في الديوان ، بكون النقائض قد وضعت بعد صنع الديــوان ، وهذا يناقض ما حاولنا اثباته في الفقرة السابقة . الا ان ذلك لا يساعدنا في تبيان سبب نقصان بعض قصائد جرير في النقائض عنها في الديوان . فقصيدته (وَدِّع امامة حان منك رحيل) ، مثلا ، تنقص ١٤ بيتا . ثم كيف يمكننا

تفسير الاختلاف في الشرح ، كما جاء في شرح الهديل (البيت السابع من هذه القصيدة) والوريعة (البيت العاشر منها) .

وقد تكرر الاختلاف في الشرح بين الديوان والنقائض ، نذكر من ذلك شرح (روبل) و (ذات الفلس) و (الاشكل) ـــ الديوان ص ١٤١ و ١٤٣ ، والنقائض ص ٦٦ و ٦٨ و (أوزار الحرب) و (يوم حزه) و (الحومة) ـــ الديوان ص ٢٦٢ و ٢٦٣ ، والنقائض ص ٤٦ .

كل هذا ـــ مجتمعا ـــ يحدونا على اسقاط احتمال أن يكون الكتاب من صنع ابن حبيب . ولا مناص بعد ذلك ـــ وقد اسقطنا من قبل احتمالات اخرى ـــ ولا غضاضة في أن نرجع الـــى نسبة الكتاب الى ابي تمام ، فنتوسم مدى صحتها ونسبر غور دلائلها الموافقة والمخالفة .

دراسة ما ورد في كل من النقائض وكتب أبي تمام الأخرى :

في هذه المقارنة السريعة بين النصوص المشتركة الواردة في كتاب النقائض والكتب الأخرى التي الفها ابو تمام ووصلت الينـــا ، نحاول ان نتلمس طريقا قد يوصلنا الى المؤلف الحق للكتاب . والنصوص المشتركة قليلة ، نظرا الى اننا لم نقع على جميع ما الف أبو تمام من الكتب . ولو بدانا بأكثر هذه الكتب أهمية ، وهو كتاب الحماسة (٢٤) ، لا ريب ، نجد أن النصوص المشتركة لا تزيد على اربعة ، هـــي :

١ ـــ قصيدة عمرو بـــن مخلاة الحمار الكلبي ـــ النقائض ص ١٨ ـــ ومطلعهـــا :

---

(٢٤) اعتمدنا في دراستنا لنصوص الحماسة : شرح الحماسة للموزوني ، تحقيق عبد السلام هرون وأحمد أمين ـــ الطبعة الثانية ـــ مطبعة لجنـــة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٧ ـــ ١٩٧٢ .

ويوم ترى الرايات فيه كأنها عوائق طير مستدير وواقع

وردت في النقائض في ١٢ بيتا ، اختار منها أبو تمام في الحماسة — ص ٦٤٧ — ستة أبيات هي ذوات الأرقام ١ ، ٣ ، ٥ ، ٧ ، ٦ ، ٩ . وفي روايتها بعض الاختلاف ، نوجزه بما يلي :

رقم البيت	النقائض	الحماسة
١ —	عوائف	حوائم
٣ —	أجابت (وهو تحريف ناسخ)	أصابت
٧ —	صبور	طوال

ونلاحظ اجمالا أن الاختلاف هين ، يضاف الى ذلك أن اسم الشاعر جاء في كلا الكتابين « عمرو بن مخلاة الكلبي » .

ب — قصيدة جواس بن القعطل الكلبي — النقائض ص ١٩ — ومطلعها :

وكم من أمير قبل مروان وابنه كشفنا غطاء الموت عنه فأبصرا

وابياتها في النقائض ١٢ ، اختار منها أبو تمام في الحماسة — ص ١٤٩٢ — سبعة ابيات ، ترتيبها : ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١ ، ٢ ، ٦ ، ٧ . والاختلاف في الرواية كما يلي :

رقم البيت	النقائض	الحماسة
١ —	كم ، غطاء الموت	فكم ، غطاء الغم
٢ —	ومستلحم نفست — مقاتله	ومستسلم نفسن ، نواجذه
٦ —	اذا فاخر	اذا افتخر
٧ —	وما كان في قيس بن غيلان سيد	فما كان في قيس من ابن حفيظة

وجميع الاختلافات (ما عدا ما جاء في البيت السادس) ذكرها المرزوقي كرواية اخرى للابيات ، مما يؤكد لنا انها الرواية ، وغيّرها ابو تمام لتلائم ذوقه ، جريا على عادته في تغيير النصوص (٢٥) .

وقد ورد اسم الشاعر في الكتابين : « جواس الكلبيّ من بني عدي بن جناب » .

ج ـ بيتان للحصين بن الحمام في النقائض ـ ص ١٢ ـ اولهما :

فلست بمبتاع الحياة بسبّة ولا مرتقٍ من خشية الموت سُلّما

جاء هذا البيت آخر ١١ بيتا رواها أبو تمام في الحماسة ـ ص ٣٩٢ ـ وجاء فيها (بذلّة) بدل (بسبّة) . وذكر المرزوقي رواية النقائض ضمن الشرح .

د ـ بيت واحد مرّ في الشرح ـ النقائض ص ٢٨ ـ وهو :

اذا كنتُ في قومٍ عدىً لست منهمُ فكُلْ ما عُلِفْتَ من خبيث وطيّبِ

جاء آخر ثلاثة ابيات في الحماسة ـ ص ٣٥٩ ـ برواية : (ولم تك منهم) . واشار المرزوقي في شرحه الى رواية النقائض .

هذا كل ما جاء في الحماسة مشتركا مع النقائض . اما ما جاء في الوحشيات والنقائض فهو قليل كذلك ، نجمله فيما يلي :

ا ـ ابيات غلفاء بن الحارث الخمسة الواردة في النقائض ـ ص ٧٤ ـ واولها :

---

(٢٥) كان أبو تمام يصلح من النصوص التي يرويها أن وجد فيها ما يجافي ذوقه الفني . راجع شرح الحماسة للمرزوقي ج ١ ص ١٤ .

ان جنبي عن الفراش لنابي كتجافي الأسرّ فوق الظراب

جاء منهـا اربعة ابيات في القصيـدة ٢١٣ من الوحشيـات ـ ص ١٣٣ ـ وعدد ابياتها هناك ١١ ، أما البيـت الذي لـم يرد في الوحشيات فهـو الخامس في النقائض ، والرواية واحدة ولا اختلاف الا في البيـت الثاني حيث جاء في النقائض : (ومـا اسيغ) وفي الوحشيات : (ولا يسوغ) .

ب ـ قصيدة زفر بن الحارث ـ النقائض ص ٢٤ ـ وعدد أبياتها ١١ ، وأولهـا :

أريني سلاحي لا ابالك انني ارى الحرب لا تزداد الا تماديا

اختار منها أبو تمام ٨ أبيات في الوحشيات ـ ص ٥٠ ـ وجاء ترتيبهـا ٨ ، ٧ ، ١١ ، ١٠ ، ٤ ، ٥ ، ١ ، ثم بيتا غـير موجود في النقائض . أما الاختلاف في الرواية فكما يلـي :

رقم البيت	النقائض	الوحشيات
١ ـ	ارينـي	ابينـي
٤ ـ	ولا تفرحـوا	ولا تحسبوا
٥ ـ	فقـد ينبـت	وقد ينبت
١٠ـ	ولـم	فلـم
١١ـ	بالصعيد ولا ـ من القوم	في القرين فلا ـ من الناس

جـ ـ أبيات النجاشي الثلاثة ـ النقائض ص ١٢٩ ـ وأولهـا :

اذا الله عادى أهل لؤم ودقة فعادى بني العجلان رَهْطَ ابن مقبلِ

جاءت في الوحشيات ـ ص ٢١٥ ـ بترتيب ١ ، ٢ ، ٦ ضمن

ستة أبيات . وفي رواية البيت الأخير بعض الاختلاف اذ جاء في النقائض : (خـذ الصحن فاحلـب) وفي الوحشيات (خـذ القعب واحلـب) .

د ـ بيت عميرة بن طارق الذي جاء في الشرح ـ النقائض ص ٩٠ ـ وهـو :

فلو انها عصفورة لحسبتها مسوَّمة تدعو عبيداً وأزنما

وقع ضمن ثلاثة أبيـات في الوحشيات ـ ص ٢٣٠ ـ ونسبها للعوام أحد بني شيبان بن ثعلبة (وهـو الصواب) . ولعميرة بن طارق قصيـدة على نفس الـوزن والروي (٢٦) لعلهـا السبب في اختـلاف النسبة .

المقارنة بين هذه النصوص ، والاختلاف في الرواية فيها عما هي عليه في كتب أبي تمام الأخرى ، قد تقودنا الى الظـن بأن النقائض ليست له لولا مـا نعرفه عن أبي تمام من تغيـير وتعديل في النصوص الشعرية التي نقلها في الحماسة والوحشيات ، بقصد تحسين النص ، وذلـك ان الشعراء كانوا يلقون الكلام على عواهنه ولا يهتمـون كثيرا بالصنعة ، فتصدر عنهـم فلتات كان أبو تمام بطبعـه السليم يصلحها ، بحيث تسلم نصوصه المختارة من الشوائب . بـل اننا نراه يغـير في روايته للنصوص المشتركة بين الحماسة والوحشيات ، فقد جاء في الحماسة ـ ص ١١١٢ (عن التبريزي) ـ بيتان رواهما أبو تمام في الوحشيات ـ ص ١٧٥ ـ باختلاف نبينـه فيما يلـي :

---

(٢٦) راجع نقائض جرير والفرزدق لابي عبيدة تحقيق بيفان ـ مطبعة بريل ـ ليدن سنة ١٩٠٥ ـ ١٩١٢ ص (٥١) .

رقم البيت	الحماسة	الوحشيات
١ ــ	واب بر ــ تفرّق	واب وابن ــ يُقسّمُ
٢ ــ	عن كل من ــ عن كل من	عن كل ما ــ عن كل ما

اما الحماسية رقم (٦٦٦) ــ ص ١٥٣٩ ــ ، وهي ثلاثة ابيات ، فتشترك ببيت واحد مع المقطوعة رقم (٣٦٩) في الوحشيات ــ ص ٢٢٤ ــ والمكونة من ستة ابيات ، ممـا يترك في المقطوعتين سبعة ابيـات غير مشتركة . والحماسية رقم (٧١٦) ــ ص ١٦٣٥ ــ ذات الابيات الخمسة تختلف بعض الاختلاف عنها في مختار أشعار القبائل ، الذي روى المرزباني منها عنه أربعة ابيات في كتابه « أشعار النساء » (٢٧) ــ ص ١٦٢ ــ والاختلاف هو التالـي :

رقم البيت	الحماسة	مختار أشعار القبائل
٢ ــ	الراقصات الـى منى	الراقصات عشية
٣ ــ	وانشـد	فانشـد

وهذا داب ابي تمام في تغيير النصوص . فلا يمكننا اذن ان نعتبر اختلاف الرواية اساسا لرفض نسبـة النقائض الى ابي تمام ، بل اننا نجد في تشابـه بعض النصوص دافعـا لنا الـى القول باحتمال نسبة الكتـاب اليـه .

---

(٢٧) اشعار النساء للمرزباني تحقيق الدكتور سامي مكي العاني وهلال ناجي ــ دار الرسالة للطباعة ــ بغداد سنة ١٩٧٦ .

مناقشة الأدلة الداعية الى رفض النسبة .

بعد ان رجح عندنا احتمال نسبة الكتاب الى أبي تمام ، علينا أن نبحث في نقاط اعتبرت دليلا على فساد هذه النسبة ، فنمحصها لنتوصل الى مدى جديتها وصلاحيتها لترجيح رفض النسبة .

ذكر الميمني في مقدمتـــه لكتاب الوحشيات (٢٨) ـــ في معرض وصفه لأصل الكتاب ـــ أن « بعض المتأخرين لما رأى عنوانه غفلا عن ذكر المؤلف ، زاد بخطه الفارسي : تأليف الامام الشاعر الأديب الماهر أبي تمام . وهو اختلاق منـــه قبيح . . . الخ . . » .

ولا ريب في أن اضافة كاتب متأخر شيئا الـــى نسخة قديمة أمر يدعو الى الشك في صحة هـــذه الاضافة ، ولكنه ليس بالضرورة اثباتا لبطلانها ، فربما كـــان الكاتب نقلها عن ورقة مهترئة أو سطر مطموس ذهب مـــع الزمن ، أو كان اطلع على نسخة أخرى مـــن الكتاب . وكثير من هـــذه الاضافات على الأصول القديمة ثبتت صحته . ولنعط مثلا على ذلك النسخة الأصلية لكتاب « طبقات فحـــول الشعراء » التي نشر عنها الاستاذ محمود محمد شاكر طبعته لهـــذا الكتاب (٢٩) ـــ وقد اخترت هذا المثل لان محقق الكتاب شارك العلامة الميمني في تحقيـــق كتاب الوحشيات الذي ذكرت ما جاء في مقدمته آنفا ـــ فقد كتب علـــى غلافها بخط فارسي اسم الكتاب « طبقات الشعراء لمحمد بن سلام » تفسيرا للعنوان المطموس . فهـــل يجوز لنا أن نرفض نسبة الكتاب الـــى ابن سلام ، لا لشيء الا لأن أحدهم أضاف اسم الكتاب ومؤلفه الـــى الغلاف ؟

---

(٢٨) الوحشيات ـــ المقدمة ـــ ص (٥) كما مر سابقا .

(٢٩) طبقات فحـــول الشعراء لابن سلام تحقيق محمود محمد شاكـــر مطبعة المدني سنة ١٩٧٤ .

اما تلقيب ابي تمام بـــ « الامام الشاعر الاديب الماهر » فلا دليل فيه على عدم صحة نسبة الكتاب ، اذ ان النساخ المتأخرين اعتادوا اضافة مثل هذه الصفات الى اسماء المؤلفين ، كالعالـــم العلامة والحبر الفهامة الـــخ . . . ، والنسبة جاءت متأخرة ولا شك ، يدلنـــا على ذلك الخط الذي كتبت به ، وهـــو خط متأخر .

اما عدم ذكر رواية عمارة بن عقيل في النقائض كثيرا (٣٠) فليس دليلا على عدم صحة النسبة ، اذ لم يصل الينـــا ما يشير الى ان ابا تمام كان لقي عمارة واخذ عنـــه ، على الرغم من كونهما متعاصرين . بـــل ان ما وصل الينا في « اخبار ابي تمام » (٣١) للصولي يعطينا انطباعا بأن عمارة لم يلق ابا تمام ، بل كان اعجب بشعره عندما سمعه ، واثنى عليه حين سئل عنـــــه .

بقيت مسألة ذات اهمية ذكرها الدكتور المحتسب ، هي ان هذه النقائض جاءتنا غير مسندة الى أبي تمام عن احد الرواة العلماء ؛ سنذكر تفسيرنا لهـــا في فقرة تالية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المصادر التي أخذ عنها ابو تمام مادة كتاب النقائض :

لكي نزيل آخر ما علق بأنفسنا من شك فيما كان من عزو الكتاب الى ابي تمام ، علينا ان نتوصـــل الى معرفة الطريق التي نقل عنها كتابه ، فهو يروي فيـــه عن اشخاص لم يقرأ عليهم او يلقهم : فلقـــد روى عن الكسائي والفراء وابي عبيدة والأصمعي وابي عمرو الشيباني ، وبعضهم

---

(٣٠) ذكر مرة واحدة ص (٦٧) .

(٣١) تحقيق خليل محمود عساكر ومحمد عبده ونظير الاسلام الهندي . الطبعة المصورة بالافست طبع المكتب التجاري بيروت ـــ وراجع فيه ص (٥٩ ـــ ٦٣) .

توفي قبل ولادته ، وبعضهم قبل مجيئه الى بغداد ؛ فلا بد أن تكون هناك وساطة أو تفسير آخر لهذه المسألة .

ولو رجعنا الى ما كان قصه التبريزي في مقدمة شرحه لديوان الحماسة من احتباس ابي تمام عند أبي الوفاء بن سلمة بسبب هطول ثلج عظيم ، فشغل وقته هناك بالمطالعة في خزانة كتبه ، والتأليف ، فصنف خمسة كتب، منها كتاب الحماسة ، والوحشيات ، لوصلنا الى حقيقتين : الأولى انه صنف كتبه معتمدا على خزانة كتب ابي الوفاء ، بالاضافة الى ما كان يحفظه ؛ وهذا قد يفسر نقله عن الكسائي والفراء وغيرهما ممن تقدم زمنه . والثانية انه صنّف خمسة كتب هي : الحماسة ــ التي سماها أبو تمام « الاختيارات من شعر الشعراء » ــ والوحشيات، ومختار أشعار القبائل ، وفحول الشعراء . واذا سلمنا بأن الحماسة هو كتاب الاختيارات (كما ذكر الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي) (٣٢) ، يبقى لدينا كتاب خامس من تأليف ابي تمام لاندري ماهو ، ولعله نقائض جرير والأخطل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقي علينا أن نبحث عن أبي سعيد، الذى يذكره أبو تمام بالكنية مجردة (٣٣) ، فهو اما أن يكون عالما مشهورا بكنيته دون اسمه أو لقبه ؛ ونقل ابو تمام عنه من الكتب ، (ولكن هذا الافتراض يتداعى اذا لاحظنا أن أبا تمام يقول في كتابه « وأخبرني أبو سعيد » (٣٤) ، ونستبعد أن يكون قالها تساهلا كما كان يفعل بعض العلماء عند رواية بعض الكتب اجازة) ، واما ان يكون شخصا لقيه أبو تمام وأخذ عنه ، وهذا هو الافتراض الاكثر احتمالا . فمن يكون ابو سعيد في هذه الحالة ؟

---

(٣٢) ديوان الحماسة ــ مختصر شرح التبريزي ــ تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ــ مطبعة محمد علي صبيح سنة ١٩٥٥ ــ ص (٣) .

(٣٣) مر ذكر أبي سعيد تسع مرات وذلك في الصفحات ١ ، ٣ ، ٧ ، ١٣ ، ١٨ ، ٢٩ ، ٦٣ ، ١٥٣ ، ١٦٥ .

(٣٤) ص (١) من الكتاب .

نعرف أن أبا تمام عندما قصد عبيد الله بن طاهر مادحا ، وجد عنده ابا العميثل وأبا سعيد الضرير (٣٥) ، وبعد جفوة اللقـــاء الأول توطدت عرى الصداقة بينه وبينهما . وأبو سعيد هـــذا كان من علمـــاء العربية ، وثقه الأزهري (٣٦) وروى عنه . وقد روى عن الأصمعي ، ولقي أبا عمرو الشيباني وابن الاعرابي ، كما أخذ عنـــه ابن قتيبة . أما اسمه فهو أحمد بن خالد المباركي ، لكنه اشتهر بالكنية واللقب . ولأبي سعيد هذا اهتمام خاص بالنقائض . جاء في انباه الرواة (٣٧) خلال ترجمة ابي بكر القاري الرازي : « رأيت نسخة من النقائض ، رواية ابي بكـــر القاري عن أبي سعيد أحمد بن خالد في مجلدين » . ثم أنه كان أخذ عن أبي عمرو الشيباني ـــ الذي عمل نقائض جرير والأخطل (٣٨) ـــ وابن الأعرابي ـــ الذي روى شعر جرير وشعر الأخطل ـــ فلا يبعد أن يكون أبو تمام نقل عنه بعض مادة النقائض هذه مباشرة . ونرى نحن أن مادة النقائض جمعها أبو تمام مما رواه عن أبي سعيد الضرير ـــ ولم يذكر لقبه في كتابه ، لقرب صلته به ، وعدم احتمال الالتباس فيـــه ـــ بالاضافة الى ما رواه عن غيره وما جمعه من كتب ابن سلمة . ونكاد نرى تأثير أبي سعيد هـــذا في قراءة كثير من النصوص الشعرية التي تعتمد رواية ابن الأعرابي في الغالب (وتعرف عن أبي سعيد رواية الشعر عليه) اذ لا تتخللها سوى روايات محدودة لبعض شعر جرير عن عمـــارة المعاصر لأبي تمام ، والذي ربما كان لقيه وأخذ عنـــه ، على الرغم مـــن شكنا في ذلك .

---

(٣٥) أخبار أبي تمـــام ص (٧٢) .

(٣٦) تهذيب اللغـــة ج (١) ص (٢٤) .

(٣٧) انباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي ـــ تحقيق محمد أبو الفضـــل ابر هيم ـــ دار الكتب ١٩٥٠ ـــ ١٩٧٣ ج (٤) ص (٩٤) .

(٣٨) الفهرست (١٨٠) وفي نكـــت الهميان للسيوطي ص (٩٦) انـــه لقي أبا عمرو الشيباني وابن الاعرابي.وينقل الموشح للمرزباني بتحقيق البجاوي ص (٥٧) عن أبي سعيد الضرير قولـــه : سمعت الاصمعي يقـــول . . . . .

اما عدم انتشار الكتاب واشتهاره فنعزوه لسببين : الاول ان الكتاب لم يؤخذ عن ابي تمام ، شأنه في ذلك شأن بقية كتبه التي ضن بها آل سلمة ، ولم يظهروها الى ان اضطرهم ضيق الحال الى بيع نفائس خزانة كتبهم ، وكان ذلك بعد وفاة ابي تمام . وهذا السبب ساعد على عدم اشتهار هذا الكتاب ، ولكنه لم يكن وحده ليمنع من انتشاره ، كما لم يمنع من انتشار بقية كتب ابي تمام (كالحماسة ومختار اشعار القبائل) لو لم يضف اليه سبب آخر تضافر معه على الحد من شهرة هذا الكتاب ، بحيث لم يذكره صاحب الفهرست او غيره ممن ترجم لأبي تمام . هذا السبب هو ـ في اعتقادي ـ ان الكتاب كان على شكل مسودة لم يكمله أبو تمام ولم يبيّضه . يدلنا على ذلك التقصير الواضح في استيفاء كامل نقائض جرير والأخطل . فمثلا لم يذكر قصيدة جرير (الديوان ص ٨٣٤) :

أَجَدَّ رواح القوم ام لا تروّح : نعم ، كل من يعنى بِجُمل مُتَرَّح

ونقيضها للأخطل (الديوان ص ٧٤٩)

الا جعل اللـه الأخلاّء كلهم : فداء لغوث حيث امسوا واصبحوا

كما جاء في ديوان جرير ـ غير القصيدة السابقة ـ ما ينوف على ٣٥٠ بيتا قصائد تضمنت هجاء الأخطل ، وجاء في ديوان الاخطل من القصائد المتضمنة هجاء جرير ما يقارب ٢٠٠ بيت ، كلها أخلّ بها كتاب نقائض جرير والأخطل ، في حين حوى الكتاب نقائض لغيرهما كزفر بن الحارث ، وعمرو بن مخلاة الحمار ، وجواس بن القعطل الخ ... مما يوحي بأن ابا تمام كان ينوي التوسع في الكتاب ، ولكنه لم يتمّه كما اراد له أن يتم . ويعزز ما ارتأيناه سوء في التبويب ، واغفال لذكر كثير من الايام والحوادث ، مع التوسع في ذكر غيرها من الوقائع ، ثم انهاء الكتاب

بذكر سبب البدء في التهاجي بين الشاعرين ، مع أن المفروض عقلا ان يذكر ذلك في اول الكتاب .

كل هـذا ، مضافا الى ان ابا عمرو الشيباني والأصمعي قاما بعمل هذه النقائض (٤٠) ، وربما بشكل أجود واكمل ، قد يفسر السبب في قلة الاهتمام بكتاب ابي تمام ، فلم يرزق الكتاب غير المنقح هـذا الشهرة التي رُزِقَها غيره من كتبه .

خاتمـــة :

المطالع لكتب الأدب يلاحظ كثرة الاحالات على نقائض جرير والفرزدق ، مع ندرة ذكر نقائض جرير وغيره من الشعراء ، كالاخطل ، وعمر بن لجأ ، وكلاً عَمِلَه ائمة مشهورون ، كالاصمعي ، وابن حبيب ، وابي عمرو الشيباني . ولكن نقائض جرير والفرزدق بقيت نسيج وحدها في اهتمام العلماء بها . ولعل ذلك كان بسبب غزارة مادتها ، وامتداد فترة الملاحاة بين الشاعرين ، وكون النقائض الاخرى جاءت عرضا بسبب تحيز شاعر ما لأحدهما . فالأخطل حكم للفرزدق على جرير عند بشر بن مروان (٤١) ، وعمر بن لجأ كان محلبا للفرزدق ، مما دعا جريرا لتسقط عورات شعره ، ودعا عمر الى تشويه شعر جرير (٤٢) فاندلعت نار المهاجاة بينهما .

لكننا نرى ميزة خاصة للمهاجاة بين جرير والأخطل لا نراها في مهاجاته لغيره من الشعراء ، وهي الصفة السياسية لهذه المهاجاة ،

---

(٤٠) الفهرست ص (١٨٠) كما مر سابقا .

٤١) نقائض جرير والاخطل ـ تأليف الدكتور عبد المجيد المحتسب ـ ص (٩٢) وما بعدها.

(٤٢) راجع سبب المهاجاة بين جرير وعمرو بن لجأ ديوان الاخير ص (٩) وما بعدها ، نقلا عن طبقات الشعراء والموشح والاغاني والخزانة . .

ففيها حمل جرير لواء القيسية ، مشيدا بأيام قيس ، مفتخرا بهم في خضم هجومه علـــى تغلب ، التي كان بينها وبين القيسيين وقائع وحروب في ذلك العهد . هذا الدفاع الذي كان في ظاهره تعييرا للأخطل بأيام قيس علـــى تغلب ، وكان في حقيقته انحيازا ، واتخاذ موقف سياسي معاضد للقيسيين ضد منافسيهم ، ومحاماة عنهم في وجه تحريض الأخطل لرجال الدولة عليهم. وقد كان لجرير في أيـــام يربوع وتغلب مندوحة عن ذكر أيام قيس ، كما كان في غنى عن نقض قصيدة الأخطل : (عفا واسط مـــن آل رضوى فنبتل) التي لم يتعرض الأخطل بها لذكر جرير وقومه ، لولا أنه وجد في هذه المهاجاة فرصة للدفاع عن قيس دون التعرض لغضب اليمانية ، الذين كان كثير منهم ذوي مراكز مرموقة في الدولـــة . ونرى أنه اغتنم فرصة وجدها سانحة في الرفع من شأن قيس والحط من تغلب ، وهي قبيلة لم يكن لها شأن في الدولة بسبب دينها ، فاتخذ مـــن هجائها وسيلة لنشر مآثر قيس ومفاخرها دون أن يثير كبير سخط عليه في أوساط الفئـــة الحاكمة ، التـــي كان يطمع فـــي نائلها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد كان متوقعا أن تساعد هذه الصبغة السياسية على سعة انتشار قصائد جرير في هجـــاء الأخطل ونقائضها من قصائد الأخطـــل ، وكانت بالفعل مدعاة لاشتهارها ، بحيث اختار أبو زيد القرشي ملحمة جرير من ضمن نقائضه للأخطل (٤٣) ، كما ارتأى ابن حبيـــب والسكري أن يبدءا ديوانيهما بقصيدتين من نقائضهما (٤٤) ، وعلى الرغم من كل هذا لم يكتب لهذه النقائض مـــن الشيوع بين الدارسين والمتأدبين مـــا كتب لنقائض جرير

---

(٤٣) راجع : جمهرة أشعار العرب تحقيق علي محمد البجاوي ـ الطبعـــة الاولى ـ دار نهضـــة مصر . ص (٨٨٦) .

(٤٤) القصيدة الاولى في ديوان جرير ـ صنعة محمد بـــن حبيب ـ هي (حي الغداة برامـــة الاطلالا) ، والاولـــى في ديوان الاخطـــل ـ صنعة السكـــري ـ هي (عفا واسط من آل رضوى فنبتل) .

والفرزدق . ولعل ذلك راجع لضخامة الثروة اللغوية التي احتوتها الأخيرة. ومهما كان السبب فان ما وصل الينا عن نقائض جرير والاخطل لم يتعد بعض أسماء من قاموا بعملها ، ثم هذا الكتاب الناقص غير المنقح ، والذي يشك في مؤلفه ؛ وهو مصير كم عرفناه لكثير من تراثنا القيم ؛ فكم أخمد شاعر ذكر شعراء مجيدين عاصروه ، وكم عفى كتاب على آثار كتب تناولت موضوعه لاستغناء الدارسين به عنها . . .

وسواء أكان الكتاب هذا لأبي تمام أم لغيره ، وسواء أكان مسودة أم كتابا كاملا عبثت به يد الزمن ، فاسقطت من أوراقه وشوشت من ترتيبه ، فانه يبقى ذا قيمة كبيرة ؛ فقد حفظ لنا نصوصا شعرية لم ترد في غيره ، ونقولا لغوية ذات فائدة عن علماء كانوا ائمة عصرهم ، وأخبارا تلقي الضوء على الصراع السياسي الذي شهدته تلك الفترة من الزمن ، وتأثير الحوادث في الحركة الشعرية التي رافقتها آنذاك .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعساني أكون ارتكبت شططا في تقديراتي ، وعساني أكون اصبت ، ولعل غيري من المتفرغين يطلع على نصوص لم تحضرني ، توصله الى ما استنتجتُ او الى خلافه . ولكن بحثي هذا يبقى محاولة للوصول الى حقيقة يصعب اثباتها بما توفر لدينا من معلومات ، مما دفعني الى كثير من التقدير والحدس ، أرجو ان يقيض لي الاطلاع على ما يؤكده في المستقبل . والله أسأل أن يوفقني الى الصواب ، انه نعم الهادي ونعم المعين .

المهندس حاتم غنيم

المنشآت الصحيّة بالمغرب عبر التاريخ

بمناسبة السنة الدولية للمعاقين

د. عبد الهادي التازي

كلنا يعرف عن التنافس القوي الذي امتد بين الخلافة العباسية في بغداد والخلافة المُوَحِّدية في المغرب ، في اعقاب سحب الموحدين اعترافهم بسيادة العباسيين، والغاء ذكرهم من اعلى منابر المغرب ومن العملة المغربية .

ولقد تجلّت مظاهر ذلك التنافس في شتى الميادين ، واتخذت لها مواقف صراع تختفي آثاره لتظهر مرة اخرى . وقد نقل التاريخ عددا من الاخبار تدلّ جميعها على ان الموحدين في المغرب كانوا يُعدّون العدّة لِتَزَعُّم دولة اسلامية واحدة ، وان العباسيين في المشرق كانوا يرون في الموحدين خطرا على كيانهم . وقد كان من المعقول جدا، بالنسبة للمغاربة، ان يراقبوا مسيرة بغداد ، اذ كانوا يطمحون الى مستويات افضل وامثل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن هنا وجدنا انه ، الى جانب اهتمام المغرب بما يظهر من مذاهب هناك وبما ينسخ من مخطوطات ، كان يُعْنَى جيدا بكل مظاهر الحضارة التي تصل اصداؤها ، ويبذل غاية جهده ، ليس فقط لتزويد المملكة الخلافية بمثلها ، ولكن ليكون المتفوق المجلّى فيها .

وبهذا كان المغرب بين الاستفادة من الغرب عن طريق الاندلس ومن الشرق عن طريق بغداد .

وبهذا نفسر ظهور المدارس المغربية مباشرة بعد المدرسة النظامية ، ونفسر ظهور الكراسي العلمية على اثر ما بلغ عن كراسي المعاهد

البغدادية ، ومن اجل ذلك ايضا سمعنا عن نصب الساعة المائية في مراكش وفاس بعد ظهور الساعة المائية بمدرسة المستنصرية . وفي اطار ذلك التنافس ايضا شاهدنا انشاء سلسلة البيمارستانات في عدد من قواعد المغرب ، وعلى راسها مدينة مراكش .

(البيماريستان) كلمة فارسية مركبة من كلمتين : بيمار : تعني المريض ،واستان التي تعني مكان ، دار . باك استان : دار الطهر ، افغان استان دار الافغان . ترك استان أرض الترك الخ . . . فمعنى بيماراستان : دار المريض .

واذا كنا لا نتوفر على وصف مدقق لكل تلك المستشفيات،فان من حسن حظنا ان نجد عبد الواحد المراكشي يقدّم مستشفى مراكش بهذه العبارات :

« وبنى يعقوب المنصور في مدينة مراكش بيمارستان ما أظن ان في الدنيا مثله ؛ وذلك انه تخير له ساحة فسيحة باعدل موضع في البلد ، وأمر البنائين باتقانه على أحسن الوجوه ؛ فأتقنوا فيه من النقوش البديعة والزخاريف المحكمة ما زاد على الاقتراح ؛ وأمر ان يغرس فيه مع ذلك جميع الاشجار ، والمشمومات والمأكولات ؛ واجرى فيه مياها كثيرة تدور على جميع البيوتات ، زيادة على أربع برك ، في وسط احداها رخام ابيض ؛ ثم أمر له من الفرش النفيسة من انواع الصوف والكتان والحرير والاديم وغيره بما يزيد على الوصف ويأتي فوق النعت ؛ واجرى له ثلاثين دينارا في كل يوم برسم الطعام ، وما ينفق عليه خاصة ، خارجا عما جلب اليه من الادوية ؛ وأقام فيه من الصيادلة لعمل الاشربة والادهان والاكحال ؛ واعد فيه للمرضى ثياب ليل ونهار للنوم من جهاز الصيف والشتاء . فاذا برىء المريض ، فان كان فقيرا أمر له عند خروجه

بمال يعيش به ريثما يستقل ، وان كان غنيا دفع اليه ماله وتركته وسببه ؛ ولم يقصره على الفقراء دون الاغنياء ، بل كل مريض بمراكش من غريب حمل اليه وعولج ، الى أن يستريح أو يموت . وكان المنصور في كل جمعة بعد صلاته يركب ويدخل (البيمارستان) يعود المرضى،ويسأل عن اهل بيته يقول : كيف حالكم ؟ كيف القومة عليكم ؟ الى غير ذلك من السؤال، ثم يخرج . ولم يزل مستمرا على هذا الى أن مات،رحمه الله » .

قصدت بايراد هذا النص كاملا لانه يُعتبَر وثيقة من أجمل الوثائق المغربية المعبرة عن قمة ما وصلت اليه العناية بالمصاب .

ثلاثون دينارا يوميا برسم الطعام ــ قسم للصيدلية لتحضير الاشربة والادهان والاكحال ــ ثياب ليل على حدة ونهار على حدة . . . في الشتاء والصيف . . . يستوي الغني والفقير في المعالجة ، الخليفة يتفقد المرضى بنفسه . . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هل يمكن ان نقارن بين هذا المستشفى ومستشفى بغداد الذي تحدث عنه ابن جبير عندما زار العاصمة العباسية عام ٥٨٠ = ١١٨٤، أي في نفس السنة التي نصب فيها المنصور الموحدي ؟

لقد تحدث ابن جبير عن بيمارستان بغداد على انه قصر كبير يزود بماء دجلة ، وانه يحتوي على كل المرافق التي توجد في القصور الملكية .

اني على مثل اليقين ان هذا مظهر بارز من مظاهر التنافس الجاد والحاد بين بلاط بغداد وبلاط مراكش . . . ان المراكشي كان يزن كلامه وزنا عندما قال « انه لا يظن ان في الدنيا مثل مستشفى مراكش"، مع العلم ان المراكشي يعرف المشرق والشرقيين ، وزار مصر واستقر بالعراق حيث ألف كتابه المعجب هناك .

فماذا كان عن الاحتياطات والاسعافات التي تقدم للمرضى ؟ أتصور المريض الذي يرتدي لباسا له في الليل غير اللباس الذي يكون له في النهار ، أتصور بجانبه (بيانات) تكشف عن تطور علاجه وماذا يتناوله اليوم وغدا . . .

ان الذين يحتاطون للمريض العادي مثل هذا الاحتياط ينبغي ان نتصور عنايتهم بالآخرين الذين قدر لهم ان يصنفوا ضمن مرضى آخرين من نوع ثان .

« لنتصور ان ابا يعقوب يوسف ، والد المنصور السالف الذكر ، عندما داهم الوباء عاصمة الموحدين عام ٥٧١ = ١١٧٦ ، فرض نظاما رائعا ماكنا نتصوره لولا ان التاريخ اهتم به . . . « كان الرجل لا يخرج من منزله حتى يكتب اسمه ونسبه ومكانه على ورقة يجعلها في جيبه ، فان مات حمل الى اهله » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

آذا كان الاهتمام يصل بالنسبة للقادرين الى هذا الحد ، فكيف نتصور الاهتمام بالنسبة للذين لا يقدرون على التعبير ؟ للذين لا يستطيعون الاعتماد على انفسهم ؟ للذين يتهددهم الضعف والعوز والخصاص ؟

لقد ورد في ترجمة الوليد بن عبد الملك ، الذي كان من رجاله موسى بن نصير ومولاه طارق بن زياد ، وردت هذه الافادة التي تلخص كل ما يمكن أن يقال عن العناية المثالية السامية بالمعاقين :

« جعل الوليد لكل أعمى قائدا يتقاضى نفقاته من بيت المال ، واقام لكل مقعد خادما » .

وهكذا شاهدنا أن الدولة بمجرد ما تشعر بوجود معاق في البلاد يكون عليها أن تقوم بمبادرتين على الاقل : الاولى تكليف مساعد يكون الى جانب ذلك المعاق ، والثانية : تخصيص مبلغ من المال لذلك المكلف حتى لا يشعر بأنه يتطوع فحسب ، ولكنه موظف يتقاضى أجرة على ما يقوم به . . هذا طبعا الى العمل الثالث الذي يتجلى في ضمان العيش ايضا لذلك المعاق متى كان في حاجة الى أن يعيش كسائر الناس !

هناك حديث شريف يقول : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ».ونحن لا نقف لا قليلا ولا طويلا أمام « البنيان » ، أي بنيان كان ، لنعرف تركيبه ومادته . . هل هو كله من آجُرٍّ من قياس واحد ، من طينة واحدة ، من طبخ واحد . . ؟ أبدا ، ان فيه الحجرة الكبيرة والصغيرة ، والصحيحة والمكسورة ، ومن ذلك كله يقوم البنيان .

وهذا البنيان مثل حي من أمثلة المجتمع الذي يهتم فيه القادرون بالقاصرين .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذا تفسير صائب سمعته ذات مساء من درس القاه جلالة الملك بنفسه في قناة الدروس الحسنية أواسط رمضان ١٣٨٢ ، أواسط دجنبر ١٩٦٧ .

المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا . . . ولا نزيد المرصوص لانه ليس بمنصوص .

وهكذا كنا نتصور أن مستشفيات المغرب وبيمارستانات المغرب كانت مزودة ، ليس فقط بما يُحتاج اليه من علاج ودواء ، ولكن كذلك بما هو ضروري لسيرها من ممرضين ومساعدين وموظفين من شتى الأطُر ، كان على راسهم أمثال ابن طفيل ، وابن رشد ، وابن زهر الحفيد . هكذا كان بيمارستان مراكش . . .وهكذا كان كذلك اشباهه في المدن الاخرى .

وقد سلـــك بنو مرين في هذا الموضوع طريـــق اسلافهم الموحدين ، فاهتموا كذلك بالذين اعاقهم الزمان . . .ومن ثمت شاهدناهم يخصصون الاوقاف الضخمة ، سواء علـــى صعيد الدولة او صعيد الشعب ، ليوفروا للكل الحياة الكريمة الآمنة في كل الميادين المغربية .

سوف لا اطيل هنا بذكر الامثلة الرقيقة الشفافة التي التفـــت بنو مرين اليها . ولكني لا أغفل اهتمامهم بانشاء دور للمكفوفين من شأنها أن تحميهم وترعاهم ولا تضطرهم الى الوقوف على باب واحد .

ان الدولة التي كانت تهتم بعلاج المصابين من الطيور في عنان السماء، لا يمكن ان تترك وسيلة لعلاج الانسان المنكوب الذي يمشي على الارض !!

لقد عرفت المؤسسات الصحية في عهد بني مرين ترفـــا وازدهارا تحدثت عنهما المدونات والسجلات، بالرغم من الظروف العصيبة التي مرت بها الدولة في أواخر ايامها . . . هنا دور لرعايـــة المعاقين والمعاقات والمُقِلّين والمُقِـــلّات . وقد اقتفى السعديون نهج بنـــي مرين ، فشاهدنا بيمارستان عبد الله الغالب بالله في مراكش ، على نحو ما شاهدنا العلويين يقومون به من اعادة الحيـــاة الى بعض المنشآت المهددة ، وحرصهم على ان ينشئوا من جانبهم اماكن للعلاج . . وصلت أحيانا الى ضواحي المغرب ، وعلى نحو مـــا راينا في زاويـــة سيدي علي بو غالب بفاس ، وسيدي بنعاشـــر بسَـــلا . .

لقد كانت الدولة تجعل هـــذا الموضوع في صدر اهتماماتها ، وكانت تكل الاشراف عليه الـــى (المحتسب) الذي يتحرك ويتجول ويراقـــب ويتابع . . . ولأمـــر ما وجدنا أن محكمته كانت بجانب مستشفى سيدي فـــرج بفـــاس .

هناك ظاهرة ممتعة تدخل في اطار حياتنا اليومية . . كانت مما اهتم به التشريع وبخاصة في بلاد الغرب الاسلامي :

فحتى تعطي الدولة دليلا للقاصرين على انهم يتمتعون بكل ما يتمتع به القادرون ، أجازوا لهم أن يباشروا كـل انواع النشاط الاجتماعي . . مكتفين بلغة **الاشارة** التي نرى الامم الراقية تتبجح بأنها المبتكرة لها كوسيلة لترفيه عـن المصابين .

ان لغة الاشارة في المغرب كانت معتمدة في كتب الفقـه الاسلامي كقاعدة تُبنَى عليها الاحكام .

لقد عقد ابن عاصم ، وهو من رجال الفقه الاندلسيين ، فصلا خاصا بالتعامل مع الذين يفقدون سمعهم لسبب من الاسباب ، أو مع الذين لا ينطقون . . . ومع الذين لا ينظرون . . .وحتى مع من أضحى يفقد الثلاثة ، على نحو ما قرأناه في بداية هذا القرن عـن السيدة الاميركية الشهيرة هيلين كيلير ، التي كانت لا تسمع ولا تنطق ولا ترى ، ومع ذلك استطاعت ـ بفضل العزيمة والعناية ـ أن تنال ألقابا أكاديمية عليا . . . وان تؤلـف وتكتب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ذلك الفصل الخاص بالتعامل مع المعاقين يحتاج وحده الى كتاب ، وهو ، أي ابن عاصم ـ كما يفهم منه ـ يدعو دعوة صارخة لفكرة تعلم الاشارات ، وعليها يعلّـق الاحكام .

فهو يقول : ان العقود بكل انواعها يمكن ان يباشرها اولئك حسب دلالات الاشارة ، وان بامكان الشهود ان يتلقوا الشهادة من اولئك على نحو مـا يتلقونها من السالمين . . . وان الامر بالتالي يعتمـد على ان يفهم المعاق وان يُفهِـم غيره . . .

يقول في تلك الابيات الخفيفـــة :

ومن اصمّ ابكـــم ، العقود ❊ جائزة ، ويشهـــد الشهودُ

بمقتضى اشارة قد أُفهِمَتْ ❊ مقصوده ، وبرضاه أُعْلِمَتْ

وإن يكن مع ذاك اعمى امتنعا ❊ لفقده الافهام والفهـــم معا

وذو العمى يجوز الابتياع له ❊ وبيعـــه وكل عقد اعملـــه

نرى كيف أن الفقه الاسلامي يحتضن هؤلاء المعاقين ويجد صيغـــة للتعامل معهم علـــى قدم المساواة .

وتعالوا بنا نستمع الى نوع آخر من العناية بالمصابين ــ والمؤمن مصاب ــ كمـــا يقولون :

ان الطفل الخائف قد يتسبب له خوفه في أزمة تلازمه حياته كلها .. فحتى يجنبه المجتمـــع ذلك الخوف وجدنا أوقافا واحباسا تؤدى بمقتضاها تعويضات للاطفال الذين كسروا أواني لأوليائهم ، وأصبحوا يخافون من مواجهة العقاب والعتاب . . . فحتى يشعر الطفل براحته ضمنت له الاوقاف هـــذه الفرحة .

ان (الحب كريم) كما يقولون ، لا يوجد له تعبير خاص ولا يحتاج الى تفسير خاص ، ولكنه الحب الذي يجب أن يهيمن على تصرفاتنا وحركاتنا ومبادرتنا مهما كـــان الامر .

اريد من كل هـــذا الكلام أن اخلص الى القـــول : انه اذا كانـــت الامم اليوم تقوم بمثل هذه المبادرات الجميلة ، فتخصص عاما من حياتها للاهتمام بهـــذا النوع من الناس ، فان المغاربة بالامس جعلوا من حياتهم كلهـــا فرصة للتعبـــير عن العناية والاهتمـــام . . ولا شـــك أن ابناء المغرب اليوم سيكونون في مستوى اريحية آبائهم بالامس . . !

د. عبد الهادي التازي

بين الكوفيين والبصريين

مسألة جواز تأكيد النكرة معنويا

للدكتور حسني محمود حسين
(جامعة اليرموك)

١ ــ اختلاف المنهج لدى مدرستي الكوفة والبصرة

استحكم الخلاف بين اكبر مدرستين نحويتين ــ هما مدرسة الكوفة ومدرسة البصرة ــ في كثير من المسائل النحوية . وكانت كل مدرسة منهما تتميز بطابع عقلي معين ، فرض على اصحابها منهجا في التفكير اللغوي والنحوي ، تواصل اتباع كل مدرسة ورجالاتها بالسير عليه ، وحفلوا بتعميمه وتعميقه في علم القواعد العربية : فالبصريون تحددت عقولهم بالسماع وبما ورد عن العرب ، وتقيدت مدرستهم بهذا المأثور العام الذي حققوا منه القاعدة الشاملة بالاستقراء ، وقاسوا عليها ما عداها ، واعتبروا كل ما خالفها شذوذا لا يؤخذ به ولا يلتفت اليه . وهم في ذلك انما اقتصروا على قبائل معدودة حصروا الاخذ عنها ، وحجروا اللغة بما التزموه من قواعد حكموها بالمنطق .

اما الكوفيون ، فكانوا ارحب تفكيرا ، آذ هم اهل قراءات واسعة ، فلم ينتهجوا المنهج المنطقي الصرف ، واستعملوا التوسع في البحث ، فكل ما ثبت وروده عن العرب صحيح لديهم لا يُرَدّ ولا يُهدَر[٥] : قامت قواعد النحو عندهم على ما تشابه من الشواهد والأمثلة ، فلا شذوذ ولا خروج على اللغة ، أخذا بلغات القبائل كلها . لذا كان عقلهم خصبا في تفتيح ما كان يعرض من مسائل . ولكن يؤخذ عليهم استشهادهم بنمط من الشعر لا يستحق أن يستشهد به ، وهو الشعر المروي عن بعض الأعراب

المهاجرين الى بعض جهات العراق ، ممن اشتغلوا في مهن بسيطة ، وقالوا الشعر بما لديهم من ميراث طبعي في الفصاحة . فمـا كان ينبغي اتخاذ اشعارهم مادة للنحو ، مما أوهنوا بـه مذهبهم .

وفي المسألة التي سأعرضها في هـذا البحث سنرى طابع منهـج اصحاب كـل من المدرستين ، ومدى تحكمه في تفكيرهم ، واتسام هذا التفكير بسمـات معينة تتجلى دائما في تعرضهـم للقضايا النحوية . ولسوف اعرض أولا لراي مدرسة الكوفة في مسألة جواز توكيـد النكرة او عدمه ، وسنثبت ادلتهم وحججهم ، ثم نتبع ذلك براي البصريين وحججهم وردودهم على خصومهم . . . وفي النهاية اسجل النتيجة التي سأخرج بها من هـذه الدراسة القصيرة .

★ ★ ★

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١ ـ رأي الكوفيين :

ذهب الكوفيون (ووافقهم الأخفش عن البصريين) الى جواز تأكيـد النكرة بالتأكيـد المعنوي اذا كانـت نكرة محدودة ، اي معلومة المقدار (١) نحـو : يوم ، وليلة ، وشهر ، وحـول ، وفرسخ ، لحصول الفائدة بذلك (٢) . ولم يجيزوا توكيد النكرة غير المحدودة ، كحين ، ووقت ، وزمان ، مما يصلح للقليل والكثير ، لانه لا فائدة في توكيدها (٣) .

وقد احتجوا بالنقل والقياس (٤) :

---

(١) شرح المفصل ج ٣/٤٤ .

(٢) فتح الجليل للسجاعي / ٢٥٤ .

(٣) شرح الالفية لابن الناظم .

(٤) الانصاف في مسائل الخلاف / ١٨٦ .

امـــا النقـــل ، فقد جاء ذلك عن العرب ، قـــال الشاعر :

لكنه شاقه ان قيل ذا رجب يا ليت عدّةَ حول كلّه رجبُ

فأكد ـــ حول ـــ ، وهو نكرة بقوله ـــ كله ـــ ، فدل على جوازه .

وقال آخر :

اذا القعود كـــرَّ فيها حَنْدا يوما جديدا كلَّـــه مطردا

فأكد ـــ يوما ـــ وهو نكرة بقوله ـــ كله ـــ وأكد آخر كلمة ـــ ليلة ـــ بقوله ـــ كلها ـــ ، اذ قـــال :

زَحرْتُ بـــه ليلةً كلَّهـــا فجئتَ بـــه مؤبدا خنفقيقا

اما القياس ، فلأن اليوم مؤقت ، يجوز ان يقعد في بعضه ، والليلة مؤقتة يجوز أن يقوم في بعضها . فاذا قلت قعدت يوما كله ، وقمت ليلة كلها ، صح معنى التوكيد .

وبذلك نلاحظ انه لا يشترط عند الكوفيين والأخفش تطابُق التوكيد والمؤكد تعريفا وتنكيرا ، في مثل هـــذه الحالات التي يكون فيها المنكور محدودا ، والتوكيد من الفاظ الاحاطة والشمول «٥» ، ككل واجمع . وليس مـــا ذهبوا اليه ببعيد ، لاحتمال تعلق الفعل ببعض ذلـــك المؤقت «٦» .

واذا لم يفد توكيد النكرة لم يجز ، لأن الغرض من التوكيد ازالة اللبس . وفي شرح التسهيـــل لابن مالك ان بعض الكوفيين أجاز توكيد النكـــرة مطلقا «٧» .

---

(٥) حاشية الصبان ج ٢/٢٨٩ .

(٦) شرح التصريح ـــ حاشية / ١٢٥ .

(٧) شرح التصريح ج ٢/١٢٤ .

ب ـ رأي البصريين :

مذهب البصريين انه لا يجوز توكيد النكرة ، سواء اكانت محدودة ، كيوم وليلة وشهر وحول ، ام غير محدودة ، كوقت وزمن وحين (٨) . وهذا معنى قوله (وعن نحاة البصرة المنع شمل) ، اي عمّ لما يفيد توكيده من النكرات ولما لا يفيد (٩) ، فلا يجوز : (صمت زمنا كلّه) ولا شهرا نفسه (باجماع الفريقين) لأن النكرة في الاول غير محدودة ، والتوكيد في الثاني ليس من الفاظ الاحاطة (١٠) .

وقد ذهب البصريون الى تأكيدها بلفظها نحو : جاءني رجل رجل . ويورد ابن الانباري في كتابه « الانصاف » حجج البصريين ، ودليلهم على عدم جواز تأكيد النكرة في وجهين أحاول تلخيصهما فيما يلي :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اولا : ان شيوع النكرة وعدم ثبوت عين لها يجعلها غير مفتقرة الى تأكيد ، اذ لا فائدة من تأكيد ما لا يعرف ، وهم يحملون (رأيت درهما كل درهم) وما اشبهه على الوصف لا على التأكيد .

ثانيا : لما كان كل من النكرة والتوكيد ضد صاحبه ، اذ تدل النكرة على الشياع والعموم ، ويدل التوكيد على التخصص والتعيين . ومعنى توكيد الشائع جعله مخصصا ، وهو ضد ما وضع له ، ويستحيل كون

---

(٨) فتح الجليل للسجاعي / ٢٥٤ .

(٩) شرح الالفية لابن الناظم / ١٩٨ .

(١٠) الصبان على الاشموني ج ٢/٢٨٩ .

الشيء الواحد شائعا مخصوصا في حال واحدة ، فانه لا يصلح ان يكون مؤكدا له . ويشبهه في ذلك عدم جواز وصف النكرة بالمعرفة ، او المعرفة بالنكرة ، لأن كلا منهما ضد صاحبه .

ومن هنا رأى ابن يعيش في « شرح المفصل » انه لا يجوز توكيد النكرة توكيدا معنويا ، لان الالفاظ التي يؤكد بها في المعنى معارف (١١) ، فلا تتبع النكرات توكيدا لها ، لان التوكيد كالصفة (١٢) . ويرى صاحب « المفصل » ان « كل ، واجمعون » لا تقعان تأكيدين للنكرات ، فلا نقول (رأيت قوما كلهم) ولا اجمعين ، بينما يرى الشارح ان « كل » تكون تأكيدا وغير تأكيد ، و « اجمع » لا تكون الا تأكيدا . نقول (ان القوم كلهم في الدار) ، فيجوز رفع كل ونصبها ، فالنصب على التوكيد ، واما الرفع فعلى الابتداء ، ومثله (قل ان الامر كلّه لله) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويستثني ابن هشام (اجمع ، وما تصرف منه) من وجوب اضافتهن الى الضمير ، تقول : اشتريت العبد كله اجمع ، وخدمة كلها جمعاء ، والعبيد كلهم اجمعين ، والاماء كلهن جمع (١٣) .

---

(١١) يذكر في شرح المفصل ج ٤٤/٣ ان هذه الالفاظ معارف من عدة وجوه :

ا ــ ذهب قوم الى انها من معنى المضاف الى المضمر .

ب ــ ذهب بعض المحققين (ابو عثمان المازني) الى ان تعريف هذه الاسماء بالوضع ، وهو من قبيل تعريف الاعلام ، ويدل على صحة ذلك أن اجمع وجمع لا ينصرفان .

ج ــ وذهب آخرون الى أنه معدول عن جماعي لان فعلاء انما تجمع على فعل اذا كانت صفة ، واما اذا كانت اسما فبابها أن تجمع على فعالى ، واجمع وجمع اسمان غير صفتين .

د ــ يذهب صاحب الكتاب الى ان اجمع واجمعين معارف لانها معدولة عن الالف واللام ، والمراد الاجمع والاجمعون ، كما ان امس معدول عن الامس .

(١٢) شرح المفصل ج ٤٤/٣ .

(١٣) شرح شذور الذهب / ٤٣١ .

ولم يكتف البصريون بمحاولة اثبات مذهبهم فقط ، وانما حاولوا الرد على الكوفيين لدحض حججهم ، واثبات بطلانها ، واتبعوا في ذلك سبيل المغالطة المنطقية ، تمشيا مع تفكيرهم المنطقي ، ومنهجهم العام في التقعيد ووضع النظرية ، فنراهم يتعرضون لشواهد الكوفيين من عدة نواح : فمن تخطئة الروايات ، الى فرض الاحتمالات والاتهام بمخالفة الأصول والقياس ، واخيرا الى المغالطة :

١ ـ فهم يرون في « يا ليت عدّة حول كلّه رجب » ، أن الرواية غير صحيحة . والصحيح فيها لديهم « يا ليت عدة حولي كله رجب » ، باضافة حول الى ياء المتكلم ليصبح معرفة ، فلا نكرة عندئذ ، ولا حجة في الشاهد .

واما في « قد صرت البكرة يوما اجمعا » ، فيبطلون الاحتجاج به ، اذ يرونه مجهولا لا يعرف قائله . ولكن ابن جني يرى أنه شاذ ، وان لم يكن مصنوعا ؛ فوجهه عنده « ان أجمع » هذه ليست التي تستعمل للتأكيد ، اعني أن مؤنثها جمعاء ، ولكن التي في قولك ـ اخذت المال باجمعه ـ ، اي بكليته ، فدخول العامل عليها ومباشرته اياها يدل على انها ليست التابعة للتوكيد . فكذلك قوله « يوما اجمعا » ، اي يوما بأجمعه ، حذف حرف الجر ثم ابدل الهاء الفا فصار اجمعا (١٤) .

اما العيني فهو يرى أن « يوما » من غير تنوين ، وأصله يومي ، فالالف منقلبة عن ياء المتكلم ، فاجمع توكيد للمعرفة (١٥) .

---

(١٤) شرح المفصل ج ٣ ـ حاشية / ٤٤ .

(١٥) المصدر نفسه .

٢ ــ واما في قولهم « يوما جديدا كله مطردا » ، فيرون فيه احتمال ان يكون توكيدا للمضمر من جديد ، والمضمرات لا تكـون الا معارف ، وهذا اولى بـــه لانه اقرب اليه من يوم ، فعلى هذا يكون الانشاء بالرفـــع .

ثم هم يعودون بعد هـــذا التشكيك في قيمـــة الشواهد ، والطعن في صحتها ، فيلجأون الى الجـــدل المنطقي في اصل من اصول المنهج المختلف عليه لـــدى كل من المدرستين ، في اعتبار الشذوذ والقياس . يقولـــون « ثم لو قدرنا أن هذه الابيات كلها صحيحة عـــن العرب ، فان الرواية ما ادعوه لما كان فيها حجة ، وذلك لشذوذها وقلتها في بابهـــا ؛ اذ لو طردنا القياس في كل ما جاء شاذا مخالفا للاصول والقياس ، وجعلناه اصلا ، لكان ذلك يؤدي الى ان تختلط الاصول بغيرها ، وان يجعل مـــا ليس بأصل اصلا ؛ وذلك يفسد الصناعة بأسرها ، وهذا لا يجوز (١٦) ، وهم يرون أن هذه المواضع كلها محمولة على البدل لا على التأكيد .

٣ ــ وبالنسبة لتفريق الكوفيين بين ما هو نكرة مؤقت ، وما هو نكرة غير مؤقت ، ليجوزوا قعـــود بعض اليوم ، وقيام بعض الليلة فيصح التوكيد ، فان البصريين يرون أن ذلك لا يستقيم ، لان اليـــوم وان كان مؤقتا الا انه لم يخرج عن كونه نكرة شائعة ، وتأكيد الشائع المنكور بالمعرفة لا يجـــوز كالصفة ، ولان تأكيد ما لا يعـــرف لا فائـــدة فيـــه .

وواضح ان هذه المخالفة للحس اللغوي ، والذوق العقلي ما هي الا حفاظ على وحـــدة النظرية ، ومحاولة لنفي التفريع عن القاعدة ؛ وهم عند ابن يعيش يغلون في التمحل غلوا يخرج بهم عن حدود الانصاف ؛ وما جهلهم لنسبة ما ينكرون من أبيات الى اصحابها الا بسبب هذا الغلو (١٧) .

---

(١٦) الانصاف في مسائل الخلاف / ١٨٧ .

(١٧) شرح المفصل ج ٢ ــ حاشية / ٤٤ .

٢ ــ تعقيـــب :

ونرى بعد هذا العرض الطابع العقلي الذي حكم منهـج كل مدرسة من المدرستين الكبيرتين في كل ما ثار بينهما من خلاف . وبالنسبة للخلاف حول هـذه المسألة فان ابن هشام يلخصه في شرح شذور الذهب (١٨) في قوله : هل يشترط اتحاد التوكيد والمؤكد في التعريف ؟

اننا نعرف أن الكوفيين قد اشترطوا ، لجواز توكيد النكرة المحدودة ، ان يكون التوكيد من الفاظ الاحاطـة والشمول . واذا حاولنا أن ننطلق في البحث ابتداء من هـذه النقطة ، واستقرانا آراء بعض النحويين فيها ، راينا ابن عقيل (١٩) يقول : « يؤكد بكل وجميع ما كان ذا اجزاء يصح وقوع بعضها موقعه ، نحو « جاء الركب كله أو جميعه ، والقبيلة كلها او جميعها ، والرجال كلهم او جميعهم » . ويشبهه في هذا ابن الحاجب (٢٠) اذ يقول « ولا يؤكد بكل واجمع الا ذو اجزاء يصح افتراقها حسا او حكما ، نحو (اكرمت القوم كلهم) ، بخـلاف (جاءني زيد كله) ، فاذا كان المؤكد ذا اجزاء لا يصح افتراقها حسا او حكما ، لم يستفد منهمـا ذلك المعنى ، كقولك : جاء زيد أو سافر ، ونحو ذلك ، لانك لو قلت (أجمع) لم تفد شيئا لم يستفد من قولك جاء زيد ، فاما اذا قلـت : اكرمت القوم كلهم ونحوه ، أظهرت فائدتها باعتبار افادتها الشمول ، اذ لو اقتصرت دونها لجاز ان يكون الاكرام لبعض القوم ، فتبينت الفائدة بمجيئها بخلاف جـاء زيـد كلـه » .

---

(١٨) ص : ٤٣٠ .

(١٩) شرح ابن عقيل ج ٢/١٦٥ .

(٢٠) شرح الكافية / ٦١ .

اما ابن هشام فاننا نرى موقفه متناقضا : فبينما هو في شرح الشذور صفحة (٤٢٩) يوجب كون المؤكد معرفة ، فيرى شذوذ قول عائشة ، رضي الله عنها ، « ما صام رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا كله الا رمضان » وكذلك قول الشاعر « يا ليت عدة شهر كله رجب » ، نرى مسجلا عليه في هامش الصفحة نفسها ان هذا هو رايه في شرح الشذور وفي القطر ، ولكنه في اوضحه ــ تبعا لابن مالك في التسهيل والكافية والخلاصة ــ قد اختار صحة توكيد النكرة ان افاد توكيدها ، فقال : « ان الفائدة تحصل بأن تكون النكرة محدودة ، والتوكيد من الفاظ الأحاطة » .

وراي أكثر العلماء يجاري قول جمهور الكوفيين في اشتراط التحديد في النكرة ، وافادة الاحاطة والشمول في لفظ التوكيد ليجوز توكيد النكرة . وعلى هذا فهم يرون فيما استدل عليه الكوفيون من شواهة الكفاية على اثبات دعواهم . وابن ناظم الألفية يرى في شرحها ان قول الكوفيين اولى بالصواب ، لصحة السماع بذلك لما فيه من فائدة كالتي في توكيد المعرفة ، اذ يرتفع بتوكيد هذه النكرة احتمال ارادة البعض ، فيصير الكلام نصا على المقصود . وهو في هذا موافق لابن الحاجب الذي يرى ما ذهب اليه الكوفيون ليس ببعيد ، لاحتمال تعلق الفعل ببعض ذلك الوقت (٢١) . وابن الناظم يرى رايا جريئا حقا اذ يقول : « فلو لم يسمع من العرب لكان جديرا بأن يجوز قياسا ، فكيف به واستعماله ثابت (٢٢) ؟

ويخضع علماء النحو واللغة المحدثون لحرية العقل والتفكير التي وجهت منهج علماء الكوفة ، فيرى الاستاذ عباس حسن (٢٣) انه برغم تعارض النكرة وتوكيدها توكيدا معنويا تنكيرا وتعريفا ــ اذ يرى ان الفاظ

---

(٢١) شرح الكافية لرضي الدين ــ ج ٣٦٨/١ .

(٢٢) شرح الالفية لابن الناظم / ١٩٨ .

(٢٣) النحو الوافي ج ٤٢١/٣ .

التوكيد المعنوي معارف بذاتها او باضافتها الى الضمير المطابق للمؤكد ، والنكرة تدل على الابهام والشيوع ـ يجوز ـ في الراي الصحيح ـ توكيدها اذا افادها التوكيد شيئا من التحديد والتخصيص ، اذ يقربهـا من التعريف نوعا ، والا لا يجـوز لانه لا فائدة منه . وكذلـك الاستاذ محمد محيي الدين (٢٤) ، فانه يرجح راي جمهور الكوفيين والاخفش ، لانـه موافق للمنقول عـن العرب . وايضا فان الاستاذ مصطفى السقا يرضى اتجاه التحرر العقلـي والفكري لـدى علماء الكوفـة ، وكان يؤكده فـي محاضراته بصدد هـذه المسألة .

★ ★ ★

٣ ـ خلاصـة

وبعد هـذا العرض يمكن للعقل المتبصر ان يلحظ بوضوح الفرق بين النكرة الموغلة في الشيوع والابهام ، والنكرة المحدودة المؤقتة التي تتألف من اجزاء يصح افتراقها حسا او حكما . ولقد كـان الكوفيون مدققين حقا في هذا التمييز بينهما ؛ فانت ترى الفـرق بين ان تقول مثلا « صمت يوما » و « صمت زمنا » ، فان « يوما » هذا يشبه أن يكون معرفة بما هو معروف فيه مـن تحديد وتوقيت ، بداية من طلوع نهار ونهاية الى مثله ، مكونا من اربع وعشرين ساعة موزعة على نهار وليلة ، وفي هـذا المجموع تتساوى كل الأيام وتتشابه . وكم كان العقـل الكوفي حيا عندما اشترطوا لجواز تأكيد هـذه النكرة أن يكـون التوكيد من الفاظ الاحاطة والشمول ، لمنع سقوط بعض هذه الاجزاء أو افترقها ، ان حسا وان حكما ، آذ يجـوز ان يكون الصيام لبعض هـذا اليوم دون بعضه الاخر ، وينتفي ذلك حتمـا اذا قلنا « صمت يوما كله » ، فيتأكد خضوع جميـع اجزاء اليوم للحكم ،

---

(٢٤) شرح شذور الذهب ، هامش / ٤٣٠ .

فيعطي ذلك التوكيد فائدة ، كان يحول دونهـا جـواز الافتراق .. وتتضح تلك الفائدة في هذا المثال ومـا يشبهه اذا قارناه بقولنـا « صمت زمنا كُلَّه » ، حيث لا فائـدة هنا علـى الاطلاق ، اذ بقيت كلمة ـ زمـن ـ على اغراقها في الشيوع ، وابهام مداها ، فهي تصـحّ للقليل والكثير ، فلا يجـوز توكيدها .

وهذا الفرق الدقيق الواضح بين نوعي النكرة المحدودة وغير المحدودة استوقف العقل الكوفي ليشعب في القاعدة اثباتا للحقيقة التي لم يستطع حتى العقل البصري أن ينكرها ، اذ انـه يحسها دامغة ، فراح يتلمس التخريجات المتعسفة التي وصلت بـه الى حد انكار روايـة الشواهد من نحو ، وخوف الخروج على الاصول واختلاطها بغيرها من نحو آخر ؛ وان مجرد دفعهم الشاهد بمحاولة انكار صحـة روايته ، فيـه الدليل على شعورهم بجـواز توكيده ، ولكنهم يتعسفون مغالطـة ومكابرة على اقتناع لايراد التصريح بـه والاعتراف بحقيقته ، خضوعا للضابـط العام الذي يحكم منهجهم في توحيد النظريـة وعدم تفريعها ، وانزلاقا مع الخصومة العلمية التي لا يجـوز أن تبلغ هذا المبلـغ من نفوس العلماء الذيـن يريدون الوصـول الى الحـق .

ترى لو تساءلنا ما المقصود من قولنا « صُمْتُ يوما » ، أهو قصد اثبات الصيام ليوم واحد منعـا لاحتمال التعدد ، أم قصد اثباته ليوم وافٍ غير منقوص ؟ وجواب هـذا السؤال يوضحه ، فيما اعتقـد ، الفرق بين قولنا « صُمْتُ يوما يوما » و « صمت يوما كُلَّه » ؛ اذ ان التوكيد اللفظي في المثال الاول يراد بـه ـ مع عدم كونه للترتيب كأن تقول « صُمتُ ـ الشهر ـ يوما فيوما » ، منع احتمال تعـدد ايام الصيام . اما المثال الثاني المؤكد توكيدا معنويا ، فلا شك ان المراد بـه تأكيد اثبات الصيام لليوم بطُوله ، لا لبعضه دون البعض الآخر . وفائدة هـذا وذاك لا يوجد في حصولها

اي لبس او انبهام ، واللغة يجب ان تسير مع العقل السليم وبه ، وتُخضِع الحس لها كمـــا تَخْضَع له ، وهذا مـــا راعاه الكوفيون في منهجهم ، فجاء فيه من الحيوية وخصب التفكير ما يوجب دراسته دراسة علمية ، وتعميم الأخذ به اثراء للغة العربية بمحصوله الجم وزاده الوفير .

واخيرا ، لا أجد ما اختتم به هذا البحث المتعلق بتأييد النكرة المحدودة بشروطها المبينة ، خيرا مـــن الرجوع الى قول ابن الناظم « فلو لم يُسْمَع به من العرب لكان جديرا بأن يجوز قياسا ، فكيف به واستعماله ثابت » ؟

حسني محمود حسين

جامعة اليرموك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة
في الدورة السابعة والاربعين
١٩٨١

للدكتور عدنان الخطيب
عضو المجمع المؤازر

انعقد مؤتمر مجمع اللغة العربية في دورته السابعة والأربعين بمدينة القاهرة ، في المدة الواقعة من ١٨ ربيع الآخر ، الموافق ٢٣ من شباط (فبراير) حتى ٣ من جمادى الأولى سنة ١٤٠١ هـ ، الموافق ٩ من آذار (مارس) سنة ١٩٨١ م ؛ عقد خلالها اثنتي عشرة جلسة ، منها جلستا الافتتاح والختام .

وفي ما يلي عرض موجز لأهم ما دار في المؤتمر من أبحاث واتخذ من مقررات :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اولا ــ جلسة الافتتاح

كانت جلسة الافتتاح علنية، حضرها جمع من رجال الفكر والأدب ومحبي العربية ، والقيت فيها كلمات ترحيبية ، كما عرضت أعمال المؤتمر في دورته السابقة ، والتطلعات المرجوة منه في هذه الدورة .

افتتح الجلسة **الدكتور ابرهيم مدكور رئيس المجمع** ، وبعد ان رحب بالأعضاء المشاركين في المؤتمر ، القى كلمة قال فيها : « **لقد شاء برنامج مؤتمرنا هذا العام أن يوجه النظر نحو لغة العلم** ، وقد استجاب له غير واحد من السادة الباحثين . ولا شك في اننا نعيش في عصر العلم والتكنولوجيا . ولم يحظ البحث العلمي قط ، في التاريخ قديمه وحديثه ، بتلك الخطوات التي حققها في العصر الحاضر . . » واردف يقول : « وَظَنَّ

خطأ انه **ليس في وسع العربية ان تتابع هـذا السير الحثيث ، وان تؤدي رسالة العلم الحديث** . وربما كان هذا من الأسباب التي دعت الى تكوين المجامع اللغوية . . » وبعد ان ألمح الأستاذ الرئيس الى رسالة المجمع في تطوير اللغة والنهوض بها ، استدرك قائلا : « ولكن **من الخطأ أن يُظَنّ ان المجمع مصنع ألفاظ ومصطلحات ، بل جلّ همه أن يسجل ما استقر عليه عرف العلماء والمتخصصين ، ما دام لا يتعارض مع أصول اللغة** » .

وبعد ان عدد الأستاذ الرئيس بعض القواعد التي اخذ المجمع بها في وضعه للمصطلح العلمي ، من مثل اجازته الاشتقاق من أسماء الأعيان ، وقياسية المصدر الصناعي ، واباحة دخول « ال » التعريف على « لا » النافية ، قال : « . . **وفي ضوء هذا أقر المجمع عشرات الألوف من المصطلحات العلمية** ، وأخرجها في مجموعات سنوية صعدت الى اثنين وعشرين مجلدا ، يضاف اليها كل عام مجموعة جديدة » . وختم الرئيس كلمته قائلا : « ولم يُهمِل المجمع لغة الفن والأدب ، فتلك هي رسالته الأولى . . »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثم قرأ **الدكتور مهدي علام، الأمين العام للمجمع**، تقريره السنوي، موجزا فيه الكلام عن نشاط المجمع خلال العام الماضي ، بادئا بما تم في المؤتمر السابق من اعمال وما صدر عنه من توصيات ، ثم عرض الجهود التي بذلها مجلس المجمع ولجانه المتخصصة والتي ستعرض على المؤتمر في هذه الدورة .

ثم عَدَّد الامين العام المطبوعات التي اتم المجمع طباعتها والتي هي قيد الطبع . ثم أشار الى افتقاد المجمع اثنين من شيوخه ، وهما المرحومان الدكتور أحمد بدوي والشيخ محمد الفحام ، والى فوز الدكتور محمد توفيق الطويل بالانتخاب الذي جرى لملء ما شغر من مقاعد مجمعية.

ثم المح الى فوز كـــل من عضوي المجمع الأستاذ عبـــد السلام هارون بجائزة الملك فيصل العالمية ، والدكتور محمد محمود الصياد بجائزة الدولة التقديريـــــة .

ثم تحـــدث **الدكتور عمر فروخ باسم الوافدين علـــى المؤتمر** ، عن الجهود التي يبذلها المجمعيون في خدمـــة لغة القرآن الكريم وفي الدفاع عنها ؛ ومـــا لبث ان نفث عن صدره صارخا : « وانا الآتي من لبنان يؤلمني ان اقول : **ان اللغة العربية تخوض عندنا اليوم حربا عوانا ؛** ففي (الراديو) وفي (التلفزيون) لا نجد الفصحى الا في نشرات الأخبار وفي عدد من الأحاديث الوقورة ، مما يستمع اليـــه قلة من الناس ، أما برامج الترفيـــه التي تصل الى الكثرة من المستمعين فانها تذاع بغـــير اللغة الفصحى » . وأردف يقول بلسان كل عربي : « وأدعى من هـــذا كله الى الأسى البالغ أن الأخبار التي تذاع من عـــدد من المحطات الأجنبية أفصح ألفاظا وأقوم تركيبا وأصح اعرابا ممـــا اسمعه عندنا في نشرات الأخبار » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وختم الدكتور فروخ كلمته **مهيبا بمجامـــع اللغة العربية الى المبادرة الى حماية اللغة العربية مـــن الأعاصير الهابة عليها من الشرق والغرب ،** ودعا القادرين على حمايتها بأيديهم الـــى النهوض بواجباتهم ، فان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » .

★ ★ ★

ثم ألقى الشاعر الاستاذ محمد عبد الغني حسن قصيدة من روائعه ، ضمنها ترحيبا بأعضاء المؤتمر ، وتمجيدا للعربية ، **ودعوة الى أبنا العروبة للحب والتآخي ونبذ الفرقة والشتات** ، كما ضمنها بكاء لحال العربية وما تلقاه من عدوان اعداء ، ونكاية ابناء . وكان مما ورد فيهـــا :

يـــا رفيقـــيَّ سَقّيانـــي وهاتـــا ... رشفـــة في فمي تـــرد الحياةَ
يـــا رفيقـــيَّ هَيِّئا لـــي بساطا ... انني ظامىء..فهاتا .. وهاتا..
وأديرا الهوى ... صَبوحا غبوقا ... وعشيًّا ، وبكرة ، وغداةً . .
اننا ههنـــا نلوذ مـــن « **الضا** ... **د** » بحصن نرجو عليه النجاةَ
اننا ههنا الـــى الحب ننحـــو ... قبلَ ـــ والله ـــ ان نكون نُحاةَ
(**لغة الضاد**) وَحَّدَتْنا قديمـــا ... لا ارتنـــا فيها الحيـــاةُ شتاتا
فهي كانـــت للسامعين حـــداءً ... وهي كانـــت للخاشعين صـــلاةَ
وهي كانت للهائميـــن على البيـــــــــداء فيئا ومـــوردا ونباتا . .
وَسِعت رقعـــة الجزيرة رمـــلا ... وكثيبـــا ، وواحـــة ، وفـــلاةَ
ثم مَدَّت الـــى الحضارة كفًّـــا ... فأفاءت ظِلاًّ ، وأحْيَـــت مواتا
نَبَّهت نُوَّمًا على صحوة « **الإسـ** ... **لام** » دِينًا ، وأيقظتهم غُفـــاةَ
حَطَّمَت بالايمان رأس « سُواعٍ » ... وجناحَيْ « نَسر » وذيل « مَناةَ »
وأتت بـ « **الكتاب** » سمحا وضيئا ... عربيًّـــا ، وبالمبيـــن اداةً . .
وَقَّعَ اللـــهُ لَحْنها فاسترقَّـــت ... نغماتٍ ، واستحصَدَتْ اصواتا..

★ ★ ★

وسعت ساحةَ العلوم فما كـــا ... نت نُزورا ، ولـــم تكن مِقلاتا
حينما قَدَّمَتْ الى العلـــم شيئا ... لـــم تُقَـــدِّم بضاعـــةً مُزجـــاةَ
انما قدَّمَت الـــى الدهر ما كا ... ن بحـــق لفخرنا مدعاةً . .
ايها الباسطون ايـــدي التآخي ... لم تكونـــوا للحب الا دُعـــاةَ

★ ★ ★

التقيتم هنـــا . . فكنتم عدولا ... وشهودا علـــى الهوى أثباتـــا
لم تَزِدْكُـــم مرارةُ الخُلْـــفِ الا ... قُربـــةً للالـــه او إخباتـــا
ان يكن بعضُنا يميل الـــى الهد ... م فمـــا زلتمو البُنـــاةَ الرعاةُ
بيتنا واسع الرحاب . . فأهلا ... بالذي زارنا ، ووافى ، ووانى..

★ ★ ★

ثانيـــا : المصطلحات العلمية

عُرِضت على المؤتمرين خلال الجلسات التي كانوا يعقدونها يوميا ، المصطلحات الفنيـــة والعلمية المرفوعة الـــى المؤتمر مـــن قِبَل اللجـــان المتخصصة ، بعد أن أقرَّهـــا مجلس المجمع . ودرس المؤتمرون تلـــك المصطلحات وأقروا غالبيتها مُجمِعين عليهـــا ، وبعضا منها بالاكثرية ، كما اقروا بعضا آخر بعد تعديله ، وأعادوا عددا منها الـــى اللجنة التي صدر عنها لأعادة دراسته في ضوء المناقشات التي دارت حوله .

وبلغ عـــدد المصطلحات التي عرضـــت على المؤتمرين (١١٩٨) مصطلحا موزعة بين العلوم والفنون كما يلـــي :

١٩١ مصطلحا في علم الفيزياء (الفيزيقا)
٢٩ مصطلحا في علم النبات
١٢٦ مصطلحا في علم الكيمياء
١٢٨ مصطلحا في علم الصيدلة
١٢٨ مصطلحا في علم الرياضة
٦٤ مصطلحا في علم التربية
٦٢ مصطلحا من الفاظ الحضارة
٨٢ مصطلحا في علم الحيوان
١٧٥ مصطلحا في العلوم الطبية
٦٣ مصطلحا في علم التاريخ
٥٣ مصطلحا في علم الجيولوجيا
٩٧ مصطلحا في علم المياهيات (الهيدرولوجيا) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثالثـــا ــ البحـــوث

القى عدد من الاعضاء ، خلال مدة انعقاد المؤتمر ، بحوثا قيمة في موضوعات شتى . وفيما يلـــي عرض موجـــز لها،مع خلاصة لمـــا دار حولها مـــن مناقشات وتعليقات :

١ ــ **لغة العلـــم** : بحث للدكتور عمر فروخ وثقه بآيات بينات ليثبت ان **اللغـــة العربية لغة واحدة ، يستطيـــع المرء ان يبين بها عـــن شتى الأغراض والمعارف** ، واذا مـــا استثنينا مصطلحات العلوم مـــن جهة ، ومعالم البيان ومحسّنات اللفظ من جهة ثانية ، فان لغـــة العلم تبقى نفسها هي لغة الأدب ، ولا طائل من التفريق بينهما،وخصّ الواحدة منهما بالبحث والـــدرس .

واكد الباحـــث على ان خدمة « لغـــة العلم » **لا تكون الا بخدمـــة الفصحى** ، لغة علـــم وادب على حد سواء ، لان اللغة في كـــل منهما لا تختلف عنا لاخرى الا بمقدار ما يلتزم العالم في لغته بالوضوح والسهولة ، او بمقدار ما يُلزِمُ الاديبُ نفسَه باستخدام المجازات والمحسّنات اللفظية .

واثار البحث عدة تعليقات ومناقشات،اشترك فيهـــا كل من الرئيس الدكتور ابرهيم مدكور ، والاساتذة توفيق المدني ، وعز الدين عبد الله ، واحمد الحوفي ، وعبد الرزاق محيي الدين ، والحبيب ابـــن الخوجه ، ومهدي علام . وكان المعلقون يجمعون ، خلافا لراي صاحب البحث ، على ان للعلم اسلوبه الخاص ، ومن ابرز معالمه : **الدقة والسهولة والوضوح** ؛ وهو بهذا يختلف عن الأسلوب الأدبي الذي يستطيع كل اديب أن يطبعه بطابع خاص ينفـــرد به .

٢ ــ **في الدين والدنيا** : قصيدة للدكتور حسن علي ابرهيم ، بكى فيها شبابا رحل وزمنا فسد ، ونَدَّد بعدوٍّ مُجِر وصديق غدر ، **ثم هزىء**

بدنيا تغيرت فيها القيم وانقلبت فيها المفاهيم ، ولا منجاة لأحد من دنسها الا باللجوء الى الله مع الامل في عفوه ورحمته .

والقصيدة في مجملها من عيون الشعر الوجداني ، تكسوها مسحة من صوفية تدل على نفس مطمئنة راضية بايمانها العميق . وكان اثرها في نفوس المؤتمرين بالغا، فهبوا الى تقديم شكرهم الخالص لزميلهم الطبيب الشاعر مع تهانيهم القلبية .

٣ ــ من غرائب الأساليب : بحث للأستاذ سعيد الأفغاني، عرض فيه بعض المأثور من الأساليب المستغربة في تاريخ الأدب العربي ، وقد شاعت بين الناس منذ زمن طويل ؛ وجاء الباحث بطُرَف سَجَّلها بعض الكُتّاب عن **بواعث هذه الظاهرة في الأساليب** ؛ ثم بيَّن كيف أصبحت غرابة الأسلوب عنوانا على اختلاف لغة العلم عن لغة الأدب ، وعزا شيوع ذلك ، منذ المئة السادسة **الى العلماء ، وعلماء النحو منهم بخاصة** ، الذين نظموا الأراجيز الألفية بقصد تسهيل حفظ العلوم على طلابها ، وجاء الشراح والمحشون من بعدهم فزادوا الإغراب تعقيدا بدافع التعالُم والاحتفاظ للعلماء بمكانة مرموقة .

ثم عرض الباحث نصوصا حديثة تؤيد غرابة اسلوب بعض الكُتّاب في العصر الحاضر ، رغم انه كان يعتقد بانتهاء امر مثل هذه الأساليب .

وجرت تعليقات طريفة على البحث اشترك فيها الاساتذة : عبد الرزاق محيي الدين ، ومهدي علام ، وأحمد الحوفي ، ومحمد عبد الغني حسن ؛ وذكر بعضهم غرائب من أساليب المعاصرين ؛ وقد اختلفوا في بواعث هذه الظاهرة والدوافع الى اقترافها ، فردها البعض الى ما يطلق عليه اسم « الرمزية » وأكد آخرون على أن مصدرها يكمن في

العجز عن الأداء ، بينما اشار بعضهم الى ان معرفة اسباب الظاهرة يدخل في اختصاص علماء النفس .

٤ ـ **من وحي الزيادة في القرآن الكريم** : بحث من ابحاث الأستاذ على النجدي ناصف القيِّمة ، التي عود المؤتمرين على سماعها في كل مؤتمر .

تناول الباحث المقصد البلاغي من زيادة اسم الاشارة في المأثور من الشعر العربي ، وفي مثل قوله الله عز وجل :

(أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (١) .

وكذلك زيادة (لا) النافية في قوله تعالى : (فلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ★ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ) (٢) أو تكرار بعض الجمل في مثل قوله عز من قائل : (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) (٣) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأفاض الباحث في كلامه مؤكدا على ان هذا التكرار وتلك الزيادات ما جاءت عبثا ، بل كل ذلك انما **هو جزء من المعنى المقصود في التنزيل العزيز**

واثنى الدكتور شوقي ضيف اشد الثناء على البحث القيم ، معلنا اتفاقه التام في الرأي مع الباحث فيما اورده من نفي لوجود حروف للزيادة ، مؤكدا على انه لا يشعر عند تلاوته آية (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) المتكررة بأي ضرب من الزيادة ، لانها ترد كل مرة بعد ذكر نعم او آلاء مختلفة ، وكأن كل آية منها تستقل بمعنى جديد ، تأكيدا **لنعم الله التي لا تحصى** .

---

(١) الآية (٥) من سورة الرعد (١٣) .
(٢) الآية (٧٥) من سورة الواقعة (٥٦) .
(٣) الآيات (١٣ ـ ١٧) من سورة الرحمن (٥٥) .

واضطر الباحث بعد هذا التعليق لايضاح لبس قد يقع امرؤ فيه، من قرن بحث التكرار مع بحث زيادة الحروف فقال : ان التكرار ليس من الزيادة اصطلاحا ، ولكنه يُعَدُّ منها في المعنى ، لان التكرار اعادة ، والاعادة ضرب من الزيادة ، ولو انها للتوكيد .

٥ ــ **خطأ القياس** : بحث للدكتور اسحٰق موسى الحسيني . تحدَّث فيه عن العوامل التي تؤدي الى خروج بعض الفاظ اللغة عن دلائلها المألوفة ، ودخول معان جديدة عليها تخالف معانيها السابقة . وجاء بأمثلة عن الفاظ متداولة ، اغلبها كان قد تسَرَّب الى لغتنا المعاصرة نتيجة **ضعف المترجمين عن اللغات الأوروبية،او نتيجة تسرعهم في الترجمة .**

وعرج الباحث على مفهوم تطور معاني الالفاظ في اللغة ، ولم ينكره بالنسبة للعربية ، لان التطور سُنَّة الحياة ؛ ولكنه انكر اشد الانكار ما ينجم عن الترجمة المتسرعة بسبب قياس خاطىء بين العربية واللغة المترجم عنها ، من ظهور الفاظ خاطئة في دلالتها ، او اساليب غير متفقة مع اصول العربية وقواعدها ، ولا تلبث ان تألفها الجماهير ، رغم ما يشوبها من عيب ، بتأثير **وسائل الاعلام الحديثة .**

وتساءل الباحث عما اذا كان من الممكن وضع **قواعد وضوابط لتصويب (٤) الألفاظ الخاطئة،وتقويم الاساليب المنحرفة عن الاصول العربية،** وذلك حفاظا على الفصحى التي نعتز بها ، ومن اهم واجباتنا حمايتها من كل فساد .

---

(٤) التصويب بمعنى تقويم الخطأ وتصحيحه ليس في مسموع اللغة ولم تثبته المعاجم مقتصرة على مفهوم : الحكم بالصواب ، غير انه شاع من اوائل هذا القرن ، فاثبته المعجم الوسيط على أنه مولد ، والمتزمتون يستنكرونه . وعرض هذا المعنى على المؤتمر في دورته السابقة فاقر قبوله لانه يتفق مع قواعد واصول اللغة ، التي تقر بأن التعدية بالتضعيف تحمل معنى الجعل والصيرورة ــ انظر قرار المؤتمر في الدورة (٤٦) والتعليل الذي قام عليه قرار لجنة الالفاظ والاساليب.

وأخيرا ناشد الباحث المؤتمرين **الحدّ من تخريج أمثال تلك الالفاظ والاساليب ، ومنحها شرعية البقاء ، والدخول في المعجم العربي** ، الا اذا وجدت ضـــرورة قصوى .

ولقي البحث استحسانا في نفوس كثيرين من أعضاء المؤتمر ، ولكنه أثار عاصفة من التعليقات المتباينة . وقد وافـــق الرئيس الدكتور ابرهيم مدكور الباحث علـــى كثير من نظراته المبنيّة على متابعة شخصية ، وتساءل مستنكرا : **هل للغيرة على اللغة أن تمنع من تبادل مفاهيم بعض الكلمات مع لغة اخرى اذا كانت بحاجـــة اليها** ؟ ثم أيّد الباحثَ في وجـــوب عدم الاسراف بالأخذ بالجديد مـــن الأساليب والمفاهيم ، مشيرا الـــى جهود لجنة الألفاظ والاساليب وعطائها الملموس ، موضحا منهجها،ويتلخص في : « ان الجديد الذي يعيش مـــدة بسيطة لا يُهتَمّ به ، ولكـــن الجديد الذي يعيش مـــع الناس ويدخل في التعبير والأفكار مدة طويلة ، يجب ان يُبْحَث له عن سند وارض يقـــف عليها » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعلّق الدكتور مهدي علام على البحث **بصعوبة الاخذ بما يطالب به الباحث من وضع ضوابط للأخذ بالجديد** . على أنه يرى شخصيا التفريق بين ما يسمى بـــ « الفرملة » «٥» وما يسمى بـــ « العرقلة » ؛ فالأولى مقبولة لانها تمنع الجموح ، أما الثانية فمرفوضة لانها تمنع من تطـــور اللغة . وأتى بأمثلة ، كان هو نفسه طرفا في حصولها ، مستشهدا بهـــا على أنها عرقلة غـــير مقبولة لانها غـــير منطقية .

« ٥ » فرمل فعل من الدخيل تستعملـــه العامة في مصر بمعنى (كبـــح) وقد اثبته المعجم الوسيط في طبعته الاولى وأشار الى أنه من الدخيل ، كما أشار الى عامية (الفرملة) في تعريفه (الكباحـــة) ولكنه في الطبعة الثانيـــة حذف فعل (فرمل) واثبت كلمـــة (الفرملة) في تعريفه لكلمة (الكباحـــة) دون اشارة الـــى عاميتها .

وانتهت المناقشات بتأكيد من الباحث على انه شخصيا ليس من انصار الجمود ، ووضع قواعد غـير عقلانية ، ولكنه يدعو الى **كبح رغبة من يرى تبرير** (٦) **كلّ لفظة تشيع على الألسنة** ، وكلّ اسلوب غريب ولو كان مخالفا لاصول العربيـة وقواعدها .

٦ ــ الاكتفاء بجملة التذييل عن جواب الشرط في القرآن الكريم :

بحث للدكتور أحمد الحوفي ، عرض فيه جوانب هذا الموضوع النحوي الهام ، مبينا ان من جملة اساليب البلاغة عند العرب حذف جواب الشرط اكتفاء بالشرط نفسه ، أو بالذيل أو بما يشبـه الذيل ؛ غير أن الشواهد على هذا الاسلوب **قليلة فيما وصل الينا من الشعر العربي** ، أو فيما بين ايدينا من نثر البلغاء ، بينما شواهده في القرآن الكريم عديدة (٧) . ومن الامثلة التي جاءت في التنزيل العزيز :

١ ــ ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٨) فجواب (اذا) هنا محذوف **اكتفاء بدلالة الآية التالية عليه** وهي ﴿ وَمَا تَأْتِيهِمْ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ .

٢ ــ ﴿ إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٩) وجواب (ان) في هذه الآية محذوف **اكتفاء بمفهوم ما**

---

(٦) التبرير بمعنى التسويغ والتزكية لم ترد في القديـم من معجمات العربية ، واثبتها المعجم الوسيط على أن هـذا المعنى (محدث) ثم عرض أمـر هذه الكلمة على مؤتمر المجمـع في دورته الرابعـة والثلاثين فاقر المعنى الجديد استنـادا الى قياسية تضعيف الفعـل للتكثير والمبالغـة .

(٧) كلمة (عديـدة) تعني : معدودة ، كما ورد في الأمهات مـن المعاجم ، غير أن مؤتمر المجمع ، في دورته الثالثة والاربعين أقر المعنى الشائع للكلمة أي (كثـيرة) وقد أثبت المعجم الوسيط هـذا المعنى للكلمة .

(٨) الآية (٤٥) من سورة يس (٣٦) .

(٩) الآية (٣٧) من سورة النحل (١٦) .

بعد الشرط وتقديره : (فاعلم ان من اضلّه الله فهو لا يهدى بحرصك) .

٣ ــ ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ (١٠) وجواب (لولا) هنا محذوف **اكتفاء بمفهوم السياق** وتقديره : (لفضحكم وعاجلكم بالعقوبة) .

وجرت تعليقات على البحث من قبل بعض المؤتمرين، فأثنوا على الباحث وشكروا له بحثه الجيد . واعترض الاستاذ عبد العزيز السيد على اشارة الباحث الى الشواهد على الموضوع في الشعر العربي، اذ لا قيمة لأي شاهد أمام التنزيل العزيز . فرد عليه بأن أمر الاستشهاد بالشعر العربي في تفسير القرآن الكريم أمر **فرغ علماء العربية والدين من اقراره** والأخذ به .

٧ ــ **عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي** : بحث للاستاذ أحمد توفيق المدني، ترجم فيه لأحد كبار علماء الجزائر في الفقه المالكي، ومن رجال المئة التاسعة للهجرة ، واصفًا اياه بأنه **كان في الجزائر مثل أبي حنيفة النعمان في بغداد** .

بدأ الباحث الحديث بمقدمة عن تاريخ هجرة القبائل العربية الى المغرب ، وكان منها « **الثعالبة** » وهم بطن من « **بني هلال** » ، وفيهم وُلِد عبد الرحمن سنة ٧٨٥ وتوفي قبل سقوط الأندلس سنة ٨٧٥ ، ودفن في مدينة الجزائر، وله فيها ضريح شهير يزار (١١) .

---

(١٠) الآية (١٠) من سورة النور (٢٤) .

(١١) ترجم للثعالبي أحد معاصرينا أحمد عطية الله صاحب « القاموس الاسلامي » وقال : وينسب اليه مسجد سيدي عبد الرحمن الذي شيده الداي أحمد سنة ١٦٩٦ م .

وعدد الباحث من مؤلفات المترجم له تفسيره للقرآن الكريم ، واكثر من ثلاثين مؤلفا بعضها مطبوع أو معروف وبعضها مفقود .

وشكر الرئيس ابرهيم مدكور للباحث فضله بالترجمة لهذا العالم الجزائري ؛ والترجمة لأمثاله جزء هام من **رسالة التعريف بالعظماء** الذين اسهموا بتكوين تراثنا العلمي محل فخرنا واعتزازنا .

وشكر الأستاذ محمد عبد الغني حسن للباحث بحثه الممتع ، وعلق عليه **بخاطرات سريعة** تضمنت لفت الأنظار الى شخصيات جزائرية تاريخية هامة ، مشيرا الى كل من الأمير عبد القادر الجزائري ، وحفيده جعفر الحسني ، والشيخ طاهر الجزائري (١٢) ، كما اشار الى ثعالبي آخر معاصر هو عبد العزيز (١٣) ، مبديا استغرابه من اغفال السخاوي صاحب « **الضوء اللامع** » الترجمة لعالم مثل عبد الرحمن الثعالبي موضوع البحث القيم (١٤) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٨ ــ **ابن سينا أين أخطأ وأين أصاب** : بحث للدكتور حسن علي ابرهيم تضمن وصفا لشعور طبيب حديث التخرج قرأ كتاب « القانون » لابن سينا ، تدفعه الرغبة ويصدّه الملل ؛ كان يفهم شيئا وتفوته اشياء ، فلما شاب صدغاه وهو يمارس الطب ويتابع تقدمه ويراقب ثغراته ، متصدرا زملاءه في تدريس بعض علومه ، عاد الى قراءة الكتاب فأبهره

---

(١٢) ان كلا من الشيخ طاهر الجزائري وجعفر الحسني من مواليد دمشق ، وفيها عاشا ثم دفنا ، وكانا عضوين في مجمع دمشق ؛ فشاميتهما واضحة وغالبة على اروميتهما الطيبة التي دفعت باسميهما الى خاطرة الزميل الكريم .

(١٣) ان عبد العزيز الثعالبي هو ايضا من مواليد تونس وفيها دفن ، وكان من زعمائها وتونسيته غالبة على اروميته .

(١٤) كان الزميل متسرعا في ابداء هذا الاستغراب لان السخاري ترجم للثعالبي ، وكانت ترجمته مصدرا لكل من جاؤا بعده وترجموا له . انظر ص (١٥٢) من الجزء الرابع من الضوء اللامع ، من الطبعة المصرية المصورة .

ما حوى وادهشته عبقرية فذة سبقت زمنا عاشت فيه بأزمان ، وتبين له انه لا يصاحب أحد معلمي الطب فحسب ، بل هو يقف أمام **أحد عمالقة الفكر الانساني** .

وقف الباحث وقفة غير قصيرة عند مطلع الفية نظمها ابن سينا في علوم الطب حيث يقول :

الطبُّ حِفظُ صِحَّةٍ بُرْءُ مَرَضْ من سبب في بدن لقد عرض

وقف الطبيب المجمعي ليحدث زملاءه قائلا : « وهذا يعني ان الطب ليس علاجا فقط ، وانما هو حفظ الصحة وتجنب الامراض ايضا ؛ فأشار بذلك الى ما نسميه الان **علم الصحة العامة والطب الوقائي** ، وهو ما لم يكن في مفهوم الطب في عصر ــ ابن سينا ــ وأظنه اول طبيب اشار الى اهمية الهواء والرياضة ونوع الغذاء في منع الامراض وعلاجها ، وهو ما نسميه اجمالا اليوم **بالعلاج الطبيعي** » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهكذا مضى الباحث في حديثه عن ما أدهشه في كتاب « القانون » يشرح لزملائه ما لا يفهمه غير الطبيب بدون شرح . وكان مما قاله : « . . كان ابن سينا دقيق الملاحظة الى ابعد حد ، ووصْفُه للأمراض واعراضها رائع ، حتى تشعر وانت تقرأ كتابه انك تقف بجواره ومريض من مرضاك وهو يصف دقائق المرض . . » وبعد ان عرض صورا وجدها في الكتاب قال : « هذه بعض الأمثلة اسوقها ولا استطيع الاسترسال في سرد عظمة هذا الرجل الطبية ، لان ذلك يستغرق كتابا آخر في حجم كتابه ، ولكني انتقل الى الجانب الآخر الذي اخطأ فيه . . . ولو ان الذنب ليس ذنبه ، اذ ان كله تقريبا منقول عن اليونان ولهم العذر . . . » ثم اردف يقول : « . . كذلك اعجبني من الرجل امانته في النقل واحترام

السَلَف ؛ فكان ينسب دائما الى جالينوس ، وحتى الى غيره من نكرات الأطباء اليونيين ، كل صغيرة وكبيرة نقلها عنهم . . » .

وقبل أن يختم المتحدث بحثه قال : « ترى ماذا يقول الطبيب بعد الف عام من يومنا اذا قُدِّر له أن يقرأ كتبنا التي نتدارسها الان ؛ هذا اذا لم يُفْنِ الانسان نفسه بغبائه واطماعه قبل ذلك بكثير ؟ ! » وتابع يجيب عن هذا التساؤل : « **لا شك انه سيضحك من جهلنا** ، وقد يجد أن كثيرا مما كتبناه غير مفهوم له ، ويكفيني ان أقول : **ان اعاجيب تمت اليوم ــ في الطب ــ لم أكن لاحلم بها وانا حديث التخرج . .** » .

وشكر الرئيس ابرهيم مدكور باسم الزملاء المستمعين للطبيب الأديب ما أمتعهم به من علم وفكر وحسن عرض لبعض جوانب تراثنا العربي الخالد .

٩ ــ **من خصائص العربية** : بحث للدكتور تمام حسان ، القى فيه نظرة جديدة ــ في ضوء علم اللغة الحديث ــ على خصائص اللغة العربية ، فكان بحثه **تحديثا** (١٥) ــ على حد تعبيره ــ لفكر قديمة،وانشاءً لأفكار لم يسبق أن تطرق اليها القدماء .

عدَّد الباحث خصائص العربية جامعا اياها في الثلاث التاليات :

اولا ــ دَرَجِيّة التنظيم : وعنى بها أن العربية لغة ذات نظام كلي يشتمل على أنظمة فرعية متدرجة ؛ فالصرف فيها مثلا يسبق النحو ؛ وشرح جوانب هذا التدرج .

---

(١٥) فعل حدَّث المضعف لم يرد في معجمات العربية الا بمعنى : التكليم ، أما معناه الشائع اليوم عند كثير من الكتاب وفي وسائل الاعلام فهو : جعل الشيء حديثا ، وسبق أن تصدت لجنة الألفاظ والاساليب للمعنى الشائع فلم تر فيه مخالفة لمقاييس العربية فقررت اجازته ، وعرض الامر على المؤتمر في الدورة الخامسة والاربعين فقررت الاكثرية رفض قرار اللجنة .

ثانيا ــ الاقتصـــاد : وعُنى به ان العربية تحاول التعبير بالقليل المتناهي من الالفاظ عن الكثير غير المتناهي من المعاني ؛ وشرح كيف يتم ذلك في العربية عن طريق تَعَدُّد الصيغ، ونقـــل الكِلم مـــن باب الى باب، الى غير ذلك من الظواهر المختلفة .

ثالثا ــ مراوغـــة اللبس : وعنى بهـــا قدرة العربية على دفـــع اللبس الناشىء عن خاصية الاقتصاد بالقرائن وحسن العرض والبلاغة ، حتى اذا مـــا تولى العربية مـــن لا يحسنها كانـــت تراكيبه بها عرضـــة للبس .

وشكر الرئيس ابرهيم مدكور للباحث حديثـــه القيّم المركّز .

١٠ ــ مجالات اللغة العلمية في اصول البيان العربي : بحث للدكتور عبد الرزاق محيي الدين، بيّن فيـــه اختلاف أسلوب الاداء بين العلم والادب تبعا لاختلافهما في الجوهـــر رغم وحدة اللغة فيهما ؛ واذا كان استعمال المصطلحات يميّز لغة الأداء في العلم عن لغـــة الأداء في الأدب، فـــان علوم العربية من بلاغـــة وبيان وبديع تكاد تستأثر بهـــا لغة الأداء في الأدب .

واخذ الباحث يستعرض **فروع البيان العربية ويعرضها على مختلف العلوم، ويبين كيـــف ترفضها لغة الأداء فيها** ؛ فلمـــا بلغ فرع المحسنات اللفظية قـــال بأن لغة العلم لا تمانع بقبولها اذا لم تكن متكلّفـــة ، فان كانت فلُغـــةُ الأدب ترفضها اليوم ، كما ترفض لغةُ العلم كـــلَّ غموض واي كناية ولو عن كلمة يمجها الذوق العـــام .

وتلقّى الباحـــث شكر المؤتمرين علـــى بحثه الممتع ، واشترك في التعليق عليه كـــل من الرئيس ابرهيم مدكور والاساتذة مهدي علام ، وتمام حسان ، ومحمد عبد الغني ، وعز الدين عبد الله .

١١ ــ **لمحة عن الشعر المعاصر في الجزيرة العربية** : بحث للأستاذ حسن عبد الله قرشي ، عرض فيه أسماء طائفة من شعراء الجزيرة المعاصرين ، منتخبا نماذج غير مختارة ــ على حد تعبيره ــ من شعر كل واحد منهم ، ملقيا عليها **نظرات نقدية قيمة** .

واشترك في التعليق على هذا البحث المتع كل من الاساتذة : محمد عبد الغني حسن ، ومهدي علام ، ومحمد محمود الصياد ، واحمد الحوفي.

١٢ ــ **جولة مع الكتاب العربي** : بحث للأستاذ محمد عبد الغني حسن، عرض فيه أصنافا من الكتب المطبوعة ومنهج فهرسة كل منها ؛ كما عرض **مناهج تحقيق المخطوطات** ، وما قد يقع فيه المحققون من أوهام ، وما قد تجرّه عليهم السقطات التي تعثروا بها من توالي العثرات ؛ وفي بعض هذه العثرات طرافة، وكثير منها يعتبر من الأخطاء الفاضحة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثم بيّن الباحث أسلوب المؤلفين في مقدمات كتبهم ، **وفوائد المقدمات اذا وجدت** ، وشعور القارىء اذا ما افتقد في كتاب ما المقدمة ؛ كما بين انواع الاشتراك في التأليف ، وفوائد الاشتراك وعيوبه ، **وطرق تعداد مصادر التأليف، والبيانات الواجب ذكرها عن المصادر** ، وفوائد بيانها وعيوب التبجح بها ، ومضار ذكر مصادر غير حقيقية .

وختم الباحث كلامه مشيرا الى كثرة انتاج بعض المؤلفين ، ومزايا سعة الانتاج وعيوبه ، وأخطار اعتماد بعض المؤلفين على الذاكرة دون الرجوع الى النص المكتوب .

وشكر الرئيس ابرهيم مدكور للباحث حديثه المتع ، والدال على التتبع وسعة الاطلاع .

١٣ ــ **لغــة العلــم** : بحث للدكتور سعيد رمضان هداره ، الخبير في المجمع ، عرض فيــه خصائص الاسلوب العلمــي ، مشيرا الى فضل العرب على العلــم والعلماء ، مؤكدا علــى ضرورة الانفتاح اللغــوي ليتم تطوّر لغــة العلم بتطور الحضارة ؛ ثم عدد السمات الاساسية للغة العلم،وتتلخص فــي :

اولا : الوضوح وما يستلزمه من دقة وتبيين ؛ وأشار الباحث الى المزايا التي تتمتع بها اللغة العربية وتساعد على الوضوح المطلوب .

ثانيا : الايجاز والسلاسة وما يتطلبان من سعة اطلاع ؛ وأشار الباحث الى مزايا العربية التي تساعــد على ذلك .

ثالثا : وجود مصطلحات ، وبيّن الباحث طُرق وضع المصطلحات،وضرورة الاتفاق على منهج موحد للحصول على مصطلحات موحدة ؛ كما ذكر ما للعربية من مزايا تساعد في وضع المصطلحات .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وشكر الرئيس الدكتور ابرهيم مذكور للباحث حديثه المفيد .

١٤ ــ **حديث القوافي** : بحث للدكتور عبد الله الطيب عن الموسيقى في الشعر، واثر مختلف الانغام في النفس البشرية ؛ تحدث فيــه عن تجاوب الفاظ اللغة العربية **بمخارجها الصوتية الدقيقة** مع الموسيقى المؤثرة .

وتناول البحــث عبقرية الخليل بن أحمد الفراهيدي،صانع العروض، **في كشفه للانغام ووصفه لبحــور الشعر** ؛ ودافع الباحث عن هذا العبقري العملاق تجاه من يحاول أن يتطاول عليه **ممن يظنون أن الشعر يمكن أن يكون بــلا موسيقى** .

وكان الحديث ممتعا لعشاق الشعر العمودي ، واثار تعليقات قيّمة، اشترك فيها اغلب الشعــراء في المؤتمر، وفيهــم الاساتذة : ابرهيــم

الدمرداش ، وعبد الرزاق محيي الدين ، ومحمد عبد الغني حسن ، والدكتور شوقـي ضيـف .

١٥ ـ **بعض فنون التأليف المعجمي** : بحث للدكتور مجدى وهبه ، بداه بذكر سبب اشتغاله بالتأليف المعجمي ، وهو من المهتمين بنقـل المعاني من لغة الـى اخرى ، وكيف تمت له بعد ذلك **خبرات في صناعة المعاجم** ، فأحب أن يعرضها على زملائه في المجمـع . وصناعـة المعاجم من أهم الامور التي تدخل في اختصاصاتهم بحكـم القانون .

وبعد أن عرض الباحـث ما صنعه المجمـع من معجمات،وما ينوي صنعه خدمة للمعجـم العربي المنشود ، اخذ يسرد تاريخ أشهر معاجم اللغتين الانكليزية والفرنسية الوحيدة اللغـة ، موجزا الكلام على أهـم التجارب التي مـرّ بها واضعو تلك المعاجم،والمناهج التي اقاموا عليها عملهم ، مشيرا الـى القيود التي الزموا أنفسهم بها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وانتهى الباحث الى التأكيد على أن **العمل المعجمي الناجح ما هو الا ثمرة عبقرية اللغة التي يحتويها المعجم**،والجهود الذي يبذلها صانعه .

وشكر الرئيس الدكتور ابرهيم مدكور للباحث حديثه القيم وجهوده في خدمـة المعجم العربـي .

رابعـا : المحاضرات العامة

تضمن جدول أعمال المؤتمر في دورته هذه ، محاضرتين عامتين ، دعي الى حضورهما جمهرة من علماء العربية ورجال الفكـر ومدرسي اللغة العربية ، وفتح أمامهم باب الحوار والنقاش العلني ، وكان الموضوع في هاتين المحاضرتين هـو :

المحاضرة الاولى ــ تيسير تعليم النحــو

ألقاها الدكتور شوقــي ضيف ، عرض فيها لمشاكل النحو العربي وصعوباته منذ فقد العرب السليقة بعد أن اختلطوا بالاعاجم . وتكلم عن **ضعف برامج التعليم الحكومي،وعــن كثرة المواد على طــلاب العلم ؛** وشرح التعقيدات في كتب النحو واسبابها ، مشيرا الى الجهود والمحاولات التي تَمّت خلال نصف قرن مضى من أجل تيسير تعليــم النحو . ثم انتقى المواد التي يرى في الأخذ بها تيسيرا حقيقيا في تعليم النحو ، وعدّدها في ضوء طول معاناته لمشاكــل النحو والتعليم .

وعندما فُتِح بــاب الحوار ، جرت مناقشات مطولــة ، ابد خلالها المتكلمون بعض مــا جاء في المحاضرة ، وعارضوا بعضا آخر ، وابدى بعضهم آراء جديدة . ولم يَخْلُ النقاش من تعريض البعض بالنحو وفوائده ، ومن هــزء بنحو سيبويه وصنيعه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ورد المحاضر علــى المتكلمين واحدا واحدا ، وختم كلامــه قائلا : « . . **لقد دَوّن أجدادنا التراث العظيم الذي تركوه لنا على هدى قواعد سيبويه** ، واننا لــن نستغني عن النحو مــا دامت الفصحى ؛ **والفصحى ستظل ، باذن اللــه ، خالدة ، وسيظل النحو العربي خالدا** ، كما ستبقى المحاولات لتيسيره على الناشئة جادة متواصلة » .

المحاضرة الثانية ــ لغــة الصحافة

القاها الأستاذ محمد زكي عبد القادر ، احد شيوخ الصحافة في مصر ، تحدث فيها عــن تاريخ الصحافة المصرية ، وافاض في الكلام عن لغــة الصحافة في عهدها الذهبي ايــام روادها الأعلام ؛ ثم تكلــم عن العهود التي أخذت فيها لغــة الصحافة بالتدنّي ، وهــي **تُعنَى بالخبر الجديد وبالقصص المثيرة أكثر من عنايتها باللفظ الفصيح والاسلوب الرفيــع .**

وعند فُتح باب الحوار اشترك عدد من الحضور في المناقشات ، وساهموا في تعداد أسباب تدني لغة الصحافة ، واختفاء المجلات التي تعنى بالأساليب المتينة والأدب الرصين . وكادت الآراء تجمع على **أن للنظام السياسي أثراً كبيراً على لغة الصحافة** ، وعلى أن الديمقراطية السياسية **من أهم البواعث على ارتقاء هذه اللغة** .

خامسا : المعجم الكبير

عُرض على المؤتمرين ما انهى مجلس المجمع دراسته والموافقة عليه من مواد المعجم الكبير ؛ وهي المواد المبتدئة من اول الجيم والزاي المضعّفة الى نهاية **حرف الجيم واللام مع التاء** .

واستمع المؤتمرون الى الملاحظات التي قدّمها الدكتور عدنان الخطيب، ثم الملاحظات التي قدّمها الأستاذ حمد الجاسر ، والتي اثارت نقاشا حادا حول **منهجية المعجم الكبير** في نقل المواد الثابت تصحيفها في المعاجم القديمة ، او في نقل التعريفات الخرافية او التي لا يقرها العلم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولم يُنتَه النقاش الى موقف حاسم صحيح ، لسبق اقرار منهج للمعجم الكبير ، وإن كان هذا المنهج غير مفصل ولا دقيق . وقد احيل الامر على لجنة المعجم للنظر فيه .

سادسا : اعمال لجنة الاصول

نظر المؤتمرون في الموضوعات التي اقرتها لجنة الاصول ووافق عليها مجلس المجمع . وفيما يلي موجز عن تلك الموضوعات وما انتهى اليه المؤتمر بشأنها :

الموضوع الأول ــ حذف تاء التانيث من المؤنث المجازي المصغّر

كانت لجنة الأصول ، بناء على طلب لجنة الطب ، انتهت بعد الدراسة الى القرار التالـــي :

« يؤثر العلميون في بعض المصطلحات العلمية عـــدم الحاق التاء بالمؤنث المجازي المصغر عنـــد الحاجة ؛ ومن ذلـــك استعمالهم ، اذين تصغـــيرا لأذن .

وترى اللجنة ان جمهرة اللغويين نصوا على جواز مثل ذلك اذا ادى ظهور التاء الى الالتباس ؛ وتسجـــل معجمات اللغة جملة من المؤنثات المجازية المصغرة تزيد على العشرة غير ملحق بها التاء (١٦) » .

ثم اتخذ مجلس المجمع قرارا بالاكثرية عدل فيه قرار اللجنة كما يلي :

« يجوز **حذف تاء التانيث من المؤنث المجازي ، في المصطلح العلمي ، اذا ادى ظهور التاء الى الالتباس** » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وجرت مناقشات حادة بين طائفتين من الاعضاء ، تُدافِعُ الاولى عن قاعدة نحوية ، ولا ترى ضرورة لتحويل استثناء فيها الى قاعـــدة جديدة ، وترى الطائفة الاخرى ان التحويل المقصود هو مجرد رخصة مقصورة على المصطلـــح العلمـــي .

وعند عرض الموضوع علـــى التصويت تقرر **قبول قـــرار المجلس بالاكثريـــــة** .

---

(١٦) من هذه الامثلة : قوس ، وحرب ، وشجر ، تصغر على : قويس ، وحريب ، وشجير ، ولا يقال شجيرة ، كما تقتضي القاعدة ، خوف الالتباس مع تصغير شجرة .

الموضوع الثاني ــ النسبة الى المثنى في المصطلحات العلمية

اتخذت لجنـــة الأصول ، بطلب من لجنة الطـــب ، القرار التالي :

« ينسب بعض العلميين في المصطلحات العلمية الى المثنى على لفظه دون رده الى مفرده ، كما تقضي بذلك القواعد السائدة ، ايضاحا للدلالة ، كما في اذيناني . وترى اللجنة اجازة ذلك تنظيرا بين المثنى والجمع . . (١٧) »

وعندما عرض قـــرار اللجنة على مجلس المجمـــع قرر الموافقة على الصيغـــة التاليـــة :

« يجوز في المصطلحات العلمية ونحوهـــا ان **ينسب الى المثنى على لفظه دون ردِّه الـــى مفرده** ، كما تقضي بذلك القواعد السائدة ، **ايضاحا للدلالة** كما في اذيناني ؛ **وترى اللجنة اجازة ذلك تنظيرا بين المثنى والجمع** ، اذ أن المجمع اقر من قبل أن ينسب الى الجمـــع بلفظه عند الحاجة كارادة التمييز (١٨) ، على أن يلزم المثنى الالف في هـــذا التركيب ، لان الاعراب عندئذ يكون علـــى الياء ؛ ذلك ان المثنى العادي فيه لغة باعرابه بالألف في جميـــع الأحوال (١٩) » .

وجرت بعض المناقشات تذييلا للمناقشات التي تمت حول الموضوع الأول ، وعند التصويت **تمت اجازة القرار بالاكثرية .**

---

(١٧) نسب العرب الى الجمع فقالـــوا : أنصاري ، ومعافري ، وكلابي ، نسبة الى قبيلة كلاب ، دون رد الكلمة الى المفرد خوفا من الالتباس مع النسبة الى قبيلة كلب .

(١٨) كان المجمع في الجلسة السابعة عشرة من دورته الثانية اتخذ القرار التالـــي : « المذهب البصري في النسب الـــى جمع التكسير أن يُـرَدّ الى واحده ، ثم ينسب الى هذا الواحد . ويرى المجمـــع أن ينسب الـــى لفظ الجمع عند الحاجة ، كارادة التمييز او نحـــو ذلك » انظر أسانيد هـــذا القرار ، وبحث الشيخ محمد الخضر حسين في الاحتجاج لـــه في الجزء الثاني مـــن مجلة مجمع مصر .

(١٩) لم يرد عن العرب كلمات منسوبة الـــى المثنى سوى بحراني نسبة الـــى البحرين ، وكأنهم لجأوا اليه استثقالا لكلمـــة بحريني . انظـــر بحث الدكتـــور شوقي ضيف المقدم الـــى المؤتمر في هـــذه الدورة .

الموضوع الثالث ــ (لا) في محدث الاستعمال

عُرِض على المؤتمر قرار لجنة الاصول التالـــي :

« يجري في الاستعمال المعاصر مثل قولهم : اللامعقول مذهـــب من مذاهب الأدب ، كان عملا لا اخلاقيا ؛ تَصَرُّف لا شعوريا (٢٠) .

ويجوز في هذه الأمثلة السابقة وما يشبهها احد وجهين :

أ ــ اعتبار (لا) النافية غير عاملة، على ان **يعرب ما بعدها بحسب موقعه** ممـــا قبلهـــا .

ب ــ اعتبار (لا) مركبة مع ما بعدها ؛ **ويعرب المركب بحسب موقعه في الجملـــة** » .

وبعد مناقشة سريعة **أقـــر المؤتمرون هذه الاجازة بالاجماع .**

الموضوع الرابع ــ الجمع بين لم ولن او لا ولن

عرض علـــى المؤتمر قرار اللجنة التالـــي :

« يـــرد في التعبير العصري مثل قولهم : ان صورتها لم ولن تغيب عني ؛ ومثل قولهـــم : ان موقفك لا ولن يغير رايي ، ويرد علـــى هذين التعبيرين ، الجمع بين لم ولن ، أو بين لا ولن ، ولم يرد ذلك في المأثور ، وترى اللجنة تسويغ الصيغتين على انهما من باب تنازع العاملين معمولا

---

(٢٠) للمؤتمر ثلاث قرارات سابقة في موضوع (لا) النافية وهـــي :

الاول : اتخذ في الدورة الثانية ونصـــه : « يجوز دخول (أل) على حرف النفي المتصل بالاسم ، واستعماله في لغة العلم ، مثل : اللاهوائي » .

الثاني : اتخذ في الدورة الثامنة ونصـــه : « في ترجمة الصدر a - or - on الذي يدل على معنى النفي ، تقرر وضع كلمة (لا) النافية مركبة مع الكلمة المطلوبة ، فيقال مثلا : اللاجفن واللامقلة » .

الثالث : اتخذ في الدورة الحادية عشرة ونصه : « يجوز استعمال (لا) مركبة مع الاسم المنفرد اذا وافق هذا الاستعمال الذوق ولم ينفر منه السمع » .

واحدا ، أخذًا براي البصريين الذي يجعل العمل في المعمول للعامل الثاني ، مع السعة في تطبيق تلك القاعدة علـــى الحروف » .

وجرت مناقشات ، واختلف راي الاعضاء **حول ادخال التعليل في باب التنازع او في باب المحذوف** (٢١) ، وعرض الأمر علـــى التصويت **فاجازت الأكثرية قـــرار اللجنة كمـــا عرض .**

وانهى المؤتمر النظر في أعمال لجنة الاصول بشكر الرئيس ابرهيم مدكور اللجنة على جهودها في الدراسة والبحث .

سابعا : اعمال لجنة الالفاظ والأساليب

نظر المؤتمر في اعمال لجنة الالفاظ والأساليب المحالة عليه من قبل مجلس المجمع ، وفيما يلـــي نص القرارات الصادرة عن اللجنة ، وموجز لما اتخذه المؤتمـــر بشأنها :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القسم الأول : الالفاظ

ا ـــ الموسوعـــــة

تلي قـــرار اللجنة التالـــي :

« يشيع في اللغة المعاصرة استعمال كلمة الموسوعة ، مرادا بها **الكتاب الذي يحوي معارف موسوعة في موضوع واحد** ، او في موضوعات متعددة ، كما تطلق على ما يسمى الان دائرة المعارف ، فيقال : الموسوعة الميسرة ، وقسم موسوعي للأعلام التاريخية والفقهية ، وموسوعة الفقه الاسلامـــــي .

---

(٢١) اي حذف معمول العامل الأول فيكون اصل المثـل الأول : ان صورتها لم تغب عني ولـــن تغيب عنـــي .

وقد يتردد الناقد اللغوي في قبول هذه الكلمة لانها ليست في مأثور اللغة ، او لان الموسوعة مفعولة اطلقت على الوعاء او المحل ، وهو الكتاب ، في حين ان الموسوع هو المحتوى او المادة التي يشتمل عليها الكتاب ، لانه يسعها او يتسع لها .

ولما كان في المعجمات قول العرب : وسع الله عليه رزقه يوسعه وسعا : **بسطه فالرزق مبسوط ويمكن القياس عليه** فيقال : وسع المؤلف الكتاب ، **فالكتاب موسوع** . وقولهم هذا الوعاء يسع عشرين كيلا ، وهذا الوعاء يسعه عشرون كيلا فالوعاء في المثال الثاني موسوع بدلالة المفعولية . واللجنة **تجيز استعمال الموسوعة بمعناها العصري** في دلالتها على المحلية الواسعة او الموسوعة او المتسعة » .

وعقب تداول الراي ، اعلن الرئيس **موافقة المؤتمرين بالاجماع على** القرار .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ب ـ منضدة

تلي قرار اللجنة الآتي :

« يشيع في اللغة المعاصرة استعمال منضدة ومناضد ، مرادا بها **نوع من أثاث البيت توضع فوقه الأواني** او الأدوات بنظام معين .

ويؤخذ على هذا الاستعمال انه لم يرد مفردا او جمعا في المعجمات ، وقد ورد الجمع في قول مزرد بن ضرار الغطفاني :

وعهدي بكم تستنفعون مشافرا من المحض بالأضياف فوق المناضد

وربما قصد بالمناضد هنا الأسرّة التي يجلسون عليها .

واما المعجمات فقد ذكرت الفعل من هذه المادة وهـو : نضد المتاع ينضده نضداً ونَضّده تنضيدا : **جعل بعضه على بعض** ، والنضد بالتحريك : ما نضد من متاع البيت ، وكذلك السرير ينضد عليـه المتاع او الثياب ، والجمع انضاد . من هذا العرض ترى اللجنة ما يلـي :

اولا : **اجازة استعمال مُنَضَّدة على مُفَعَّلة** ، بفتح الميم والعين مـن وجهين : احدهما انهـا اسم مكان من الفعل نضد ينضد ، بكسر المضارع ، وان كان القياس (منضد) على مفعل بكسر العين ، تعديلا علـى أن في المسموع من اسماء المكان ما جاء على وزن مفعل ، بفتح العين ، مع ان فعله من بـاب ضرب .

والثاني : انها صيغة على وزن مفعلة للمكان يكثر فيه النضد ، وهو اثاث البيت ومتاعه ؛ وقد سبق ان اقر المجمع هذه الصيغة للمكان يكثر فيه الشـيء قياسا .

ثالثا : اجازة منضدة على مفعلة اسما للآلة ، من قبل ان الأواني والأدوات والمتاع توضع فوقها ، فتصير بذلـك معدة للأكل عليها او للعب او للجلوس ، فكأنها ممـا يعالج به الشيء وينقل » .

واعلن الرئيس **موافقة المؤتمرين على القرار بالاجماع .**

ج ـ القيمـة والقيـم

تلي قـرارا اللجنة التاليـان :

١ ـ القيمـة

« يشيع في اللغة المعاصرة استعمال القيمـة والقيم للدلالة على **الفضائل الدينية والخلقية والاجتماعية التي تقوم عليهـا حياة المجتمع الانسانـي .**

ويؤخذ على هذا الاستعمال انه لم يرد في المعجمات بهذا المعنى ، وانما الذي ورد فيها للفظ القيمة معنيان ، أولهما : ان قيمة الشيء ثمنه ، والثاني : **الثبات والاستقرار** . قال الفيروز ابادى ما له قيمة : اذا لم يدم على الشيء . ولما كان وزن المرء مرتبطا بما فيه من فضيلة ، ووزن الأمة بما فيها من فضائل ، صارت لها سجايا ثابتة لا تتغير ؛ وكذلك الفنون لما كانت تقوم بما فيها من سمات تتفق مع حياة الجماعة الانسانية ، فان العلاقة قائمة بين المعنيين القديم والحديث ، وقد استعمل الجاحظ القيمة بهذا المعنى في موضعين من رسالته : كتمان السر وحفظ اللسان « تدبرت اعراقك ، وتأملت شيمك ، ووزنتك فعرفت مقدارك ، وقومتك فعلمت قيمتك ، فوجدتك قد ناهزت الكمال » .

« اغتياب الناس جميعا خطة جور في الحكم ، وسقوط في الهمة ، وسخافة في الرأي ودناءة في القيمة » .

ومن هنا ترى اللجنة أن استعمال القيمة والقيم للدلالة على هذا المعنى المحدث **جائز من قبيل المجاز المرسل** » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢ ـ **القَيِّم**

« تشيع كلمة القَيِّم بمعنى **الجيد ، أو ما له قيمة ممتازة** . والمأثور في اللغة ان القيم هو المستقيم ، ومنه الدين القيم او دين القيمة ، اي الملة المستقيمة الفارقة بين الحق والباطل . وترى اللجنة **اجازة الاستعمال** العصري لكلمة (القيم) تعويلا على ما جاء في مستدرك التاج من قوله قَيِّم : حسن ، والعلاقة واضحة بين الاستعمال والمأثور باعتبار أن الجودة أو الحسن أو الامتياز ثمرة الاستقامة » .

وبعد مناقشة وجيزة اعلن الرئيس **اجماع المؤتمرين على قبول قراري اللجنة** .

د ــ صفراوي وصفرائي

تلي قرار اللجنة التالـــي :

« يرى بعض العلميين اذا نسبت الى الصفراء اسما ــ وهي احدى مواد الجسم الاربعة : الدم والبلغم والصفراء والسوداء ، ضرورة النسبة الى الصفراء علـــى لفظها ، وهـــي الاسم تمييزا بين المنسوب الى الصفة وهي الصفراء ، لمـــا يترتب على ذلك من فروق علمية .

وقد يؤخذ على ذلـــك أن القاعدة عند جمهـــرة النحو والتصريـــف اذا نسبوا الـــى المختوم بألف التأنيث الممدودة ، **فانه يجـــب قلب الهمزة واوا** ، فيقولون في حمراء وصفراء وزرقاء : حمراوي وصفراوي وزرقاوي . وقد نقل أبو حاتم السجستاني ان من العرب من يقول : حمرائي وصفرائي ، فيقر الهمزة من غـــير قلب تشبيها بألـــف كساء . لذلك ترى اللجنة انـــه **يجوز عند الحاجة، كالتمييز بين الاسم والصفة، أن ينسب الى هـــذا الضرب المختوم بألف التأنيث الممدودة ببقاء الهمزة كما هي ، دون أن تقلب واوا .** ويضاف الى ذلك أن المجمع سبق له أن أجاز مثل هذا التوجيه في النسبة الى كيمياء ، اذ يقال كيميائـــي (٢٢) » .

وبعد مناقشـــة هادئة **وافق المؤتمرون على اجازة هـــذا القرار .**

هـ ــ تَوَفَّى والمتوفِّي

تُلي قرار اللجنة المعدل من قبل المجلس كما يلـــي :

« يشيع في الاستعمال المعاصر قول المتحدثين **تُوُفِّي فلان ، بالبناء للمعلوم** ، فهو متوفٍّ . ويأخذ بعض النقاد على هذا الاستعمال **أن المسموع**

---

(٢٢) يقال في النسبة الى كلمـــة كيمياء : كيميائي ، وكيمياوي ، وكيماوي . انظر بحث الأب ماري انستاس الكرملي في الدورة السادسة ، وقـــرار المؤتمر فيها : وانظر ابحاث المجلس في الدورة الخامسة عشرة وقراره في الدورة الخامسة والعشرين . ومن الغرائب ان المعجم الوسيط أثبت صيغتي النسبة الأولى والثانية وأغفل الثالثة .

في اللغة تُوُفِّيَ ، ببناء الفعل للمجهول ، فهو متوفًى ، بصيغة اسم المفعول . والتعبير الشائع سائغ في قراءة ابي عبد الرحمن السلمى (٢٣) مرفوعة الى علي بن ابي طالب في قوله تعالى (والذين يُتَوَفَّوْنَ منكم) (٢٤) وقد وجه هذه القراءة لغويا ابن جني (٢٥) والسخاوي الذي زاد أن تَوَفَّى بمعنى استوفى اجله ؛ ومجيء تَفَعَّل المضعف المزيد التاء بمعنى استفعل نص عليه الرضي ؛ وما قاله السخاوي (٢٦) في (الاعلان) فلان المستوفى ، وانت في فتح الفاء وكسرها بالخيار . وترى اللجنة أن كلا من التعبيرين صحيح لا غبار عليه » .

وجرت مناقشات حادة بين مؤيدي القرار ومعارضيه ، واشترك في معارضته كل من الاستاذ محمد عبد الغني حسن ، وعبد الرزاق محيي الدين ، ومهدي علام . واضاف الدكتور عبد الله الطيب **ان القراءة المستند اليها شاذة** (٢٧) **ورفض قبول أن عليا كرم الله وجهه قرأ بها** (٢٨) ؛ وبعد عرض الامر على التصويت قررت الاكثرية **رفض قرار اللجنة .**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(٢٣) هو محمد بن الحسين الازدي النيسابوري ، من علماء المتصوفة ، ومن كبار المؤلفين ، توفي سنة ٤١٢ ، ترجم له الزركلي في الاعلام ج ٦/٣٣٠ .

(٢٤) الآية (٢٣٤) من سورة البقرة (م) .

(٢٥) ابو الفتح عثمان في كتابه « المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها » طبعة المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية بتحقيق الاساتذة علي النجدي ناصف ، وعبد الحكيم النجار ، وعبد الفتاح اسماعيل شلبي . القاهرة ١٩٦٦ — ١٩٦٩

(٢٦) هو المؤرخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن المتوفى سنة ٩٠٢ ، وذلك في كتابه « الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » .

(٢٧) جاء في الصفحة (١٢٥) من الجزء الاول من كتاب المحتسب : « وعن ذلك ما رواه ابو عبد الرحمن السلمي عن علي بن ابي طالب (عليه السلام) : « والذين يتوفون منكم » بفتح الياء .

قال ابن مجاهد : ولا يقرأ بها .

قال ابو الفتح : هذا الذي انكره ابن مجاهد عندي مستقيم جائز ، وذلك انه على حذف المفعول » .

(٢٨) لم أجد في ما بين يدي من كتب القراءات أي اشارة الى الطريق الذي رفع فيه السلمي روايته الى علي بن ابي طالب . اما محققو كتاب المحتسب فقد ترجموا لجميع الأعلام الواردة اسماؤهم فيه ، ولكن فاتني العثور على ترجمة

و ـ جَمَّـد وتَجَمَّـد

تُلـي قرار اللجنة التالـي :

« يشيع في اللغة المعاصرة مثل قولهـم : تجميد الارصدة ، تجميد اموال الشركة ، تجميد التركة ، بمعنى منع حق **التصرف فيها جميعا** . ومثل قولهم تجمُّد السائل والمـاء ، **بمعنى صلابتهما بعد أن كانا سائلين** . ويؤخذ على هذين التعبيرين أن الفعلين جَمَّد وتَجَمَّد غير موجودين بالمعاجم .

وطوعا لقـرار المجمع في « **جواز اكمال الاشتقاقات في مادة لم ترد في المعاجم ، وجواز تضعيف الفعل للتعدية ، وقياسية المطاوعة** »والمعروف من أن تعدية الثلاثي تفيد التصيير الى الشيء ، مثل قَوَّاه جعله قويا . وعليه يقال : جَمَّد الشيء وجعله جامدا والمصدر التجميد .

وترى اللجنة أن قول المعاصرين تجميد المفاوضات ، بمعنى وقـف اجرائها ، وتجميد الأنشطة ونحوها ، **جائز من طريق المجاز** ، أما قولهم تَجَمُّد السائل والمائع **فجائز من باب المطاوعة** يقـال : جَمَّد السائل فتَجَمَّد تَجَمُّـدا » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعرض هذا القرار على التصويت **فقُبل بالاجماع** .

ز ـ تربـوي وتنمـوي

تُلي قرار اللجنة المعدل من قبل المجلس كما يلـي :

« يشيع في لغة علماء التربية والاقتصاد مثل قولهم في النسبة الى تربية وتنمية « **تربوي وتنموي** » . وقد يؤخذ علـى هاتين النسبتين وما

= للسلمي بينهم ، غـير اني وجدت الزركلي ينقل في الأعـلام قول الذهبي عنـه : « شيخ الصوفية وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم . قبل : كان يضع الاحاديث للصوفية » كما نقل عن كتاب التبيان لبديعـة البيان لابن ناصر الدين قولـه : « هو حافظ زاهد لكن ليس بعمدة » والكتاب مخطوط في مكتبة أحمد عبيد ، وعليه استدراك بقلم ابن حجـر العسقلاني . انظر الأعلام ج ١٠ ص ٢٨٦ .

شاكلهما انهما تخالفان المشهور من فصيح العربية ، فالمقرر في النسب الى المنقوص الذي رابعه ياء أحد وجهين :

الأول : **ان تحذف الياء** فيقال : قاض .

والثاني : **الا تحذف الياء بل يفتح ما قبلها وتقلب هي واوا** ثم تضاف ياء النسب فيقال : قاضوي . ولما كان اعمال هذه القاعدة على تربوي ، وتنموي يجعلها مشاكلة لما اقره سيبويه في نحو : عرقوه ، وقرنوه ، وقد ضم ما قبل الواو في المنسوب ، وفتح عند النسبة : ترى اللجنة أن النسبة الى مثل تربية ، تنمية وتزكية : تربوي ، تنموي ، تزكوي **صحيحة الاستعمال** » .

وبعد مناقشة سريعة **قبل القرار بالاجماع** .

ح ــ تحديد معنى النَسَب وعلاقته بالمصاهرة

تلي قرار اللجنة الآتي :

« يشيع في اللغة المعاصرة استعمال كلمة النَسَب مرادا به المصاهرة ؛ فيقال بين فلان وفلان نَسَب ، وفلان نسيب فلان ، **أي صهره** ؛ ويؤخذ على هذا الاستعمال أن اللفظتين مختلفتان في الدلالة ؛ فالنَسَب عند جمهور أهل اللغة هو القرابة ، أي قرابة الدم والقربى في الرحم ، **والمصاهرة هي القرابة الزوجية** ، والصهر اهل بيت المراة وقرابات النساء .

ولكن ورد في المصباح والمعيار ما يفيد اطلاق النَسَب على مطلق القرابة . يقول الفيومي : استعمل النسب وهو المصدر في مطلق الوصلة بالقرابة ، فيقال : بينهما نَسَب اي قرابة ، ومن هنا استعيرت النسبة في المقادير لانها وصلة على وجه مخصوص . ويقول الشيرازي : يستعمل النسب في مطلق الوصلة والقرابة ، فيقال : بينهما نسب ، اي قرابة ، سواء جاز بينهما تناسب ام لا . ومن هنا استعيرت النسبة في المقادير .

وبناء على ما جاء في المصباح والمعيار من اطلاق النسب على القرابة عامة ، ترى اللجنـــة : أن الاستعمال المعاصر للفظة النسب في معنـــى المصاهرة ، والنسيب في معنى الصهر **جائز من باب التوسع والتعميم** » .

وجرت حول هذا القرار مناقشات حادة اشترك فيها عدد من الزملاء ، وقال الدكتور عمـــر فروخ : « اذا كان اللـــه جل وعلا **فرق في المعنى بين اللفظين** فقال : (وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا)(٢٩) فما بالنا نجري وراء العامة في الخلط بينهما ! ! » .

وانتهت المناقشات **برفض الأكثرية للقرار** .

ط ــ خصوم اُلدّاء واعداء الدّاء

تلي قرار اللجنة التالـــي :

« يشيع في اللغة المعاصرة مثل قولهم : خصوم الدّاء واعداء اُلدّاء ، يعنون انهم **قد اشتدت بينهم العداوة والبغضاء** . ويؤخذ على هذا التعبير امـــران :

احدهما : ان اللدد لم يرد في مأثور اللغة الا في معنى اشتداد الخصومة والجدل ، لا اشتداد العداوة . وهناك فرق بين الخصومة والعداوة وبين الخصـــم والعـــدو .

والثاني : ان كلمة الالداء جمعا لم ترد في معجم لغوي ، وكذلك لم يرد في مادة اللدد مفرد يجيء جمعه على افعلاء ، والجموع المسموعة المنصوص عليهـــا هي : لُدّ ، ولِداد ، والِدّة ، والمسموع في مفردها : الد ، ولدود

وترى اللجنـــة **اجازة هذا التعبير** باعتبارين :

---

(٢٩) الآية (٥٤) من سورة الفرقان (٢٥) .

الأول : ان استعمال اللـــدد مسندا الى العداوة ، مع انه في اصل استعماله يسند الى الخصومة ، انما هو من قبيل الاتساع ، مراعاة لمعنى الشدة في دلالـــة اللدد ، ومراعاة لان العداوة مبعثهـــا الخصومة ، وان الخصومة من دواعي العداوة .

ثانيا : جـــاء الفعل « لد » لازما ومتعديا بمعنى واحد ، هو اشتداد الخصومة والجدل . وجاء الوصف من اللازم : الد ، وجمع على لد ولداد ، وجاء الوصف من المتعدي : لدود وجمع على الدة .

وآذا كان لُدَّهُ بمعنى خاصمه مسموعا ، فانه يمكن لنا أن نصوغ من الفعل المتعدي بناء للمبالغة علـــى وزن فعيل ، فنقول : لديد ، وعندئذ يكون من اليسير ان يجيء الجمع الداء قياسا سائغا » .

وجرت مناقشـات بين معارضين لهـــذا القرار أو للتخريج الذي جاء به ومن يدافع عنه ، ولمـــا عرض على التصويت **قررت الاكثرية رفضه** .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ي ــ المُعَمَّـــر

تلي قرار اللجنة التالـــي :

« يشيع في اللغة المعاصرة مثل قولهم : سلعٌ معمَّرة وشجر معمَّر. والمسموع في اللغـــة أن ذلك على صيغة اسم المفعـــول ، ولكن تخريج الاستعمال العصري يستند الـــى ان اللغة اثبتت فعل عَمَّرَ مجردا لازما ، وتضعيف فعل للتكثير والمبالغة قياس مجمعي . على أن في مستدرك التاج ما يدل على ان ذلك مسموع ، وربما كان هذا **علة اثباته في معجم اقـــرب المـــوارد** » .

وجرت مناقشات حول هذا القرار واستنكره عدد مـــن الاعضاء فلما عرض على التصويت **قررت الاكثرية رفضه** .

القسم الثانـــي ــ الأساليب

ا ــ تَرَسَّم فلان خُطا فلان

تلي قرار اللجنة التالـــي :

« يشيع في اللغة المعاصرة قول الكتاب : ترسم فلان خطا فلان » ، بمعنى تتبعها ، واقتفاها ، وسار عليها . ويرد على هـــذا الاستعمال انه ليس واردا بهـــذا المعنى في المعجمات ، وانما الموجود فيها ترسم الرسم : نظرا اليه ، وترسمت المنزل : تأملـــت رسمه وتفرسته . وفيها ايضا : رسمت له كذا فارتسمه اذا امتثله ، وأنا ارتسم مراسمك : لا اتخطاها .

ولما كان الترسم والتأمل كثيرا ما يؤدي الى المتابعة والمحاكاة ، فان اللجنـــة **تقر استعمال هذا التعبير محل النظر على أساس المجاز المرسل** باطلاق السبب على المسبب » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وجرت مناقشات حول المفهوم الدقيق لهذا التعبير ، وان جملة : ترسم خطاه تعني نهج نهجه ، **وعرض الأمر على التصويت فاقر بالاجماع .**

ب ــ فَحَصَ الشيءَ

تلي قـــرار اللجنة التالـــي :

« يشيع في اللغة المعاصرة مثل قولهم (فحص الخبير الانتاج العلمي) مرادا بـــه بيان قيمة العمل العلمي . وقد يؤخذ على هـــذا الاستعمال ان الفعل فحص تعدى بنفسه ، مع انه في المعاجم متعد بحرف الجر « عن ». فعن اللسان : فحص عنـــه كمنع : بحـــث . وتقول فحصت عن فلان ، وفحصت عن أمره لأعلم كنـــه حاله .

وترى اللجنة **أن قول العرب : فحص المطر التراب ، كاف لاجـازة التعبير محل النظر على سبيل المجـاز** ، لان فاحص الانتاج العلمـي يقلّبه ليردد النظر فيه كما يقلب المطر التراب » .

واستنكر بعض الاعضاء هذا القرار ، ولما عرض على التصويت **تقرر بالاكثريـة قبوله** .

ج ـ شُجْبُ العدوان

تلي قرار اللجنة المعدل من قبل المجلس كما يلـي :

« يشيع في اللغة المعاصرة مثل قولهـم : نحن نشجب العدوان ، ويقصدون بـه أنهم **يستنكرون الحرب أشد الاستنكار** . ويؤخذ على هذا التعبير أن الشجب في اللغة هو الاهلاك . وترى اللجنة أن المراد بالشجب في الاستعمال المعاصر هو **الرفض للشيء ، والاستبعاد له** ، والرغبة في محوه لاستنكاره ؛ والمجاز **يتسع لحمل الشجب علـى الاهلاك** ، لانه يلزم من الاستنكار الشديد والرغبة في زواله . وعلى ذلك تجيز اللجنة استعمال الشجب في دلالته المعاصرة » .

وجرت مناقشة حادة حول مفهوم الشجب ، واستنكره البعض ، ولما عرض الامر على التصويت **أجيز القـرار بالاكثرية** .

د ـ الاستشعار مـن بعيد

تُلي قرار اللجنة المعدل من قبل المجلس كما يلـي :

« يشيع في لغة العلميين مثل قولهم : الاستشعار من بعيد ؛ وهو مصطلح يعنون به **علم ما على ظهر الارض وما في بطنها من شيء بوسائل شتى** ، منها ما يتـم عن طريق الذبذبات التي تصدر عن الطائرات ونحوها ،

فتصور ما على الارض من زروع ، ومبان ، ومعدات ، او تصور ما في جوفها من نفط وماء ومعادن . هذا المصطلح لحداثة استعماله وحداثة عهده بالحياة قد يؤخذ عليه أنه غير صحيح لغويا في اللغة :

شعرت بالشيء شعرا : علمت به ، واشعرته الامر واشعرته به اعلمته اياه ـ واستشعرْ خشية الله ، اي اجعلها شعار قلبك .

وترى اللجنة بذلك ان مادة الشعور تحمل معنى العلم ، وان صيغة استشعر واردة . ولذلك **تجيز استعمال الاستشعار في دلالته المعاصرة** » .

وبعد مناقشة سريعة عرض الامر على التصويت **فقبل بالاكثرية** .

هـ ـ حتى انت يا صديقي !

تلي قرار اللجنة التالي :

« يشيع في اللغة المعاصرة مثل قولهم : حتى أنت يا رفيق الجهاد ، حتى انت يا صديقي !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويؤخذ على هذا التعبير **ان حتى لم يؤثر دخولها على ضمير رفع منفصل او اسم مرفوع في المشهور من قواعد العربية** . ولم يرد قبلها كلام فتكون غايـة لـه .

وترى اللجنة اجازة التعبير استنادا لما قال به ابن هشام في تعليقه على بيت الفرزدق :

فواعجبا حتى كليب تسبني كأن اباها نهشل أو مجاشع

فقدر جملة ليكون ما بعدها حتى غاية لها : فواعجبا يسبني الناس حتى كليب تسبني » .

وبعد مناقشة استشهد خلالها بتعبيرات مأثورة مشابهة ، **قررت الاكثرية اجازة هذا التعبير** .

ثامنـــا ــ جلسة الختام

عقد المؤتمرون صباح يوم الاثنين في الثالث من جمادى الأولى سنة ١٤٠١ هـ ، وفق التاسع مـــن آذار (مارس) سنة ١٩٨١ م ، جلستهم الختامية ، وفيها عرض الدكتور مهدي علام،امين المجمع،ما انجزه المؤتمر خلال هـــذه الدورة ؛ ثم تليـــت اقتراحات الاعضاء وملاحظاتهم ؛ وكان اكثرهـــا **تساؤلات عما بلغ المجمع من صدى توصيات المؤتمـــر السابقة** ، وبعضها يطالب بالتأكيد علـــى السلطات المختصة فيما يتصل بوسائل الاعلام من اذاعة مرئية ومسموعة وصحافة ، وهي في اغلب البلاد العربية **قطاعات عامة تملكها الدولة وتديرها .**

وطالب اعضاء بالعمل على **تقوية صلة مجامع اللغة بالناس** ، وعلى نشر اعمالها وما يصدر عنها من مقررات وتوصيات ، وبالعمل الجـــدي على توحيد المصطلحات بين مختلف الاقطار العربية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثم اقر المؤتمرون التوصيات النهائية التاليـــة :

١ ــ يوصي المؤتمر وزارات التربية والتعليم في مصر والوطن العربي بضرورة تيسير تعليم النحو للناشئة في ضوء الصيغة الميسرة التي قدمها الدكتور شوقي ضيف واقرها مجلس المجمع ومؤتمره .

٢ ــ يوصي المؤتمر بأن تعنى وسائل الاعلام ــ صحافة واذاعة مسموعة ومرئية ــ بضرورة الحفاظ على قواعد اللغة العربيـــة ، ونطق الكلمات نطقا سليما ، واعداد العاملين بها اعدادا لغويا وصوتيا ، مستعينة في ذلك بالاساتذة المتخصصين في مجالي النحو والصرفيات

٣ ــ ان الحفاظ علـــى سلامة اللغة العربية يتطلب مـــن الجامعات والمسؤولين في وزارات التعليم ضرورة العناية باستخدام اللغة

العربية السليمة في التدريس ، سواء في فروع اللغة العربية أو المواد الاخرى . ومن ثم يوصي المؤتمر بضرورة اعداد المدرسين اعدادا لغويا وصوتيا ييسر لهم استخدام اللغة العربية في التدريس استخداما صحيحا .

٤ ـ يوصي المؤتمر الصحافة العربية بمزيد من العناية بسلامة لغتها ، ويقدر للصحافة ما اخذت به من تخصيص جانب من صفحاتها للثقافة العربية بعامة . ويوصي كذلك بفسح مجال أوسع لها مع ضرورة الاهتمام بما تخرجه الهيئات المتخصصة في مجال اللغة العربية وفنونها المختلفة .

٥ ـ ان تعريب التعليم الجامعي هدف يسعى اليه العالم العربي بأسره ، وسبيله الحق هو تزويد مكتباتنا بالمصادر العربية القديمة والحديثة ، وتزويدها بفهارس المكتبات الاخرى في العالم العربي ، حتى يتيسر للباحثين انجاز مهامهم العلمية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبعد هذا أعلن الدكتور ابرهيم مدكور ، رئيس المؤتمر ، ختام الدورة السابعة والاربعين ، متمنيا للاعضاء الخير والصحة ، آملا اللقاء بهم في الدورة القادمة التي ستعقد ان شاء الله في الاسبوع الاخير من شباط (فبراير) سنة ١٩٨٢ .

الدكتور عدنان الخطيب

المثل والقيم الأخلاقية في الشعر الجاهلي

للدكتور عفيف عبد الرحمن
(جامعة اليرموك)

لقد فرضت الصحراء على العرب طباعا وأخلاقا خاصة تناسبهم ، والزمتهم بتقاليد لا يستطيعون عنها حولا ، ثم صارت لهم على مر السنين جبلة وفطرة ، وصارت لهم عنوانا بين الناس . وصقلتهم الحروب التي اكتوت الجزيرة بنارها ردحا من الزمن ، حتى قال شاعرهم مصورا حياتهم خير صورة :

يُغار علينا واترين فيُشتَفَى بنا ان أُصِبنا او نغير على وِترِ
قَسمنا بذاك الدهر شطرين بيننا فما ينقضي الا ونحن على شطرِ (١)

ونستطيع ان نزعم بأن تلك الحياة الجاهلية الضنكة ، والحروب التي اشتعلت ، قد صهرتا ذلك المجتمع وتقاليده ، فنشأت وتكونت مجموعة من القيم والمثل تعارف عليها المجتمع وآمن بها واحترمها والتزم بها . ولكن ذلك لا يعني أن عادات أخرى وتقاليد كانت تصبغ الحياة ، فتسمها بالظلم والفوضى والسفه لم تكن موجودة . والذي سنوليه الاهتمام في هذه المقولة هو اللون الأول من أعراف الجاهلية وتقاليدها ، اي الوجه المشرق من تلك الحياة ، لاننا نظلم تلك الفترة من تاريخ امتنا ان نحن أغمضنا اعيننا عن هذا الجانب ، وقلنا ان العرب لم تكن لهم قيم قط ، وانهم كانوا امة تتخبط في الظلام ؛ وآلا فبم نفسر تلك الآيات الكريمة التي تجادلهم وتحاورهم ؟ وبم نفسر دخولهم جميعا في دين الله افواجا في زمن لم يتعد احد عشر عاما ، ثم حملوه الى العالم اجمع ؟

---

(١) حماسة ابي تمام ــ شرح المرزوقي ٨٢٦/٢ .

ويبدو ان ذلك المجتمع ، بالرغم من تنافر قبائله وتطاحنها ، وعدم تلمسها واحساسها بشعور الانتماء الى اصل واحد ، اتفق على امـــور كثيرة وتعارف عليها . وكانوا يجدون من اوقات الفراغ ، ما يجعلهم يحسون بالطمأنينة النسبية مما يجعلهم يشغلون تلـــك الاسواق ، ويعمرونها بالبيع والشراء والاستماع الى الخطب البليغة ، والأشعار الرائقة الرائعة ، وتبادل الخبرات ، والزواج بل حتى تبادل الأسرى .

لقد تعارفوا على اسواق تشكل في مجموعها سلسلة متصلة تبدأ من اقاصي اطراف الجزيرة في عمان وتنتهي بعكاظ حيث يذهبون الى مكة للحج الى بيت الله الحرام . وكانت اوقات افتتـــاح تلك الاسواق تبدأ مع الانتهاء من السوق المجاور . ومن اهم تلك الاسواق : دومة الجندل (اول يوم من ربيع الاول) ، وسوق هَجَر (في شهر ربيع الآخر) ، وسوق ادم وقرى الشحر ، وسوق عدن ابين ، وسوق صنعـــاء ، وسوق عكاظ ؛ ويتوجهون بعد ذلك الى مكـــة ، فيقفون بعرفة ، ويقضون مناسك الحج ، ويرجعون الى اوطانهم (٢) . وكانت الاوقات المخصصة لتلك الاسواق تتفق وهدنة تعارفوا عليها ، تلك هي الاشهر الحرم (٣) التي لا قتال فيها ؛ ذلك مـــا آمنوا به جميعا ، يتفرغون فيهـــا للاتصال ببعضهم في المواسم والاسواق ، ويحجون بعـــد ذلك الى بيت الله الحرام . وتعارفوا ايضا على قوانين تنظم علاقاتهم في أثناء التقائهم في تلـــك الاسواق يلتزمون بها ، من اهمها ان لا سلاح يحمل في السوق ، بل تودع الاسلحة عند رجل له منزلته ومكانته قبـــل الدخول الى السوق . وفي هـــذه الاسواق يتم تبادل الاسرى ، كما يتم حل المظالم التي تعجز القبيلـــة عن حلها حيث يُبتّ فيها حكام هذه الاسواق الذين يحظون بمكانة مرموقة بين القبائل .

---

(٢) سبائك الذهب (١١٩ ــ ١٢٠) .

(٣) الاشهر الحرم هـــي : ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب .

ولا يفوتنا ان نشيد هنا بدور هذه الاسواق في بروز طبقة من الحكماء والخطباء والحكام ما زالت وصاياهم وحكمهم تُتناقل بين افواه الناس الى يومنا هذا ، ودورها ايضا في خلق لغة ادبية تعارف عليها الجميع في تلك الاسواق ، وهي اللغة الفصحى ، لغة القرآن الكريم ، التي تشكلت من لغات القبائل .

وهكذا وُلّدت تلك الظروف من جدب الارض التي يغلب عليها الطابع الصحراوي ، وحياة التحرك للحرب او للسلم ، والاحتكاك فيما بين القبائل في السلم والحرب ، قيما ومثلا تعارف الجميع عليها ، وعملوا بها ، ثم اصبحت مُثلا يفخرون بها ، ويفاخرون بها غيرهم .

وتقتصر هذه المقالة على اهم هذه القيم والمثل .

واول تلك الفضائل والقيم التي حرصوا عليها أشد الحرص ، فمدحوا التمسك بها ، وذموا وهجوا التخلي عنها ، **الكرم** ؛ والكرم في اللغة يعني ما استفاده الانسان من خلق كريم ، او طبع عليه (٤) ، وهو ايضا شرف في الشيء في نفسه ، او شرف في خلق الاخلاق (٥) ؛ ويُعرّف ابن الاثير الكريم بأنه الجامع لانواع الخير والشرف والفضائل (٦) . فالكرم جماع شرف النسب والسخاء ، واتيان الفعل النبيل . وسنقصر حديثنا على السخاء،لان الصفتين الاخريين ليس مكانهما في هذه المقالة ؛ واتيان الفعل النبيل يكون اعم واشمل من السخاء ، وشرف النسب مما يفاخر به كل عربي

وكانت العرب تمتدح الكريم السخي عندما يشتد القحط ، ويقلّ الزاد ، وتضيق اليد ، يقول المسيب بن علس مادحا القعقاع بن معبد بن زرارة ،

---

(٤) جمهرة اللغة مادة (كرم) .

(٥) معجم مقاييس اللغة — ابن فارس ١٧١/٥ .

(٦) النهاية في غريب الحديث — ابن الاثير ١٦٦/٤ .

الذي كانوا يدعونه بتيار الفرات الذي يسخو ويجود في وقت الشدة والبرد ، حيث يحلّ الجميع ببيته ، وهو بهـذا العمل اجود من الخليج ، ومن هنا جاءت تسميته بتيـار الفرات :

واذا تُهيجُ الريـحُ من صُرادِها ... ثَلجـًا يُنيـخُ النِّيـبَ بالجُمجاعِ

احللتَ بَيْتَك بالجميع ، وبعضُهم ... متفـرق ليحـلّ بـالأوزاعِ

ولأنتَ أجـودُ من خليج مفعَـمٍ ... متراكـمٍ الآذي ذي دُفّـاع (٧)

ويمتدح عمرو بن شأس قوما يجودون في اوقات المحل فيقـول :

المطعمون اذا النجـومُ خَـوَتْ ... واحـاط بالمتوحِّـد المحـلُ (٨)

ويكرر المعنى ذاته في موضع اخر فيقـول :

وإنْ يأتِنا ذو حاجة يُلْفِ وسطنا ... مجالس ينفي فضلُ احلامها الجهلا

مصاليتُ أيسارٌ اذا هبَّـت الصَّبا ... نَعفٌّ ونُغني عن عشيرتنا الثقلا (٩)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويقول سلامة بن جندل التميمي في المعنى نفسه :

كنا اذا مـا اتانا صارخٌ فَـزِعٌ ... كان الصراخُ له قَرْعَ الظنابيبِ (١٠)

ويؤكد المعنى نفسه شاعر بني عامر بن الطفيل فيقـول :

اذا سَنة عَزّت وطـال طِوالُها ... واُتحِطَ عنها القطر واصفرّ عودُها

وُجِدْنـا كِرامًا لا يُحَـوَّل ضَيفُنا ... اذا جُبّ فوق المُنزلاتِ جليدُها (١١)

---

(٧) المفضلية رقم (١١) .

(٨) ديوانه (٤٢) .

(٩) ديوانـه (٤٨) .

(١٠) المفضليـة رقم (٢٢) .

(١١) ديوانـه (٤٦ ـ ٤٧) .

ويحدثنا شاعر آخر هو عمرو بن الاهتم قصة رجل ضلَّ طريقه ليلا ، فاستضافه ، ورحب به ، وقام الى بعير سمين من ابل القوم فنحره ، وظل يطعم الضيف حتى شبع ؛ ثم نام قرير العين مستدفئا من البرد الشديد ، وهو يخبرنا في نهاية القصة أن كل كريم يجب أن يتقي ذم الناس له بالقرى .

وإني كريم ذو عيال تُهِمُّني ... نوائبُ يغشى رُزؤُها وحقوقُ (١٢)

ومستنبحٍ بعد الهدوء دعوته ... وقد حان من نجم الشتاء خُفوقُ

يعالج عِرنينًا من الليل باردا ... تَلفُّ رياحٌ ثوبَه وبروقُ

تألَّقَ في عينٍ من المزن وادقٍ ... له هيدبٌ داني السحابِ دفوقُ

اضفتُ فلم افحش عليه ولم اقل ... لأحرمَه : ان المكانَ مُضيقُ

فقلت له : اهلا وسهلا ومرحبا ... فهذا صَبوحٌ راهن وصديقُ

وقمنا الى البُرك الهواجد فانتت ... مقاحيد كُومٌ كالمجادلِ رُوقُ

الى ان يقول :

فبات له منها وللضيف موهنًا ... شواء سمين زاهق وغَبوقُ

وبات له دون الصَّبا وهي قُرَّةٌ ... لحاف ومصقول الكساء رقيقُ

وكل كريم يتقي الذم بالقرى ... وللخير بين الصالحين طريقُ

ويتذكر متمم بن نويره أخاه فيبكيه معددا خصاله :

فَعينَيَّ هَلَّا تبكيان لمالك ... اذا أُذرتِ الريحُ الكنيفَ المرفَّعا

وللشَّرْب فابكي مالكا ولبُهمةٍ ... شديد نواحيه على من تشجَّعا

---

(١٢) المفضلية رقم (٢٣) .

وضيف اذا ارغـى طُروقًا بعيرَه وعانٍ ثَـوَى في القِدِّ حتى تكنَّعا

وارملـة تمشي بأشعـث مُحْتَفٍ كفرخِ الحُبارَى رأسُه قد تضوَّعا (١٣)

ولا يرضى شاعر آخر بنحر الكسيرات المهزولات من الابل ، بل ان قومه ليغتبطون خيار الابل وكرائمهاعند حلـول الضيفان :

ويجلب ضِرسُ الضيف فينا اذا شتا سديف السنام تستريه أصابعه (١٤)

واستهجنت زوج الهذلول بن كعب العنبري ، وقد راتـه زوجها يطحن للضيفان ، فقال قصيدة منها :

لعمـر ابيك الخير اني لخـادم لضيفي وانـي ان ركبـتُ لفارسُ

واني لأشري الحمد أبغي رُباحَه واترك قِرني وهو خزيانُ ناعسُ (١٥)

وكانت عادة العرب في الجدب اذا استعار احدهم قدرا ان يرد فيها شيئا من الطعام ، وقد عبّر عن ذلك ، بالاضافة الى ايقاد النار في الليل ليهتدي الحائر اليها ، شاعرهم عوف بن الأحوص فقـال :

ومستنبحٍ يخشى القَـواء ودونه من الليل بابـا ظلمة وستورُها

رفعتُ له ناري فلما اهتدى بهـا زجرتُ كلابـي ان يُهِرّ عُقورُهـا

فلا تسالني واسالي عن خليقتي اذا ردّ عافي القدر مَن يستعيرُها

وكانـوا قعودًا حولهـا يرقبونها وكانت فتـاةُ الحيّ ممـن يُنيرُها

ترى انَّ قِـدري لا تزال كانهـا لذي الفروة المقـرور أُمٌّ يزورُها

مبرزة لا يجعـل الستر دونهـا اذا أخمد النيران لاح بشيرُها (١٦)

---

(١٣) المفضليـة (٦٧) .

(١٤) الشعر لجحدر بن خالد ـ شرح الحماسة للمرزوقي ٥١٦/٢ .

(١٥) المصدر السابق ٧٠٠/٢ .

(١٦) المفضلية رقـم (٣٦) .

ويعتبر العربي بذل المال قرى للضيف واغاثة للملهوف ، ودفع دية ، ونحو ذلك ، حقا لازبا لا مفر منه • ويفخر ربيعة بن مقروم الضبي بقومه الذين يفعلون ذلك ، فيقول :

اليسوا الذين اذا ازمة الحت على الناس تنسي الحلوما

يهينون في الحق اموالهم اذا اللزبات التحين المسيما (١٧)

ويفخر الحارث بن حلزة اليشكري بأن قومه يكرمون الضيف حينما يجدب المرعى ، ويشتد البرد ، فان لم يكن في إبلهم لبن عطفوا على القداح فضربوا بها للأضياف ، فنحروا لهم :

واذا اللقاح تروحت بعشية رتك النعام ، الى كنيف العرفج

الفيتنا للضيف خير عمارة ان لم يكن لبن فعطف المدمج (١٨)

وكثيرا ما يقترن السخاء والجود بحميد الفعال ، لان حب الخير يعين على البذل . والشواهد في الشعر الجاهلي اكثر من أن تحصى ؛ وثمة دليل آخر، وهو أن الحديث عن الجود والسخاء يأتي خلال الحديث عن الفخر ؛ وعناصر الفخر في العصر الجاهلي تكاد تكون محددة ومعروفة ، اللهم الا في بعض الحالات الشاذة ، كالفخر ببقر بطون الحبالي . فالجاهلي يفخر بحسبه ونسبه ، ويفخر بالشجاعة ، وبنجدة الملهوف ، وبالكرم ، واغاثة الملهوف ، وبحماية الجار ، وكل تلك القيم التي حرص عليها المجتمع الجاهلي وصقلتها تلك البيئة حتى أصبحت اعرافا وتقاليد التزموا بها .

---

(١٧) المفضلية رقم (٣٨) .

(١٨) المفضلية رقم (٦٢) .

ويعتبر الجاهلي بذل المال سترا ووقاية لعرضه حيث يقـول :

أُجعَـلُ المـال لعِرضي جُنَّـةً ان خير المال مـا ادى الذمم (١٩)

ولا تنقص قلة المال من قيمة الرجل الكريم الحسب والخصال ؛ يقول الطفيـل الغنوي :

اني وان قَـلَّ مالي لا يفارقني مثل النعامة في اوصالها طولُ (٢٠)

ومن هذه القيم حرصهم على المراة ، وقـد كان شديدا • وتغنـوا بالحفاظ على الشرف والعرض ، ونشبت حروب كثـيرة بسبب محاولة اعتداء قوم على امراة من قبيلة أخرى ، بل بسبب اهانـة تلحق بامراة كما في بعض حروب الفجار . ولعل ذلك قد حملهم على أخذ نسائهم معهم في الحروب حتى لا تتخلف في الحي ، فيأتي قوم ويسبون النساء ، وذلك مما يجلب العار للقبلية . لذلك افتخر شعراؤهم بحماية النساء • يقول سلامة بن جنـدل التميمي :

بأنا منعنـا بالفُروق نساءَنـا ونحن قتلنا مَن أتانا بُملزِق (٢١)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويقارن عمرو بن حوط الرياحي بين قومه وآخرين في يوم طِخفة بقوله :

فمـا قوم كقومي حيـن يُخشَى على الخُـوْد المُخَدّرة الفِضـاحُ

أَذُبّ عـن الحفائـظ فـي مَعَدٍّ اذا مـا جَدَّ بالقوم النِطاحُ (٢٢)

وقوم ربيعة بن مقروم الضبي يمنعون حريمهم :

طوال الرمـاح غداة الصبـاح ذوو نجدة يمنعون الحريمـا (٢٣)

---

(١٩) المفضلية (٧٨) والشعر للمنتب العبدي .

(٢٠) ديوان الطفيـل الغنوي (٥٧) .

(٢١) ديوانـه (١٦) .

(٢٢) النقائض لأبي عبيدة ٦٩/١ .

(٢٣) المفضلية رقـم (٣٨) .

ويفخر الطفيل الغنوي بانه يحافظ على حليلة جاره ولا يخونه :

ولا اخالـــف جاري في حليلته ولا ابن وِدِّيَ غالتني اذا غـــول (٢٤)

وكان من عوامل الثبات والنصر في النهاية في يوم ذي قار ان بعض القادة اشار ــ حينما راى قوة الفرس ــ على القوم بالانسحاب الى الصحراء ، المعقل الطبيعي ، ولكن زعيما آخر مال الى الابل التي تحمل حريمهم فقطع وضنها ، وقال : ليدافع كل منكم عن حريمه • وثبت القوم وانتصروا فـــي النهاية (٢٥) .

وقد شبهها بعضهم بالأُتْرُجَّة التي تفوح بالرائحـــة الطيبة :

يحملن أُتْرُجَّةً نُضْخُ العبـــير بها كأن تُطيابها في الأنف مشمومُ (٢٦)

وبالرغم من حرص العربي على صون شرف المراة الا ان ذلك لم يمنع من اخذهـــم على حين غرة ، فتسبى النساء ؛ وكـــان السبي عارا يلحق بالقبيلة ، ويفخر بـــه المنتصرون ، ويعيرون خصومهم • يقول بشر بن ابي خازم الأسدي معرضا ببني عامر :

بني عامـــرٍ إنّا تركنـــا نساءكم من الثـل والايجاف تُدمَى عجوبها

عضاربطنـــا مستبطنـــو البيض كالدمى مضرجـــة بالزعفران جيوبُهـــا

تبيـــت النساء المرضعات برهوة تفزَّع من خوف الجنان قلوبُها (٢٧)

ويصور عوف بـــن عطية التميمـــي نساء حي فاجاهـــم وفرسان عشيرته ، فيقـــول :

---

(٢٤) ديوانـــه (٥٨) .

(٢٥) انظر قصة يوم ذي قار في تاريـــخ الطبري ، الجزء الثاني ، النقائض ٦٤٣/٢ .

(٢٦) المفضلية (١٢٠) لعلقمة بـــن عبدة .

(٢٧) المفضليـــة (٩٦) .

ولنعم فتيان الصباح لقيتم واذا النساء حواسر كالعنقرِ

من بين واضعة الخمار واختها تسعى ومنطقها مكان المئزرِ (٢٨)

تلك كانت منزلة المراة الحرة ، ولكن صنفا آخر من النساء لم يكنّ يحظين بهذه المنزلة ، واعني الاماء والقيان ، فقد كانت القينة وسيلة المتعة وقضاء الوقت ، وبخاصة في ليالي الشتاء وأيامه • يقول طرفة معبرا عن ذلك :

وتقصير يوم الدَّجْن — والدجن معجب —

ببهكنة تحت الطراف المعمَّد (٢٩)

ويكرر المعنى نفسه عبد المسيح بن عسلة فيقول :

وسماعُ مدجنة تُعلِّلُنا حتى نؤوب تناوم العُجْم (٣٠)

ويكرر بشر بن عمرو المعنى فيقول :

وتبيت داجنة تجاوب مثلها خوداً منعمة وتضرب مُعتِبا

في اخوة جمعوا ندى وسماحة هُضْمٍ اذا أزم الشتاء تزَعبا (٣١)

وكان السبي وما يلحق من عار سببا مباشرا من أسباب واد بعض العرب بناتهم ؛ ولم تكن هذه العادة السلبية غير الانسانية نادرة كما لم تكن عامة ، ولكنها وجدت • ومن الذين وادوا عددا من البنات بلفن تسعا في بعض الروايات قيس بن عاصم ، وقد حدث الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك . وجاء الاسلام ونزلت في المؤودة الآيتان

---

(٢٨) المفضلية (٩٤) .

(٢٩) معلقته .

(٣٠) المفضلية (٧٢) .

(٣١) المفضلية (٧١) .

الكريمتان : « واذا المؤودة سُئِلت ، باي ذنب قُتِلت » (٣٢) . ومع كل هذه المنزلة للمراة لم يمنع ذلك من وجود بعض الشعراء الذين يفخرون ببقر بطون الحبالى ؛ فهذا عامر بن الطفيل يقول :

بقرنا الحبالى من شنوءة بعدما خبطن بفيفِ الريح نَهْداً وخثعما (٣٣)

ومن القيم التي برزت في خضم تلك الحياة رفض الذل والهوان ؛ فكان العربي يسترخص الحياة في سبيل دفع المهانة والذل ، يحارب الخصم ويقاتله قتالا انتحاريا ، وهو يعلم تفوق خصمه عليه ، لدفع الذل الذي يحاول ان يجعله يعيش فيه ، يقول ربيعة بن مقروم الضبي :

ودار هوان أنفْنا المقام بها فحللنا محلاً كريما (٣٤)

ويقول عنترة في المعنى نفسه :

لا تَسْقِني ماء الحياة بذلّة بل فاسقني بالعز كأس الحنظل (٣٥)

ويصرخ عمرو بن كلثوم قائلا :

اذا ما الملك سام الناس خسفا أبينا أن نقرّ الذل فينا (٣٦)

وفي يوم ذي قار يقول ابو كلبة :

ان الفوارس من عجل هم انفوا
من ان يُخلّوا لكسرى عرصة الدار (٣٧)

---

(٣٢) الآيتان (٨ ، ٩) من صورة التكوير .
(٣٣) ديوانه (١١٨) .
(٣٤) المفضلية رقم (٣٨) .
(٣٥) ديوانه (١٣٥) .
(٣٦) معلقته .
(٣٧) تاريخ الطبري ٢/٢١١ .

وتعارفت العرب كلها على **قانون الجوار** ، وكانت القبيلة تجد في حماية الجار مصدر فخر لها ، وان في منعته منعة لها ، وان اي اذى يلحق به يلحق بها ، ولو كان هذا الجار من غير عصبيتها . وتغنّى الشعراء بذلك كثيرا ، يقول عبيد بن الأبرص :

نحمي حقيقتنا ونمنع جارنا ونلفّ بين ارامل الأيتام (٣٨)

ويقول حسان بن نشبة العدوي مادحا تيمًا لانها ابت ان تسلم جارها :

واني وإن لم أفدِ حيًّا سواهُمُ فداءٌ لتيم يوم كلب وحميرا

ابوا أن يبيحوا جارهم لعدوّهم وقد ثار نقع الموت حتى تكوثرا (٣٩)

ويفخر المثقب العبدي باكرام الجار ورعاية حقه فيقول :

أُكرِمُ الجار وأرعَى حقَّه ان عرفانَ الفتى الحقَّ كرم (٤٠)

ويقرن ذلك بعدم التعرض للناس في غيابهم ؛ وهو مماثل لما ورد في القرآن الكريم « أيحب أحدكم ان يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه » (٤١)

فيقول :

لا تراني راتعًا في مجلس في لحوم الناس كالسبع الضرم

ويمدح عدي بن يزيد بن حمار بني شيبان بحمايتهم الجار ومساواته بابناء القبيلة حتى انه لينسى انه جار لهم ، فيقول :

ومن تكرّمهم في المحل انهمُ لا يعلم الجار فيهم انه الجارُ

حتى يكون عزيزًا من نفوسهمُ او ان يبينَ جميعا وهو مختارُ

---

(٣٨) ديوانه (١٢٣) .

(٣٩) شرح الحماسة للمرزوقي ٣٣٧/١ .

(٤٠) المفضلية (٧٧) وانظر شرح اختيارات المفضل (١٢٧١) .

(٤١) آية (١٢) من سورة الحجرات .

كأنه صَدَعٌ في راس شاهقة من دونه لِعتاق الطير اوكارُ (٤٢)

ولكن الجوار لم يكن محبوبا وايجابيا دائما ، فقد جاور البرج بن مسهر كلبا ايام حرب الفساد ؛ فلم يحمدهم وتحسر على ايام قومه الخوالي ، وتعهد بأنهم لو رجعوا فلن يخاصموا ابناء جلدتهم حتى الممات لئلا يضطرون الى الخروج :

فنعم الحيّ كلب غير انّا راينا في جوارهمُ هَنات
ونعم الحي كلب غير انّا رُزينا من بنينُ ومن بنات
فان الغدر قد امسى واضحى مقيما بين خَبْتَ الى المسات
تركنا قومنا من حرب عام ألا يا قوم للأمر الشتات
واخرجنا الايامى من حصون بها دار الاقامة والثبات
فان نرجع الى الجبلين يوما نصالح قومنا حتى الممات (٤٣)

ويفخر حُرَيث بن جابر بتغلبه لحليفه وفزعه لظلمه فيقول :

اذا ظُلِمُ المولى فزعتُ لظلمه فحرّك احشائي وهرّت كلابيا (٤٤)

وعير مساور بن هند قوما لنقضهم العهد ، وقطعهم الرحم فقال :

قتلوا ابن اختهم وجار بيوتهم من حينهم وسفاهة الألباب
غدرت جذيمة غير اني لم اكن ابدا لأولف غدرة اثواني
واذا فعلتم ذلكم لم تتركوا احدا يذب لكم عن الأحساب (٤٥)

---

(٤٢) شرح الحماسة للمرزوقي ٣٠١/١ — ٣٠٢ .
(٤٣) شرح الحماسة للمرزوقي ٣٥٩/١ — ٣٦٢ .
(٤٤) المصدر السابق ٣٧٦/١ .
(٤٥) المصدر السابق ٤٣١/١ — ٤٣٢ .

ويوصي العباس بن مرداس غيره بالحفاظ على الجار ، فيقول :

عليك بجار القوم عبد بن حُبْتَر فلا تَرْشُدَنْ الا وجارك راشدُ

فان غضبت فيها حبيبُ بن حبتر فخذ خطة يرضاك فيها الأباعدُ

اذا طالت النجوى بغير أولى القوى اضاعت واضعت خدَّ مَنْ هو وارد

فحاربْ فان مولاك حاردُ نَصْرُهُ ففي السيف مولى نَصْرُهُ لا يحاردُ(٤٦)

ويعرِّض جحدر بن خالد بغير قومه الذين يُرَوَّع جارهم ويغدر به ، فيقول :

ونحن الذين لا يُرَوَّع جارنا وبعضهمُ للغدر صُمّ مسامعُه (٤٧)

ويعير أبو تمام خصمه بأن جاره سهل المنال كالصيد لمن يطلبه بينما جاره لا يطلب ، ولا يطمع فيه :

فجارك عند بيتك لحمُ ظبي وجاري عند بيتي لا يرام (٤٨)

وكأنما أصبحت حماية الجار والمحافظة عليه جبلة وقانونا يلتزمون به في الجاهلية ؛ يقول عوف بن عطية :

وأمنع جاري من المجحفات والجار ممتنع حيث صار (٤٩)

ومن القيم التي فخروا بها صون الامانة ، وعدم التفريط بها مهما كانت الاسباب والنتائج ؛ يقول الشنفرى مفضلا الوحوش على القوم الذين تركهم :

---

(٤٦) شرح الحماسة للمرزوقي ٤٣٧/١ — ٤٣٨ .

(٤٧) المصدر نفسه ٥١٤/٢ .

(٤٨) المصدر نفسه ٥٨١/٢ .

(٤٩) المفضلية (١٢٤) .

هم الرهط لا مستودَعُ السر ذائع لديهم ولا الجاني بما جَرَّ يُخذَل (٥٠)

ولعل صورة يوم ذي قار تشهد بالصورة المشرقة لتحمّل القبيلة مسؤولية صون الأمانة ، ولو ادت النتيجة الى ملاقاة جيوش الفرس الجرارة . وقد اصبح هذا اليوم مدعاة لفخر شعراءبكر وتغنّيهم بذلك ، بل لفخر العرب جميعا ؛ فقد اقسمت بكر الا تفرط بتلك الدروع التي أودعها النعمان عندهم ، وان انجم السماء اقرب الى كسرى من تلك الدروع ، يقول الأعشى شاعرهم :

فما حلقة النعمان يوم طلبتها بأقرب من نجم السماء تراقبه (٥١)

ويقسم في قصيدة اخرى بآلهة العرب وبغيرها على الحفاظ على تلك الأدرع مهما غلا الثمن :

حلفت بالملح وبالرماد وبالعزّ ى وباللات تُسْلَمُ الحلقه
حتى يظل الهام منجدلا ويقرع النَّبل طُرَّةَ الدرقَه (٥٢)

ويخاطب راشد بن شهاب اليشكري قيس بن مسعود الشيباني بشأن تلك الأدرع مؤنبا فيقول :

وكنت زمانًا جارَ بيتٍ وصاحبًا
ولكنّ قيسا في مسامعه صَمَمْ

اقيس بن مسعود بن قيس بن خالد
اموفٍ بادراعِ ابن طيبة أم تُذَمْ

بذمٍّ يُغَشّي المرء خزيا ورهطَهُ
لدى السَّرحة العَشّاء في ظلها الأدَمْ (٥٣)

---

(٥٠) لامية العرب .
(٥١) ديوانه .
(٥٢) ديوانه والاغاني (دار الثقافة) ٢٢٩/٢٣ .
(٥٣) المفضلية (٨٦) .

وكان من مظاهر الصلات السليمة في العصر الجاهلي **الاحلاف** ؛ فكانوا يغمسون ايديهم في اثناء عقد احلافهم في طيب أو دم ، ويقولون « الدم الدم ، والهدم الهدم ، لا يزيد العهد طلوع الشمس الا شُدّا ، وطول الليالي الا مُدّا ، مابَلّ البحر صوفه ، واقام رضوى في مكانه » . وربما اوقدوا النار عند تحالفهم ودعوا الله ان يحرم من ينقض عهد الحلف من منافعها . وربما دنوا من هذه النار حتى تكاد تحرقهم ، كما حدث لقبائل من مرة بن عوف الذين تحالفوا عند نار ، فدنوا وعشوا بها حتى محشتهم فسموا به « المحاش » (٥٤) .

ومهما يكن من دوافع هذه الأحلاف ونتائجها فيجب ان لا ننسى انها لعبت دورا كبيرا ايجابيا في تكوين القبائل ، وجعلت القبائل الضعيفة تنضم الى القوية الكبيرة لتحميها ، وتردّ العدوان عنها (٥٥) .

ولا يغيبن عن بالنا احلاف كانت غايتها دفع الظلم والشر ، او نشر الامن في ربوع الجزيرة . وخير مثال لذلك حلف الفضول بين بطون قريش (٥٦) ؛ وسببه ان رؤساء بطون قريش اجتمعوا فاتفقوا الا يدعوا احدا يظلم احدا الا نصروا المظلوم على الظالم ، واخذوا له حقه . وانتشر التحالف بين القبائل بصورة أوسع قبيل الاسلام ، ولم تبق خارج هذه الأحلاف الا جمرات العرب (٥٧) ، ولعل انتشار المحالفات كان احساسا من القبيلة العربية بأنها بحاجة الى الانفتاح على غيرها من القبائل ، وربما كان ذلك ارهاصا ببدء **نهضة قوية** افاد منها الاسلام في توحيد أمة استطاعت حمل رسالته الخالدة الى العالم .

---

(٥٤) الحيوان للجاحظ ٤٧١/٤ .

(٥٥) انظر معجم البكري ٥٣/١ وما بعدها .

(٥٦) المحبر ــ لابن حبيب (١٦٧) .

(٥٧) الحيوان ١٢٣/٥ ، المحبر (٢٣٤) .

وللحليف في المجتمع الجاهلي حقوق وعليه واجبات . ويفخر العربي بان حليفه لا يضام :

إنّـــا لعمـــرك لا يضـــا م حليفنـــا ابـــدا لدينـــا (٥٨)

ولا يجوز فضّ الحلف او الغدر بالحليف مـــا دام الحلف معقودا . وحرص المجتمع حينذاك على المحافظة علـــى قداسة الحلف، واعتبر المساس به عارا يلحق بالقوم ؛ بل لقد شبهه النابغة بالفجـــور عندما قتلت عبس نضلة الأسدي ، وكان بين أسد وذبيان حلف وأراد عيينه بن حصن الفزاري مساعدة بني عبس ، فقـــال محذرا :

اذا حاولتَ فـــي أسَد فجـــورا فاني لست منـــك ولست منّـــي

همو درعى التي استلأمتُ فيها الى يوم النسار وهـــم مِجَنّي (٥٩)

ويفتخر الحـــادرة بذلك فيقـــول :

إنّا نعـــفّ فلا نريـــب حليفنـــا ونكفّ شُحّ نفوسنا في المطمعِ (٦٠)

ومن القيـــم الخالدة التي رسخت معالمها في نفسية العربي الجاهلي **رفضه الضيم** ولـــو كان من اهله وذويه ، لان قبوله يتنافى مع قيم اخرى آمن بها المجتمع الجاهلي فرادى وقبائل . يقول الشنفرى :

ولولا اجتناب الذامِ لم يُلْفَ مشرب يعـــاش بـــه الا لـــديَّ ومأكـــلُ

ولكنّ نَفْسًا مُـــرَّةً لا تقيـــم بي على الضيـــم الا ريثمـــا اتحولُ

---

(٥٨) ديوان عبيد بن الابرص (١٣٥) .

(٥٩) ديوانـــه (١٩٩) .

(٦٠) المفضلية رقـــم (٨) .

وهو يرفض أن يشعره أحد بأن له فضلا عليه ، ويؤثر عليه أن يستف تراب الأرض :

واستف تُربَ الأرض كي لا يرى له علي من الطَّول امرؤٌ متطوّلُ (٦١)

والجاهلي يرى الأرض واسعة يتنقل فيها الانسان اذا احس بأن اذى او ضيما سيناله . يقول الشنفرى في بداية لاميته التي أعلن فيها بُتر علاقته بمجتمعه فلجأ الى الصحراء ووحوشها :

وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى وفيها لمن خاف القِلى متعزّلُ

لعمرك ما بالأرض ضيق على امرىء سرى راغبا أو راهبا وهو يعقلُ (٦٢)

ويُعبِّر عنترة العبسي عن الروح نفسها حين يقول :

لا تسقني ماء الحياة بذلة بل فاسقني بالعز كأس الحنظلِ (٦٣)

وما الحروب التي تأججت نارها في الجزيرة العربية الا صورة طبيعية لرفض العربي الذل والضيم ، فقد كانت القبائل تحتكم الى سيوفها ورماحها لترد الظلم والضيم .

ومن القيم والمثل الايجابية التي عرفها العصر الجاهلي ذلك اللون من الشعر الذي عرف **بالمنصفات** ، وحاول فيه الشعراء الفرسان انصاف خصومهم ، أو خصوم قبائلهم بالرغم من أنهم أعداء لهم . وقد عرفت الجزيرة هذا اللون منذ التقى الفرسان في ساحات الوغى . ويُعتَبر المهلهل بن ربيعة أول من انصف في شعره حين قال في يوم عنيزة :

كأنّا غُدوَةً وبني أبينا بجنب عنيزة رَكَبَا مدير (٦٤)

---

(٦١) لامية العرب .

(٦٢) لامية العرب .

(٦٣) ديوانه ص (١٣٥) .

(٦٤) الاصمعية رقم (٥٣) .

وبدهي ان يرتبط هـذا اللون من الشعر بالمعارك والأيام ، وان يصدر على السنـة الشعراء والفرسان ، وهـم اولى العرب باحترام تقاليد الفروسية ، فهـم ابوا طعن اعدائهم من الخلف وهم مدبرون ، ولم يعتادوا الغدر ، ولم يقتلوا مقاتلا الا ندّاً في الشجاعة . وان فارسا هـذه تقاليده ليعز عليـه ان يرى خصمه الفارس الشجاع مجنـدلا امام عينيه على الرغم من انه هـو الذي صرعه ؛ يعز عليـه ذلك لسببين ، اولهما لانه فارس ويقدر الفارس الشجاع ؛ وثانيهما لانه يتخيل انه سيجندل في يوم من الأيام . وربما كان ذلك بسبب احساس الشاعر الجاهلي بمأساته : مأساة الانسان،وهي الفناء الأبدي ، والتلاشي الى عدم ؛ فكأنما يرثي حاله ونفسه ، وكأنما يبكي مصيره وحتمية ذلـك المصير .

لقد التقى قيس بن زهير العبسي وحمل بن بدر الفزاري ، فقتل قيس حملا ؛ وما ان رآه صريعا حتى هاجت به الذكريات ، وتذكر اشياء كثيرة منها صلات القربى ، وظلم القتيل ، فقال فيه :

تعلَّمْ ان خـير النـاس حيّـاً علـى جفـر الهباءة مـا يريـمُ
ولـولا ظلمـهُ ما زلـت ابكي عليـه الدهر ما طلـع النجـومُ
ولكنّ الفتـى حمـل بـن بـدر بَغَى،والبَغْـي مرتعه وخيـمُ (٦٥)

واضطر القتّال الكلابي لقتال فارس لم يكن يرغب في ذلك النزال ؛ وتدور الدائرة على خصمه ، ويندم القتّال على مقتله ندما شديدا ، ويقول في قصيدة لـه :

ولمـا رأيتُ انني قـد قتلتـه ندمت عليـه اي ساعة مندمِ (٦٦)

---

(٦٥) الحماسة بشرح المرزوقي ٤٢٨/١ .

(٦٦) المصدر السابـق ٢٠١/١ .

وينتزع الفارس المقدام اعجاب خصمه ومنازله ؛ فقد رأى دريد بن الصمة ربيعة بن مكدم،فارس كنانة،وقد انكسر رمحه بعد ان صرع ثلاثة من اصحاب دريد الفرسان ؛ فقال دريد : ايها الفارس ان مثلك لا يقتل ، ولا ارى معك رمحا ، فدونك هذا الرمح . ورجع دريد يثبّط اصحابه عن ربيعة بن مكدم . فانصرف القوم ونجا ربيعة . وانشد دريد معبرا عن اعجابه بذلك الفارس الخصم :

ما ان رايت ولا سمعت بمثله حامي الظعينة فارسا لم يُقتَلِ
اردى فوارس لم يكونوا نُهزَةً ثم استمر كأنه لم يُفعلِ
متهلل تبدو اسرَّة وجهه مثل الحسام جُلتْه كف الصَّيقَلِ
يُزجي ظعينته ويسحب رمحه متوجها يمناه نحو المنزلِ
وترى الفوارس من مخافة رمحه مثل البغاث خشين وقع الأجدلِ
يا ليت شعري من أبوه وأمه ؟ يا صاح مُن يكُ مثله لم يُجهَلِ (٦٧)

ولكن الانصاف لم يقف عند حد انصاف فارس شاعر لفارس اخر قتله ، بل ان الشعراء انصفوا خصوم قبيلتهم . والأمثلة في الشعر الجاهلي كثيرة لا يتسع لها البحث ، وهي متنوعة بين قصائد ومقطوعات . لذا سنقصر الامر على بعض الامثلة .

غزا عباس بن مرداس السلمي وقومه بنو سليم مراداً ، ووقف عباس بن مرداس شاعرهم وفارسهم ينصف الاعداء ؛ وبلغ من محاولة الانصاف انه وزع ابيات القصيدة بين قومه وبين اعدائهم ، بل جعل بيت الشعر الواحد مناصفة بينهما ؛ وكان اذا خصص الشطر الأول من البيت لقومه ، جعل الشطر الثاني للأعداء ، وعكس الوضع في البيت التالي :

---

(٦٧) الاغاني (دار الكتب) ٦٦/١ .

فلم أرَ مثل الحيّ حيًّا مصبحا ولا مثلنا لما التقينا فوارسا

أكرّ وأحمي للحقيقة منهم واضرب منا بالسيوف القوانسا

وأحصننا منهم فما يبلغوننا فوارس منا يحبسون المحابسا

اذا ما شددنا شَدَّةً نصبوا لها صدور المذاكي والرماح المداعسا(٦٨)

وثمة شاعر آخر هو المفضل النُكريّ ، من شعراء عبد القيس ، صَوَّر لنا لقاء بين جيش قومه وجيش الاعداء ، فانصفهم ؛ وها هو ينقل صورة متقابلة للفريقين فيقول :

همو صبروا فصَبْرُهمُ تليد على العزّاء آذ بلغ المضيقُ

وهم دفعوا المنية فاستقلّت دراكا بعد ما كادت تُحيقُ

تلاقَينا بغيبة ذي طريف وبعضهمُ على بعض حنيقُ

فجاءوا عارضا بردا وجئنا كسيل العرض ضاق به الطريقُ

مشينا شَطرَهم ومشوا الينا وقلنا : اليوم ما تُقضى الحقوقُ

وكم من سيّد منّا ومنهم بذي الطرفاء منطِقُه شُهيقُ

فأشبعنا السباع واشبعوها فراحت كلّها تئق يفوقُ

فأبكينا نساءهمُ وأبكوا نساء ما يسوغ لهن رِيقُ (٦٩)

ويصل الانصاف ذروته حينما نرى الشاعر الجاهلي ينصف خصومه الذين هزموه وهزموا قومه ؛ وهذا يمثل ذروة الانصاف والاعتراف بالهزيمة وبتفوق الخصم ؛ فقد سجل لنا البراء بن قيس الكندي اعترافا بهزيمة قومه ، وانصف الاعداء بقوله :

---

(٦٨) الاصمعية رقم (٧٠) .

(٦٩) الاصمعية رقم (٦٩) .

قتلتنا تميم يوما جديدا قتلُ عاد وذاك يوم الكلاب

يوم جئنا يسوقنا الحَيْنُ سَوقًا نحو قوم كانهم أُسْدُ غاب

وحشَدْنا الصميمَ نرجو نهابًا فلقينا البُوار دون النهاب (٧٠)

ولا يضعف من قيمة هذه الأبيات الا خشيتنا من أن تكون العصبية القبلية قد دَفَعَتْ بعض الرواة الى انتحالها .

ولبعض الجاهليين **موقف خاص من الخمر** ؛ فقد عددت المصادر القديمة لنا نفرا حَرَّموا الخمر في الجاهلية على انفسهم ، ومنهم : عامر بن الظرب العدواني ، وقيس بن عاصم ، وصفوان بن أمية ، وعفيف بن معد يكرب ، والعباس بن مرداس السلمي ، وورقة بن نوفل ، والوليد بن المغيرة ، وزيد بن عمر بن نفيل ، وقس بن ساعدة ، وعبيد بن الأبرص ، وابو ذر الغفاري ، وزهير بن أبي سلمى ، والنابغة الذبياني ، والنابغة الجعدي ، وحاتم الطائي ، وغيرهم (٧١) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولم يكن تحريم هؤلاء الخمر محض صدفة ، او لان دينا او عقيدة امراهما بذلك ، ولكن ربما كان للتجربة سبب لذلك . يحدثنا صاحب الاغاني أن قيس بن عاصم المنقري سُكِر ذات ليلة قبل أن يُسلِم ، فغمز عُكْنَةَ ابنته ، وفي رواية اخرى اخته ، فهربت منه . فلما صحا من الخمر سئل عما صنع الليلة الماضية ، فلم يدر بماذا يخبرهم . فأخبروه بما فعل ، فحرّم الخمر على نفسه ، وقال في ذلك شعرا يوضح ما تفعله الخمر بصاحبها ، حيث تذهب بعقله ، وتفضح شاربيها ، وتحيل الرجل الحليم سفيها :

---

(٧٠) الاغاني (دار الكتب) ٣٣٩/١٦ .

(٧١) المحبر ــ ابن حبيب (٢٣٧) ، امالي القالي ٢٠٤/١ ، نهاية الارب للنويري ٨٨/٤ .

وجدتُ الخمـــر جامحـــة وفيهـــا خصـــالٌ تفضح الرجـــل الكريما

فـــلا واللـــه اشربُهـــا حياتـــي ولا ادعـــو لهـــا ابـــدا نديمـــا

ولا اعطـــي بها ثمنـــا حياتـــي ولا أشفـــي بها ابـــدا سقيمـــا

فان الخمـــرَ تفضـــح شاربيهـــا وتُجشِمُهـــم بهـــا امـــرا عظيمـــا

اذا دارت حميّاهـــا تَمَلَّـــت طوالعُ تُسْفِـــه الرجل الحليما (٧٢)

ويضيف الاغاني في رواية اخرى ان قيس بن عاصم هو اول عربي حرمها على نفسه في الجاهلية ؛ وهو القائل فيهـــا :

فوالله لا احسو يد الدهر خمـــرة ولا شَربَةً تزري بذي اللب والفخرِ

فكيف اذوق الخمر والخمر لم تزل بصاحبها حتى تكشّع فـــي الغدر

وصارت به الأمثال تُضرَب بعدما يكون عميد القوم في السر والجهر

ثم يخاطب شارب الخمر محذرا وناصحا بتركها لان شاربها لا يدري ما يضـــره وما ينفعـــه :

فيا شارب الصهباء دعها لاهلها الغـــواة وسلـــم للجسيم مـــن الأمرِ

فانك لا تدري اذا مـــا شربتَها واكثرتَ منها ما تُريش وما تُبري (٧٣)

واذا كان قيس بن عاصم يطلب من شارب الصهباء ان يدعها لاهلها الغواة فانه يقر بأن فريقا آخر يشربها ، ولكنهم غواة . فهل كان العرب في الجاهلية ينعتون شارب الخمر بالغاوي ؟ ذلك مـــا لا تؤيده الشواهد الشعرية والاخبار التي بين ايدينا . ولكن تلـــك الروايات تحدثنا ان الخمر لم يكن يشربها الا الموسرون ، وقد تحدثوا عـــن مجالس الشرب والندامى .

---

(٧٢) الاغانـــي (دار الكتب) ٨٤/١٤ .

(٧٣) المصدر نفسه ٨٥/١٤ .

ويشاطر عبد المسيح بن عسلة قيس بن عاصم بان الخمر تذهب بالعقل فيقول :

والخمر ليست من اخيك ولكن قد تخون بآمن الحلم
وتُبيّن الراي السفيه اذا جعلت رياح شمولها تنمي (٧٤)

والحكم والأمثال تمثل فلسفة الحياة الأولى ، ولها في تاريخ الفكر اهمية كبرى لا تدرك الا بالتعمق في دراسة نفسية الشعوب ، ودراسة التطور الفكري عند البشر . وحكم الجاهليين وامثالهم ــ كما ذهب بعض الباحثين (٧٥) ــ تشيران الى أن الحياة جلاد وكرامة ، وان الحق فيها للقوة ، وان زينة المرء شرفه . وبمعنى آخر فان الفلسفة الجاهلية فلسفة اخلاقية عملية ، بعيدة عن الميتافيزيقيات ؛ فلسفة مادية روحانية ، وروحانياتها مسحة اخلاقية كريمة .

وقد استوعب الحِكَمُ شكلا اللغة ، الشعر والنثر . يقول زهير في معلقته بعد أن تحدث عن عقد الصلح بين عبس وذبيان :

ومن لا يصانِعْ في أمور كثيرة يُضَرَّسْ بأنياب ويوطأْ بمنسمِ

ويقول :

رايت المنايا خبط عشواء من تُصِبْ تُمِتْه ومَن تخطىء يعمَّر فيهرمِ

ويقول :

ومن لا يُذُد عن حوضه بسلاحه يُهدَّم ومن لا يظلم الناس يُظلَمِ

وكان **الموت** لغزا رهيبا لا يقوى الجاهلي على حله ، فجعله واقفا حائرا وهو يرى احبته يتساقطون ، ولا يملك تفسيرا لذلك . فالموت

---

(٧٤) المفضلية (٧٢) .

(٧٥) الحكم والامثال ــ حنا ناخوري (١٧) .

سناء مطلق لا رجعة فيه ولا مفر منه . يرثي لبيد اخاه اربد وينظر الى الحياة ونهايتها فيقول :

فلا جزعٌ إن فَرَّق الدهر بيننا ... فكل امرىء يوما به الدهر فاجعُ

وما المرء الا كالشهاب وضوئه ... يُحورُ رمادا بعد اذ هو ساطعُ

وما المال والاهلون الا ودائع ... ولا بد يوما ان تُرَدّ الودائعُ

وما الناس الا عاملان : فعامل ... يُتبِّر ما يبني وآخر رافعُ

فمنهم سعيد آخذ بنصيبه ... ومنهم شقيٌّ بالمعيشة قانعُ

فلا تبعدنْ ان المنية موعد ... علينا فدانٍ للطلوع وطالعُ (٧٦)

ويرى طرفة بن العبد الموت الوسيلة الوحيدة التي تساوي بين الناس فقيرهم وغنيهم فيقول :

ترى جثوتين من ترابٍ عليهما ... صفائح صُمٌّ من صفيح منضّدِ

ارى الموت يعتام الكرام ويصطفي ... عقيلة مال الفاحش المتشدِّدِ (٧٧)

ويرى أن العيش كنز ولكنه ينقص كل ليلة ، وانه آت لا محالة . ولعل استعمال الشاعر لفظة « كنز » يشير الى اهمية الحياة بالنسبة للشاعر ، وللجاهلي بعامة ، وفي استعمالها ما يشرح ويفسر جزعه من الفناء ، كما أن تصويره بالحبل المرخي اشارة الى الحتمية التي لا انفكاك منها :

ارى العيش كنزاً ناقصا كل ليلة ... وما تُنقِص الأيام والدهرُ يُنفدِ (٧٨)

لعمرك ان الموت ما اخطأ الفتى ... لكالطِّوَل المرخى وثُنياه باليدِ

متى ما يشأ يوما يُقدْه لحتفه ... ومَن يكُ في حبل المنيّة يَنقدِ

---

(٧٦) ديوانه (١٦٨ — ١٧١) .

(٧٧) ديوانه (٥٣) .

(٧٨) ديوانه (٥٣ — ٥٤) .

ويسخر امرؤ القيس من الناس ومن نفسه الذين يسيرون فلا يعرفون مصائرهم ، وانهم ضعاف ، ومع ذلك فانهم اجرأ من مجلخة الذئاب :

ارانا موضعين لأمر غيب ونسحر بالطعام وبالشراب

عصافير وذبّان ودودٌ واجرأ من مجلّخة الذئاب (٧٩)

ومن الحكم النثرية :

اكثر من الصديق فانك على العدو قادر (قالها ابجر بن جابر العجلي) (٨٠) .

والدال على الخير كفاعله (قالها اللجيج بن شنيف اليربوعي) (٨١) .

واذا عز اخوك فهن ، (قالها الهذيل بن هبيرة) (٨٢) .

ومن **القيم الجاهلية البارزة في ذلك العصر ذلك التناقض الظاهر بين ظاهرتين ، اولاهما** نجد فيها الشاعر الجاهلي يحرّض قومه وفرسانهم على تقتيل الاعداء والفتك بهم ، وهذا ما ليس موضعه هذا البحث ، **وثانيتهما** : نجد فيها الشاعر الجاهلي **يدعو الى التسامح والسلم والصلح.** وهذه الظاهرة تبرز بوضوح حينما يكون الفريقان المتصارعان ينتميان الى قبيلة واحدة او الى بطن كبير من بطون عدنان او قحطان . وكأني بالشاعر ، وهو رائد في قومه وزعيم موجه لسياسة القبيلة ، يحس احساسا عميقا بصلة الرحم والقربى ، ويحرص عليها من ان تتقطع اوصالها . فهذا قيس بن زهير العبسي يقتل حمل بن بدر الفزاري ومع ذلك فهو يصرخ حزينا باكيا :

---

(٧٩) ديوان امرىء القيس .
(٨٠) الوسيط في الامثال للواحدي (٥٦) .
(٨١) المصدر السابق (٤٩) .
(٨٢) المصدر السابق (٤١) .

شفيت النفس من حمل بن بدر وسيفي من حذيفة قد شفاني

فان اكُ قد بردت بهم غليلي فلم اقطع بهم الا بناني (٨٣)

وسنان بن ابي حارثة يخاطب المثلم بن رياح بن ظالم المُرّي محذرا ومتوعدا :

فَمَنْ مُبلِغٌ عني المثلّم آية

وسهلا فقد نفّرتم الوحش اجمعا

همو آخوتي دنيا فلا تقربنّهم

أبا حشرج وافسح لجنبك مضجعا (٨٢)

ويجيبه المثلم بن رياح ويرد على تهديده :

فَمَنْ مُبلِغ عني سنانا رسالة وشجنة أنْ قُوما خُذا الحق او دعا

سأكفيك جنبي وضعه ووساده واغضب ان لم تعط بالحق اشجعا

تصيح الردينيات فينا وفيهم صياح بنات الماء اصبحن جُوّعا

لففنا البيوت بالبيوت فأصبحوا بني عمنا من يُرْمِنا يُرْمِنا معا (٨٥)

ويحاول الحصين بن الحمام المري اقناع بطن آخر من قبيلته حتى لا يكرهوه وقومه على ما لا يحبون :

فيا اخوينا من ابينا وأُمّنا ذروا مولَيْنا من قضاعة يذهبا

فان أنتُم لم تفعلوا لا أبالكم فلا تعلقونا ما كرهنا فنغضبا

ونحن بنو سهم بنِ مُرّة لم نجد لنا نسبا عنهم ولا متنسَّبا

---

(٨٣) شرح الحماسة للمرزوقي ٢٠٣/١ .

(٨٤) معجم الشعراء للمرزباني (٣٨٦) .

(٨٥) شرح الحماسة للمرزوقي ٣٨٣/١ — ٣٨٤ .

متى ننتسب تلقوا ابانا اباكمُ ولن تجدونا للفواحش اقربا (٨٦)

ويتحسر غلاّق مروان على فرقة عبس وذبيان بسبب الرهان بين داحس والغبراء فيقول :

همُ قطعوا الارحام بيني وبينهم واجروا اليها واستحلّوا المحارما

فيا ليتهم كانوا لأخرى مكانها ولم تلدي شيئا من القوم فاطما

شأمتم بها حَيَّي بَغيض وغرَّبت اباك فأودَى حيث والى الأعاجما

وكانت بنو ذبيان عزا واخوة فطرتم وطاروا يضربون الجماجما (٨٧)

ويصور خالد بن نضلة ما يلقى تارك قومه الى قوم آخرين وما سيلقى فيقول :

لعمري لرهط المرء خيرٌ بقيةً عليه وان عالوا به كل مركب

من الجانب الأقصى وان كان ذا غنى فكلُّ ما عُلِفتَ من خبيث وطيّب (٨٨)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتتسع دائرة الانتماء وتتضح عند شاعر من بني عبس فيميز بين فرعي العرب الكبيرين : عدنان وقحطان فيرى القرابة من جهة الحارث بن كعب لانهم من نزار ، لا من جهة جرم وراسب لأنهم من قضاعة من اليمن .

أرِقّ لأرحام أراها قريبة لحارِ بنِ كعب لا لجرم وراسبِ

وأنّا نرى اقدامنا في فعالهم وآنفنا بين اللحى والحواجب

واخلاقنا إعطاءنا وإباءنا اذا ما أبينا لا ندرٌّ لعاصب (٨٩)

---

(٨٦) المفضلية (٩٠) .

(٨٧) شرح الحماسة للمرزوقي ١/٤٥٥ .

(٨٨) المصدر السابق ١/٣٥٨ ــ ٣٥٩ .

(٨٩) المصدر السابق ١/٣٢٨ ــ ٣٢٩ .

ويتضح هـذا الانتماء بدرجة كبيرة حتى ان قوما يقتلون شقيق الحارث بن وعلة الذهلي فيحار بين الأخذ بالثأر والعفو بسبب القرابة ، ويعبّر عن ذلك فيقـول :

قومـي هـُم قتلوا اميـمَ اخـي فاذا رميـتُ يصيبنـي سَهمـي

فلئـن عَفـوتُ لأعفُوَنْ جَلَـلا ولئن سطوت لأوهِنَنْ عَظمي (٩٠)

د. عفيف عبد الرحمن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(٩٠) شرح الحماسة للمرزوقي ١/٢٠٤ .

١ ــ **الأصمعيات**

تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ــ دار المعارف ط ٢ : ١٩٦٤ .

٢ ــ **الأغاني**

طبعة دار الكتب ، وطبعة دار الثقافة بيروت .

٣ ــ **الأمالي**

للقالي ــ ط بيروت ــ دار الحكمة ــ د. ت .

٤ ــ **تاريخ الطبري**

تحقيق محمد أبو الفضل ابرهيم ــ دار المعارف ١٩٦٨ .

٥ ــ **جمهرة اللغة**

لابن دريد ــ مطبعة البابي الحلبي ــ القاهرة .

٦ ــ **الحماسة**

لأبي تمام بشرح المرزوقي ، تحقيق عبد السلام هارون ورفيقه ــ مطبعة لجنة التأليف والترجمة ــ ط ٢ : ١٩٦٧ .

٧ ــ **الحيوان**

للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط ٣ : بيروت ــ دار الكتاب العربي ١٩٦٩ .

٨ ــ **ديوان الأعشى**

تحقيق محمد محمد حسين ــ دار النهضة العربية ــ بيروت ١٩٧٢ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٩ ــ **ديوان امرىء القيس**

تحقيق محمد ابو الفضل ابرهيم ــ دار المعارف ط ٣ : ١٩٦٩ .

١٠ــ **ديوان طرفة بن العبد**

تحقيق علي الجندي ــ مكتبة الانجلو المصرية ١٩٥٨ .

١١ــ **ديوان الطفيل الغنوي**

تحقيق محمد عبد القادر أحمد ــ دار الكتاب الجديد ، بيروت ١٩٦٨

١٢ــ **ديوان عامر بن الطفيل**

دار صادر ــ بيروت ١٩٦٣ .

١٣ــ **ديوان عبيد بن الأبرص**

تحقيق حسين نصار ــ مكتبة عيسى البابي الحلبي بمصر ١٩٥٧ .

١٤ــ **ديوان عمرو بن شأس**

تحقيق يحيى الجبوري ــ مطبعة الآداب ــ النجف ١٩٧٦ .

١٥ــ **ديوان عنترة**

تحقيق عبد المنعم شلبي ــ المكتبة التجارية الكبرى ــ مصر ــ د. ن

١٦ــ **ديوان النابغة الذبياني**

تحقيق شكري فيصل ــ دار الفكر ــ بيروت ــ ١٩٦٨ .

١٧ــ **ديوان لبيد بن ربيعة**

تحقيق احسان عباس ــ وزارة الارشاد بالكويت ١٩٦٢ .

١٨ــ **سبائك الذهب في معرفة قبائــل العرب**

لأبي الفوز البغدادي ــ المكتبة التجارية الكبرى ــ مصر ــ د. ت

١٩ــ **شرح اختيارات المفضل للتبريزي**

تحقيق فخر الدين قباوة ــ مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٤ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢٠ــ **شرح المعلقات السبع للزوزني**

دار الجيل بيروت ــ ط ٢ : ١٩٧٢ .

٢١ــ **شرح النقائض لأبي عبيدة**

صورة بالافست ــ مكتبة المثنى ــ بغداد ــ د. ت .

٢٢ــ **القرآن الكريم**

٢٣ــ **لامية العرب للشنفرى**

تحقيق محمد عبد البديع شريف ــ دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٤ .

٢٤ــ **المحبر لابــن حبيب**

تحقيق ايلزا ليختن شتيتر ــ المكتب التجاري بيروت ــ د. ت .

٢٥ــ **معجم الشعراء للمرزباني**

تحقيق عبد الستار فراج ، مكتبة عيسى البابي الحلبي ، مصر ١٩٦٠

٢٦ــ **معجم مقاييس اللغة لابن فارس**

تحقيق عبد السلام هارون ــ ط ٢ مطبعة الحلبي ١٩٦٩ ــ ١٩٧٢

٢٧ــ **المفضليــات**

تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ــ دار المعارف ١٩٦٤

٢٨ــ **نهاية الارب للنويري**

الهيئة المصرية العامة ــ ١٩٦٤ .

٢٩ــ **النهاية في غريب الحديث لابن الأثير**

تحقيق طاهر الزواوي ومحمود الطناحي ــ بيروت ــ د. ت .

٣٠ــ **الوسيط في الأمثال للواحدي**

تحقيق عفيف عبد الرحمن ــ مؤسسة دار الكتب الثقافية ــ الكويــت ١٩٧٥ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رأي في المفعول المطلق

للدكتور محمد حسن عواد
الجامعة الاردنية

سبب التسمية :

الاطلاق ــ لغة ــ الارسال والتخلية . يقال : اطلقت الاسير اذا خليت سبيله ورفعت قيود الأسر . والمفعول المطلق هو المفعول المرسل من كل **قيد أو صلة** . وهو المفعول الحقيقي للفاعل . وان كنت مريدا تقييده فقيده اطلاقا . قال ابن السراج « والمصدر هو المفعول حقيقة » (١) . وقال ابن يعيش : « المصدر هو المفعول الحقيقي لان الفاعل يحدثه ويخرجه من العدم الى الوجود (٢) . وقال ابن هشام : هو الذي يصدق عليه قولنا مفعول صدقا غير مقيد بالجار (٣) . وقال السيوطي « انما سمي مفعولا لانه لم يقيد بحرف جر كالمفعول به ، وله ، وفيه ، ومعه » (٤) . وقال ايضا : « هو المفعول حقيقة لانه هو الذي يحدثه الفاعل » (٥) . وقال الرضي : « هو المفعول الحقيقي الذي أوجده فاعل الفعل المذكور وفعله ، ولأجل قيام هذا المفعول به صار فاعلا (٦) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والقول بمصدرية المفعول المطلق قول غير مطرد عند النحاة من جهة صحة اطلاق هذا المفعول على المصدر وغيره . وقول الرضي « ما فعله فاعل الفعل المذكور وفعله » مبني على المسامحة وعدم التفريق بين الاثر

---

(١) الاصول في النحو : ١٩٠/١ .
(٢) شرح المفصل : ١١٠/١ .
(٣) اوضح المسالك : ٣٣/٢ .
(٤) همع الهوامع : ٩٤/٣ .
(٥) همع الهوامع : ٩٤/٣ .
(٦) شرح الكافية : ١١٣/١ ، وانظر في حد المفعول المطلق ايضا المرتجل : ١٥٩ ، والتصريح على التوضيح ٣٢٣/١ ، وحاشية على شرح الفاكهي لقطر الندى ٨٤/٢ وغيرها ، وهو كثير .

وهو المفعول المطلق ، وبين المصدر الذي هو التاثير كما سياتي عن السيد امـــير بادشـــاه .

قد يقال : اليس زيد في « ضرب عمرو زيدا » هو ما فعله الفاعل ؟ والجواب : هو النفي ، لان « زيدا » في الجملة وقع عليه فعل الفاعـــل ولم يفعله الفاعل ، خلافا للضرب في « ضرب زيد ضربا » فهو ما فعله الفاعل (٧)

هل المفعول المطلـــق مصدر :

واني لمحدثك الان عن مسالة من مسائل المفعول المطلق هي ام الباب ، وعليها المعول . فاذا استقام النظر فيهـــا وسار على نهـــج لاحب تحقق لنا من الفوائد ما لا يحصى ، واذا اخطأ النظـــر صرنا الى مـــا صار اليه سلفنا من النحاة من الاضطراب وكثرة الحدود المفضية الى حقيقة واحدة ، والصائرة الى مآل لا يتعدد ، او هكذا هو الظن . والقضية دائرة على حقيقة المفعول المطلق : ما هـــي ؟ وقد رايت الكثرة الكاثرة ممن قرات لهم من النحـــاة يقولون بمصدرية المفعـــول المطلق ، ورايت طائفـــة منهم تقول بصحة اطلاق المفعول المطلق علـــى المصدر وغيره . ورايـــت نظم هذه المقولات في اطارين :

الاطار الأول : وينتظم مقولات الفريق الأول .

الاطار الثاني : وينتظم مقولات الفريق الثاني .

وانك لواجد في كـــل اطار ما يشكل . فعسى ان نخرج مـــن هذه الاشكالات بشيء يبعث على الرضا ويدعو الـــى السكينة .

---

(٧) للاستئناس : شذور الذهب (٢٢٦) .

الاطار الأول :

ينتظم هذا الاطار ـــ كما قلت ـــ مقولات الكثرة الكاثرة من النحاة ، وهم القائلون بمصدرية المفعول المطلق . وسنرى ان مقولات هذا الفريق يعتريها التناقض والاضطراب وشيء غير قليل من الحيرة ، وتنحلّ في النهاية الى صحة اطلاق المفعول المطلق على المصدر وغيره . وانك لتجد للنحوي الواحد غير رأى واحد . وها نحن نسوق بعضا من اقوالهم ، اذ لا سبيل الى حصرها جميعا في هذا المقام فضلا عن التماثل الواقع فيها .

قال سيبويه : « قعد قِعْدَةَ سوء وقعد قعدتين لما عمل في الحدث عمل في المرة والمرتين ، وما يكون ضربا منه . فمن ذلك : قعد القرفصاء ، واشتمل الصماء ، ورجع القهقرى ، لانه ضرب من فعله الذي أخذ منه »(٨) .

وقال ابن السراج « ومصدر الفعل الذي يعمل فعله فيه يجيء على ضروب : فربما ذكر توكيدا نحو قولك : قمت قياما ، وجلست جلوسا ، فليس في هذا اكثر من أنك اكدت فعلك بذكرك مصدره . وضرب ثان تذكرة للفائدة نحو قولك : ضربت زيدا ضربا شديدا . . . وكذلك اذا قلت : ضربت ضربتين وضربات »(٩) .

وقال الزمخشري « هو المصدر ـــ أي المفعول المطلق ـــ سمى بذلك لأن الفعل يصدر عنه ويسميه سيبويه الحدث **والحدثان** ، وربما سماه الفعل . وينقسم الى مبهم نحو : ضربت ضربا ، والى مؤقت نحو : ضربت ضربة وضربتين »(١٠) .

---

(٨) الكتاب ٢٤/١ ، وانظر ايضا الاصول في النحو : ١٩١/١ .

(٩) الاصول في النحو ١٩١/١ .

(١٠) شرح المفصل ١٠٩/١ ـــ ١١٠ .

وقال ابن عقيل : « المفعول المطلق هـو المصدر المنتصب توكيدا لعامله ، أو بيانا لنوعـه ، او عدده نحو : ضربت ضربا ، وسرت سير زيد ، وضربت ضربتين (١١) . وقال ابن هشام : « المفعول المطلق وهو المصدر الفضلة المؤكد لعامله ، او المبين لنوعه او لعدده كضربـت ضربا او ضرب الأمير او ضربتين (١٢) .

فالمفعول المطلق ـ كما ترى ـ مصدر مؤكد لعامله ، او مبين لنوعه ، او عدده . ومقتضى هذا الحد ان تخرج المصادر المرادفة بنوعيها الملاقي في الاشتقاق وغير الملاقي في الاشتقاق من مثل « وتبتل اليـه تبتيلا (١٣) ". و « والله انبتكم من الارض نباتا » (١٤) ، وفرحت جذلا ، وقعدت جلوسا . او نصير الى التقدير بـلا ضرورة ملجئة كما سيأتي عـن الرضي . او نعمل فيها العامل المذكور للاتفاق في المعنى العـام ، كما سيأتي عن المبرد وغيره ، وهو مردود ، لان لكـل لفظ معنى خاصا به ، فالجلوس غـير القعود وان كان يجمعهما معنى عام ، والانبات غـير النبات ، وان كـان يجمعهما معنى عام . وكذا القول في كـل مترادف . والـذي عليه سيبويه ان نباتا وتبتيلا وامثالهما مصادر جاءت على غـير افعالها والمعنى واحد . قال « باب ما جاء المصدر فيه على غير الفعل ، لان المعنى واحد . وذلك قولـك : اجتَوَروا تجاوُراً وتجاوروا اجتوارًا لان معنى اجتوروا وتجاوروا واحد . ومثل ذلك : انكسر كسرا، كُسِر انكسارا ، لان معنى كسر وانكسر واحد . وقال الله تبارك وتعالى « والله انبتكم من الأرض

---

(١١) شرح ابن عقيل ٥٥٧/١ . والراجح عند النحاة اعتبار المصدر النوعـي المضاف نائبا عـن المصدر . قال السنباطي « ان نحو هذا مما ناب فيه صفة ـ المصدر عنه » التصريح علـى التوضيح ٣٢٤/١ . وقالـوا : يستحيل ان يفعل الانسان فعل غيره . التصريح ٣٢٤/١ والنحو الوافي ١٦٩/٢ ، ١٧٥ .

(١٢) شذور الذهب (٢٢٥) .

(١٣) المزمل (٨) .

(١٤) نوح (١٧) .

نباتا » لأنه اذا قال انبته فكأنه قال قد نبت » (١٥) . والمنقول عن سيبويه — عند الجمهور — أن هذه المصادر منصوبة بأفعال مضمرة دل عليها الظاهر . قال ابن يعيش « منصوبة بفعل محذوف دل عليه الظاهر ، وهو مذهب سيبويه » (١٦) .

والذي عليه المبرد أن هذه المصادر يعمل فيها الفعل المذكور لاتفاقها في المعنى : قال « واعلم أن الفعلين اذا اتفقا في المعنى جاز أن يحمل مصدر احدهما على الآخر ، لان الفعل الذي ظهر في معنى فعله الذي ينصبه (١٧) .

وذهب المازني والسيرافي الى ما ذهب اليه المبرد (١٨) ، وهو المختار عند ابن مالك (١٩) وهو الأولى عند الرضى : قال « وهو أولى لان الأصل عدم التقدير بلا ضرورة ملجئة اليه (٢٠) . واختاره ابن هشام في قطر الندى، فقال في حد المفعول المطلق « هو المصدر الفضلة المسلط عليه عامل من لفظه كضربت ضربا ، أو من معناه كقعدت جلوسا (٢١) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكلا الفريقين يتفق على شيء واحد وهو وجوب اعراب المرادف مفعولا مطلقا . فعلى الرأي الاول هو مفعول مطلق ، وهو مصدر ، وناصبه فعل مضمر ، وعلى الرأي الثاني هو مفعول مطلق وهو مصدر ، وناصبه الفعل المذكور .

---

(١٥) الكتاب ١/٢٩١ — ٢٩٢ .

(١٦) شرح المفصل ١/١١٢ ، وانظر القضية في الكافية ١/١١٦ ، وهمع الهوامع ٣/٩٤ ، وحاشية على شرح الفاكهي ٢/٨٨ ، وشرح ابن عقيل ١/٥٦١ .

(١٧) المقتضب ١/٧٣ .

(١٨) انظر شرح المفصل ١/١١٢ ، وحاشية على شرح الفاكهي لقطر الندى ٢/٨٨ . وخالف في الهمع فنسب المبرد الى فريق سيبويه ٣/٩٤ .

(١٩) الكافية ١/١١٦ .

(٢٠) الكافية ١/١١٦ ، وانظر حاشية على شرح الفاكهي ٢/٨٨ .

(٢١) قطر الندى (٢٢٤) .

وعلى المذهب الأول يقتضي التقدير وهو ما لا تدعو اليه الضرورة ، وعلى المذهب الثاني يقتضي تماثل المترادف في المعنى ، وهو قول غير دقيق . واذن فتلك قضية لا بد من حل لها ، والحل — كما تصوره النحاة فيما بعد — هو ادراج هذا النوع من المصادر الجارية على غير افعالها في مبحث النيابة عن المصدر ، وهو الشائع في الكتب المتأخرة (٢٢) . وتصور النحاة هذا كالمستجير من الرمضاء بالنار، اذ كيف ينوب مصدر عن مصدر الا اذا استقر في الاذهان أن المصدر الحقيقي هو المصدر المؤكد لعامله ، واما ما عداه فهو فرع عنه ؛ وهذا أمر غير جائز ولا قائل به (٢٣) .

وما يقال في المرادف يقال مثله في المصادر النوعية ، من مثل القهقرى والصماء والقرفصاء ، فسيبويه يعدها مصادر يعمل فيها الفعل الذي قبلها ، كما هو الظاهر من قوله : « قعد قُعدة سوء ، وقعد قعدتين لما عمل في الحدث عمل في المرة والمرتين وما يكون ضربا منه ، فمن ذلك قعد القرفصاء ، واشتمل الصماء ورجع القهقرى (٢٤) . وقال ابن يعيش « واما رجع القهقرى ، واشتمل الصماء ، وقعد القرفصاء ، فقد قال سيبويه انها مصادر ، وهي منصوبة بالفعل قبلها ، لان القهقرى نوع من الرجوع ، فاذا تعدى الى المصدر الذي هو جنس عام كان متعديا الى النوع اذ كان داخلا تحته ، وكذلك القرفصاء (٢٥) .

وقال بعض الكوفيين انها منصوبة بأفعال مشتقة وان لم تستعمل (٢٦)

---

(٢٢) انظر شرح ابن عقيل ٥٦١/١ ، وشرح الاشموني ٢١٠/١ وأوضح المسالك ٣٤/٢

(٢٣) انظر التصريح ٣٢٨/١ .

(٢٤) الكتاب ٢٤/١ .

(٢٥) شرح المفصل ١١٢/١ .

(٢٦) الكافية ١١٥/١ وقال في اللسان : « والقهقرى مصدر قهقر اذا رجع على عقبيه » ٤٣٤/٦ . وقال « فاذا قلت قعد فلان القرفصاء ، فكأنك قلت: قعد قعودا مخصوصا » ٣٣٩/٨ . وقال « فاذا قلت اشتمل الصماء ، كأنك قلت اشتمل الشملة التي تعرف بهذا الاسم لان الصماء ضرب من الاشتمال » . ٢٣٩/١٥ .

وراى ابو العباس المبرد انها اوصاف لمصادر محذوفة . قال ابن يعيش « وقال ابـــو العباس : هذه حلى وتلقيبات وصفت بهـــا المصادر ثم حذفت موصوفاتها ، فاذا قال : رجع القهقرى ، فكأنه قال : الرجعة القهقرى . واذا قال : قعد القرفصاء فكأنه قال : القعدة القرفصاء (٢٧) . فاذا تحقق انها مصادر فلا بد ان تدرج في المفعول المطلق لا في النائـــب عنه كما فعل ابن هشام في الشذور (٢٨) . واذا تحقق انها اوصاف فلا بد من ادراجها تمشيا مع تصور النحاة فيما ناب عن المصدر من صفة . والذي عليـــه الرضي ان مذهبي المبرد وبعض الكوفيين ضعيف ، لان الاول يقتضي ان تكون اوصافا ، وهـــي ليست كذلـــك ، والثاني يقتضي ان يكـــون لها افعال من جنسها لم تستعمل . ومعنى هـــذا كله ثبوت راي سيبويـــه القائل بأنهـــا مصادر نوعية تعمل فيهـــا الأفعال قبلها (٢٩) ، ولكن لما كانت هـــذه المصادر تعمل فيها افعال من غـــير لفظها ولكنها مـــن جنس ما تدل عليه» ادرجها النحاة فيما ينـــوب عن المصدر . ونيابة المصدر عن المصدر امر غير مقبول ـــ كما اسلفنا ـــ لان هذه النيابة تقضي بأن انتصاب النوعي فرع من انتصاب المؤكد ولا قائل به (٣٠) ؛ ويبدو ان النحاة قـــد تصوروا فعلا ان النوعي فرع عـــن المؤكد ، والدليل على ذلك انهم ادخلوا في حد المفعول المطلق المصدر النوعي الموصوف ، مثل « ضربت ضربا شديدا » . وادخلوا في باب النيابة المصدر النوعي الذي هو من جنس ما يدل عليه عامله ، مثل « رجع القهقرى » و « قعد القرفصاء » ، وكذلك المصدر النوعي المضـــاف مثـــل « سرت ســـير زيد » و « فأخذناهـــم اخـــذ عزيـــز مقتـــدر » ، لأن الفاعـــل يستحيـــل أن يفعـــل فعـــل غيره ، كمـــا تقدم عـــن السنباطي (٣١) . وقال الاستاذ

---

(٢٧) شرح المفصل ١١٢/١ ، وانظر الاصول في النحو ١٩١/١ والكافية ١١٥/١ .
(٢٨) شذور الذهب (٢٢٦) .
(٢٩) الكافية ١١٥/١ .
(٣٠) التصريح ٣٢٨/١ .
(٣١) انظر ما تقدم حاشية ص (٣) .

عباس حسن « وهم يقولون ايضا ان المصدر النوعي ان كان مضافا فالاصح اعتباره نائب مصدر لاستحالة ان يفعل الانسان فعل غيره ، وانما يفعل فعله الصادر عنه (٣٢) . وهذا خلف من القول . فمقتضى الحد ان يدخل فيه المصدر النوعي بأقسامه كلها لا لشيء الا لانه مصدر ، أو أن يغير الحد بحيث يقتصر اطلاق المفعول المطلق على المصدر المؤكد فقط . ثم نرى من أمرهم عجبا ، فالمفعول المطلق الذي هو مصدر بمقتضى الحد يصير مصدرا اقتصارا على الغالب . قال ابن هشام « واكثر ما يكون المفعول المطلق مصدرا (٣٣) ثم ينحلّ الى مصدر وغير مصدر . قال ابن هشام « ينوب عن المصدر في الانتصاب على المفعول المطلق ما يدل على المصدر من صفة كَبِرْتُ احسن السير واشتمل الصماء ، وضربته ضرب الأمير . . . . . (٣٤) . وقال الاشموني : « وقد ينوب عنه ـ اي عن المصدر ـ في الانتصاب على المفعول المطلق ما عليه ، اي ما على المصدر دل، وذلك ستة عشر شيئا . . . . . (٣٥) وقال في التصريح « ينوب عن المصدر في الانتصاب على المفعول المطلق ما يدل على المصدر من . . . . (٣٦) . وقال الدنوشري « اطلاق المفعول المطلق على المصدر وعلى النائب عنه حقيقة عرفية (٣٧) . وقال الاستاذ عباس حسن : « المفعول المطلق قد يطلق ـ احيانا ـ على المصدر الاصيل المنصوب على المصدرية ، وقد يطلق على ما ينوب عنه احيانا اخرى (٣٨) . وقال : ايضا « وحكم هذا

---

(٣٢) النحو الوافي ١٦٦/٢ ، ١٧٥ .

(٣٣) اوضح المسالك ٣٣/٢ ، وانظر في مثل ذلك في معجم النحو (٣٦١) ، والتصريح ٣٢٥/١ .

(٣٤) اوضح المسالك ٣٣/٢ .

(٣٥) شرح الاشموني ٢١٠/١ .

(٣٦) التصريح على التوضيح ٣٢٥/١ .

(٣٧) التصريح على التوضيح حاشية ٣٢٦/١ .

(٣٨) النحو الوافي ١٧٣/٢ .

النائب ــ اي الاشياء التي تنوب عن المصدر ــ النصب دائما . ويذكر في اعرابه انه منصوب لنيابته عن المصدر المحذوف ، او منصوب لانه مفعول مطلق . ولا يصح في الاعراب الدقيق ان يقال منصوب لانه مصدر . ذلك لما اوضحناه من انه ليس مصدرا للعامل المذكور ، اذ مصدر العامل المذكور قد حذف وهـذا نائب عنه . . .. . فمن الواجب عدم الخلـط بين المصطلحات ، والتحرز من الخطأ في مدلولاتها . فعند اعراب المصدر الاصلي المنصوب نقول انه مصـدر منصوب او مفعول مطلق منصوب كذلك . اما عند حذف المصدر الاصلي ووجود نائب عنـه فنقول انه نائب عن المصدر المحذوف منصوب او مفعول مطلق منصوب ، ولا يصح ان يقال مصدر » (٣٩).

وكل ما تقدم يأباه مقام التعريف ويدعو الـى رسم جديد لحد المفعول المطلق . وقول عباس حسن « لا يصح ان يقال مصدر » يحتاج الى تقييد ، لانه لا يسري على المرادف والنوعي والا فكيف ننفي عـن هذين اللونين مصدريتهما ؟ وقولـه « ولا يصح في الاعراب الدقيق أن يقـال منصوب لانه مصدر » ملحق بقوله الاول . وقد وقعت على كثير من المصادر المرادفة يقال في اعرابها انها منصوبة على المصدر . قال ابن الأنباري « قوله « وكل شيء احصيناه كتابا » كتابا : منصوب على المصدر . وفي العامل فيـه وجهان : احدهما (٤٠) : ان يكون العامل فيه احصيناه وهو بمعنى كتبنا .

والثاني (٤١) : ان يكون قدر له فعل من لفظه دل عليه احصيناه فكأنه قـال : كتبناه كتابا » (٤٢) .

---

(٣٩) النحو الوافي ١٧٣/٢ وانظر ايضا ١٧١/٢ .

(٤٠) هو الراي المنسوب الى المبرد والمازني والسيرافي .

(٤١) هو الراي المنسوب الى سيبويه .

(٤٢) البيان في غريب اعراب القرآن ٤٦٩/٢ .

وقال في موضع اخر في اعراب « تبتيلا » في قوله تعالى « وتبتل اليه تبتيلا » : تبتيلا منصوب على المصدر . . . . . (٤٣) . وقول عباس « فمن الواجب عدم الخلط . . . . . » مردود ، لان الخلط قائم مهما تحرز الدارس

فالمفعول المطلق هو المصدر تارة ، وهو المصدر وما ينوب عنه تارة ثانية ، وهو المصدر اقتصارا على الغالب تارة ثالثة ، بله القول بالمصدر التأصل في المصدرية والنائب عنه . فمن الواجب اعادة النظر في حد المفعول المطلق ، وهو اولى من التحرز وعدم الخلط بين المصطلحات ، وهو ما سنأخذ به ان شاء الله .

اساس هذا الاضطراب الواقع في مقولات النحاة القول بمصدرية المفعول المطلق ، وحصر هذه المصدرية ـ احيانا ـ في المحتمل للقليل والكثير ـ كما تقدم ـ وكما نلحظ ذلك في ما قاله ابن القيم وهو : « واما الظن فمصدر لا يثنى ولا يجمع الا ان تزيد به الامور المظنونة نحو قوله تعالى« وتظنون بالله الظنونا »،اي يظنون اشياء كاذبة ؛ والظنون على هذا مفعول مطلق لا عبارة عن الظن الذي هو مصدر (٤٤) .

فالظن الذي هو مصدر هو الظن المحتمل للقليل والكثير ، واما النوعي فهو ليس بحقيقي . وانما ينزل منزلة الحقيقي .

واذا صح انه ينزل منزلة الحقيقي ، فالمفعول المطلق هو الحقيقي وغيره ، لانه يصح اطلاقه على كليهما كما تقدم .

والواقع ان هذه المصدرية التي تشبث النحاة بها ـ فضلا عما سقناه من ادلة دفعها ـ هي مصدرية غير حقيقية بما فيها المصدر المحتمل

---

(٤٣) بدائع الفوائد ٢/٩٨ .

(٤٤) البيان في غريب اعراب القرآن ٢/٤٦٩ .

للقليل والكثير . بيان ذلك ان المفعول المطلق « هـو الأثر الواقع بلفظ المصدر ، وليس هو المصدر الذي هو التأثير . قال السيد امير بادشاه « المفعول المطلق هـو الحاصل بالمصدر ، اي الأثر لا المصدر الذي هو التأثير . قـال : واطلاق المصدر على المفعول المطلق بضرب من المسامحة وعدم التمييز بين التأثير والأثر » (٤٥) وقال « صرحوا بأن ما اشتمل عليه الفعل مطلقا انما هـو التأثير ، وانما كون المفعول المطلق بمعناه مبني على عدم الفرق بين التأثير والأثر ، فلزم وجود التأثير والأثر في كـل مصدر جاء منه فعـل (٤٦) . ثم قال « فالوجه ان يقال اريد بالتأثير ما يعم الحقيقي وما نزل منزلته لمشاركته اياه في كونه نسبة بيـن الفاعل وحدث قام به بحيث صار فاعلا لأجل قيامه » (٤٧) .

ومن مفارقات النحويين العجيبة حملهم اسماء على المصادر وجعلها مفاعيل مطلقة ، من مثل « تربا » و « جندلا » .وظاهر قـول سيبويه أنها منصوبة على المفعول به . قال سيبويه « باب ما جرى من الأسماء مجرى المصادر التي يدعى بها ، وذلك قولك : تربا وجندلا وما أشبه هـذا ، فان ادخلت "لك" فقلت : تربا لك ، فان تفسيرها ههنا كتفسيرها في الباب الاول ، كأنه قـال : ألزمك الله ، واطعمك الله تربا وجندلا ، ومـا اشبه هذا من الفعل ، فاختزل ها هنا لانهم جلعوه بدلا من قولك : تربت يدك وجندلت . وقد رفعه بعض العرب فجعله مبتدأ مبنيا عليه مـا بعده (٤٨) . وجزم

---

(٤٥) التصريح على التوضيح ٣٢٤/١ حاشية وانظر حاشية على شرح الفاكهي ٨٤/٢ .

(٤٦) التصريح على التوضيح ٣٢٣/١ حاشية .

(٤٧) التصريح على التوضيح ٣٢٣/١ .

(٤٨) الكتاب ١٨٦/١ . وجواز الابتداء بالنكرة هنا لما فيه مـن معنى المنصوب وهو الدعاء وانظر ايضا المقتضب ٢٢٢/٣ تجد النصب على المفعول بـه . وانظر شرح المفصل ١٢٢/١ .

الشلوبين بالنصب علـــى المصدر (٤٩) ، والاصح النصب على المفعـــول بـــــه (٥٠) .

رايت مما مضى كيف ان مقولات الكثرة الكاثرة من النحاة لا تجرى على نسق، وان فيها ما يدفع بعضه بعضا ، وان افضل ما يستقر عليه حال المفعول المطلق أن يطلق على المسمى بلفـــظ المصدر وما ينوب عنه . وهو الامر الذي سنأخذ به في نهاية البحث ان شاء الله . وهـــو ما انحلت اليه مقولات النحاة فيما تقـــدم . فاذا تحقق هـــذا صرنا الى حد ادنى الى الصواب وابعد عـــن الاضطراب والتناقض .

الاطـــار الثانـــي :

وهو الاطار الذي ينتظم مقولات الفريق القائل بصحة اطلاق المفعول المطلق على المصدر وغيره من غير الجهة التي انحلت اليها مقولات الفريق الاول ، وانما مـــن جهة ثانية . فالاولى مبناها علـــى اختلاف الأقوال وتعداد الآراء وكثرة المصطلحات ، والثانية مبناها على ابحاث كلامية ، واخرى بلاغية . وكلام هذا الفريق يفضي الى مـــد حدود دائرة المفعول المطلق بحيث تشمل كل ما كان غـــير موجود ثم وجد بفعل ايجـــاد، من مثل: « خلق الله السموات » و « انشأت كتابا » و « عملت صالحا » وفعلت خيراً .

ويقف على راس هذا الاتجاه عبد القاهر الجرجاني وتابعه عليه ابن هشام في المغنى . قال عبد القاهر « الافعال علـــى ضربين : متعدٍّ وغير متعدٍّ . فالمتعدي على ضربين : ضرب يتعدى الى شيء هو مفعول به ، كقولك : ضربت زيدا « زيدا » مفعول به ، لانك فعلت به الضرب ولم يفعله

---

(٤٩) حاشية على شرح الفاكهي لقطر الندى ٨٨/٢ .

(٥٠) حاشية على شرح الفاكهي ٨٨/٢ ، والنحو الوافي ١٩٢/٢ .

بنفسه ، وضرب يتعدى الى شيء هو مفعول على الاطلاق . وهو في الحقيقة كفعل ، وكل ما كان مثله في كونه عاما غير مشتق عن معنى خاص كصنع ، وعمل ، واوجد ، وانشأ . ومعنى قولي من « معنى خاص » انه ليس كضرب الذي هو مشتق من الضرب ، او اعلم الذي هو مأخوذ من العلم . وهكذا كل ما له مصدر، ذلك المصدر في حكم جنس من المعاني . فهذا الضرب اذا اسند الى شيء كان المنصوب له مفعولا لذلك الشيء على الاطلاق ، كقولك : فعل زيد القيام ، فالقيام مفعول في نفسه ، وليس بمفعول به . واحق من ذلك ان تقول : خلق الله الأناسي ، وانشأ العالم ، وخلق الموت والحياة . والمنصوب في هذا كله مفعول مطلق لا تقييد فيه . اذ من المحال ان يكون معنى « خلق العالم » فعل الخلق به ، كما تقول في : ضربت زيدا ، فعلت الضرب بزيد ، لان الخلق من خلق كالفعل من فعل . فلو جاز ان يكون المخلوق كالمضروب، لجاز ان يكون المفعول في نفسه كذلك حتى يكون معنى فعل القيام فعل شيئا بالقيام ، وذلك من شنيع المحال (٥١).

وقال ابن هشام « قولهم : في نحو « خلق الله السموات مفعول به . والصواب : انه مفعول مطلق ، لان المفعول المطلق ما يقع عليه اسم المفعول بلا قيد، نحو قولك : ضربت ضربا ، والمفعول به ما لا يقع عليه ذلك الا مقيدا بقولك : به، كضربت زيدا . وانت لو قلت : السموات مفعول ، كما تقول : الضرب مفعول كان صحيحا . ولو قلت : السموات مفعول به ، كما تقول زيد مفعول به لم يصح (٥٢) ثم قال « المفعول به ما كان موجودا قبل الفعل الذي عمل فيه ، ثم أوقع الفاعل به فعلا . والمفعول المطلق ما كان الفعل العامل فيه هو فعل ايجاده (٥٣) . وكلام عبد القاهر ومن

---

(٥١) اسرار البلاغة ٣٤٠ ــ ٣٤١ .

(٥٢) مغني اللبيب : ٦٦٠ ــ ٦٦١ . وممن ذهب مذهب عبد القاهر ابن الحاجب في الامالي والزمخشري . المغني (٦٦١) والتصريح ٧٩/١ .

(٥٣) مغني اللبيب (٦٦١) .

يعده ابن هشام ، مبني على عدم التفريق بين حقيقة علم النحو ، وحقيقة علم البيان (البلاغة) ؟ فعلم النحو يبحث في الألفاظ من جهة وقوعها في التركيب صحة وفسادا ، وعلم البيان يبحث في الألفاظ من جهة وقوعها في التركيب جمالا وقبحا مرورا بعلم النحو (٥٤). قال الزمخشري في علم النحو « هو المرقاة المنصوبة الى علم البيان (٥٥) .

علم النحو اذن ليس علم المعنى ، وانما هو العلم الذي يحتفي بالمعنى من غير ان يجور هذا الاحتفاء على مقاصده الاصلية . وهي مقاصد مبناها على ملاحظة الألفاظ اعرابا وبناء . وقد ساق ابن هشام عشر وجهات يدخل بها الاعتراض على المعرب منها : « ان يراعى — اي المعرب — ما يقتضيه ظاهر الصناعة ، ولا يراعي المعنى . وكثيرا ما تزل الاقدام بسبب ذلك (٥٦) ومنها « أن يراعى المعرب معنى صحيحا ، ولا ينظر في صحته في الصناعة (٥٧) ومنها « ان يخرج على خلاف الأصل ، او على خلاف الظاهر لغير مقتضى لذلك (٥٨) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من اراد ان ينظر في النحو اذن فلينظر اليه من جهة الأصل في وضعه ولا يحمله على اصل علم آخر ، لان في ذلك خلطا ، واخراجا للعلوم عن حقائقها الأصلية ، ومقاصد علم النحو اساسها ضبط اللسان العربي وحمايته من اللحن . واذا كان الأمر كذلك « فالسموات » و « الاناسي » و « كتابا » و « الصالحات » في « خلق الله السموات » و « خلق الله الاناسي »

---

(٥٤) انظر التعريفات (٢١ ، ١٠٥) ، وكشاف اصطلاحات الفنون ٢٣/١ .

(٥٥) شرح المفصل ١٦/١ .

(٥٦) مغنى اللبيب (٥٢٧) .

(٥٧) مغنى اللبيب (٥٣٩) .

(٥٨) مغنى اللبيب (٥٩٦) . وساق ابن هشام لكل جهة من الجهات امثلة كثيرة ، انظر المغنى من ص (٥٢٧ — ٦٠٣) .

و « انشأت كتابا » و « عملوا الصالحات » تجري مجرى زيد في « ضربت زيدا » وان لم يقع عليها فعل الفاعل . لان المفعول به ـ كما حده القوم ـ ما وقع عليه فعل الفاعل او جرى مجرى الواقع؛كضربت زيدا ، وخلق الله السموات،وانشأت كتابا ، وما ضربت زيدا .

واذا ما اردنا البعد عن التسامح قلنا ان « زيدا » لم يقع عليه فعل الفاعل ، وانما وقع على الشخص المسمى به . وهذا يقتضي اعادة النظر في حد المفعول به الذي بنيت عليه مقارنة عبد القاهر وابن هشام بين المفعول المطلق والمفعول به ، وذلك ادنى الى الانسجام مع منطق اللغة بعيدا عما يحدث في الخارج .

والقول بأن من شرط المفعول به وجوده في الأعيان ، قولٌ رَدَّه الشيخ تاج الدين التبريزي في شرح الحاجبية فقال : « لا نسلم ان من شرط المفعول به وجوده في الاعيان قبل ايجاد الفعل ، وانما الشرط توقف عقلية الفعل عليه سواءٌكان موجودا في الخارج نحو : ضربت زيدا ، او ما ضربته ، او لم يكن موجودا في الخارج نحو : عدمت زيدا ، وبنيت الدار . قال الله تعالى اعطى كل شيء خلقه ، فان الاشياء متعلق لفعل الفاعل بحسب عقليته ثم قد يوجد في الخارج وقد لا يوجد ، وذلك لا يخرجه عن كونه مفعولا . وقال تعالى « وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا (٥٩) .

وقال الشيخ شمس الدين الاصفهاني في شرح الحاجبية « المفعول به بالنسبة الى فعل غير الايجاد يقتضي ان يكون موجودا ثم اوجد الفاعل فيه شيئا ، فان اثبات صفة غير الوجود يستدعي ثبوت الموصوف اولا ، واما المفعول به بالنسبة الى الايجاد ، فلا يقتضي ان يكون موجودا ثم

---

(٥٩) التصريح على التوضيح ٨٠/١ الحاشية .

اوجد فيه الفاعل الوجود ، بل يقتضي ان لا يكـون موجودا ، والا لكان تحصيل الحاصل (٦٠).والذي ساقه عبد القاهر وتابعه عليه ابن هشام له اتصال وثيق بأبحاث كلامية بحتة . وانك لتلحظ هـذا جيدا من جهة انتماء عبد القاهر الى اهل الكلام ، ومن جهة الرد الـذي ساقه الجمهور عليه،الذاهبون الى ان العالم في « خلق اللـه العالم » مفعول به لا مفعول مطلق . قال في التصريح « واحتج الجمهور الذاهبون الـى ان العالـم مفعول به لا مفعول مطلق بأمور اولها : انا قد نعلم العالم ، وان كنا لا نعلم انه مخلوق لله تعالى الا بدليل منفصل . والمعلوم مغاير للمجهول . فاذن كون اللـه خالقا للعالم غـير ذات العالم .

وثانيها : انا نصف الله بالخالقية ، فلو كان خلـق العالم نفس العالم لزم ان يكون الله تعالى موصوفا بالعالم ، كما انه موصوف (٦١) بخالقية العالـم .

وثالثها : ان نقول العالم ممكن ، فلم يوجد الا لان الله اوجده واحدثه وابدعه ، فلو كان ايجاد العالم واحداثه نفس العالم لكـان قولنا : العالم وجد . لان اللـه اوجده جاريا مجرى قولنا : العالم وجد ، لانه وجد فيكون ذلك تعليلا للشيء بنفسه ، ويرجع حاصله الى ان العالم وجد بنفسه،وذلك نفي للصانع (٦٢) . وهكذا ضاعت اللغة وضاع منطقها في ركام من ابحاث الكلام . وهو امر مرفوض في البحث اللغوي ، اذ ان للغة منطقا خاصا بها منسجما مع طبيعتها ، وكـذا تجد لكل علم منطقه الخاص ، ولا يجوز حمل علم على علم الا بالمقدار الذي لا يجور على المقاصد الاصلية لكل علم .

---

(٦٠) التصريح على التوضيح ١/٨٠ الحاشية .

(٦١) في الأصل موضوفا .

(٦٢) التصريح على التوضيح ١/٨٠ .

حصـــاد البحـــث :

يتركز حصاد هـــذا البحث في رسم حد جديد للمفعول المطلق تندرج تحته جميع مسائل المفعول المطلق ، بحيـــث لا نعرف من مصطلحات المفعول المطلق غـــير مصطلح واحد هو المفعول المطلق . وهذا الحد الجديد منتزع من مقولات النحويين التي طرحناها فيما تقدم ، ولكن مع ميل واضح الى التوحيد ، وبعد عن الاختلاف وتعدد الآراء ، ووجوه التناقض ، ومراعـــاة لمقاصد صناعة النحو الأصلية . والحد الذي نقدمه هو على النحو التالي : المفعول المطلق هو ما فعله الفاعل حقيقة أو حكما غير مقيـــد بشيء . وهذا الحد من شأنه ان تندرج تحتـــه كل مسائل المفعول المطلق التي نص النحويون على أنها مصادر تارة ، ونائبة عن المصادر تارة ثانية ، ومفاعيل مطلقة تارة ثالثة ، ونائبة عن المفاعيل المطلقة تارة رابعة . واليـــك هذه المسائـــــل (٦٣) :

١ ــ ما لم يفعله الفاعل حقيقة مثل : مات موتا ، وما ضربت ضربا .

٢ ــ المصدر المؤكد لعامله مثل : ضربت ضربا .

٣ ــ المصدر المرادف بنوعيـــه :

أ ــ الملاقي في الاشتقاق مثل : « وتبتل اليه تبتيلا » .

ب ــ غير الملاقي في الاشتقاق مثل « قعدت جلوسا » و « فرحت جـــــذلا » .

٤ ــ المصدر العددي مثل : ضربته ضربتين ، وما دل عليه مثل : ضربته مرتيـــــن .

---

(٦٣) هذه المسائل واردة في غير كتاب نحوي ، وقد اعتمدنا في رصدها علـــى : شرح ابن عقيل ، وشرح الاشموني ، وأوضح المسالك ، ومعجـــم النحو ، وحاشية عط شرح الفاكهـــي لقطر النـــدى .

٥ ــ المصدر النوعي مثل : سرت سيرا حسنا . و « رجع القهقرى وقعد القرفصاء ، واشتمل الصماء » .

٦ ــ اسم المصدر مثل : اغتسلت غسلا .

٧ ــ اسم الآلة : ضربته سوطا .

٨ ــ الضمير مثل « لا اعذبه احدا من العالمين » .

٩ ــ المشار اليه مثل « ظننت ذلك الظن » .

١٠ــ بعض المضافة الى مصدر مثل : « اكرمته بعض الاكرام » .

١١ــ كل المضافة الى مصدر مثل : « فلا تميلوا كل الميل » .

١٢ــ ما الاستفهامية مثل : ما تضرب زيدا .

١٣ــ ما الشرطية : ما شئت فاجلس .

١٤ــ ما دل على هيئة المصدر المحذوف : مات الجبان ميتة سوء .

١٥ــ صفة المصدر كسرت احسن السير .

١٦ــ المصدر الذي حذف عامله جوازا لقرينة لفظية او معنوية مثل « جلوسا طويلا » اي جلست جلوسا طويلا . وسعيا مشكورا ، اي سعيت سعيا مشكورا .

١٧ــ المصدر الذي حذف عامله وجوبا ولا فعل له مثل : ويحه ، وويه ، وويله ، ووييه .

١٨ــ المصدر الذي حذف عامله وجوبا وله فعل مثل :

١ ــ المصدر الواقع امرا او نهيا او دعاء او مقرونا باستفهام توبيخي مثل : « اجتهادا لا توانيا » و « سقيا » و « اتوانيا » وقد جد قرناؤك .

ب ــ المصدر الذي حذف عامله ، ودل على هــذا العامل قرينة ، وشاع استعماله مثل : حمدا ، وشكرا ، وصبرا لا جزعا ، وعجبا ، وسمعا وطاعة ، وسحقا ، وبعدا .

جـ ــ المصدر المسوق تفصيلا لما قبله طلبا كقوله تعالى « حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق ، فاما منا بعد واما فداء » . او خبرا كقــول الشاعر :

لأجهدنَّ فإمّــا درء واقعــة
تُخْشَى وإما بلــوغ السؤل والأملِ

د ــ المصدر الواقع فعله خبرا عن اسم عين لا اسم معنى (٦٤)، بشرط ان يكون مكررا او محصورا مثل « زيد سيرا سيرا » و « ما زيد الا سيرا » او مستفهما عنه مثل « سيرا » او معطوفا عليه مثل : « أنت فهمــا ورشدا » . فان لم يكرر المصدر ولم يحصر جاز ذكر عامله وجاز حذفه مثل : انت ســــيرا .

هـ ــ ١ ــ المصدر المؤكد لنفسه ، اي مؤكد للجملة التي قبله مثل « له علي الف عرفا » اي اعترافا .

٢ ــ والمصدر المؤكد لغيره ، وهو الواقع بعد جملة تحتمله وتحتمل غيره . مثل : انت ابني حقا . يحتمل أن يكون ذلــك حقيقة او مجازا .

و ــ المصدر الواقع بعد جملة مشتملة على فاعل المصدر ، وعلى معناه ، وفيها ما يصلح للعمل في المصدر . بشرط ان يكون

(٦٤) ان وقع خبرا لاسم معنى فعليك بالرفع . مثل « امرك عجب عجب » .

المصدر مشعرا بالحدوث ومرادا به التشبيه مثل : « لي سعي سعي الشاكرين » . فاذا لم يستوف الشروط فالرفع على البدلية مثل : « له ذكاء ذكاء الحكماء » . هذا كله يعرب مفعولا مطلقا . لانه يصح ان يكون ما فعله الفاعل حقيقة او حكما غير مقيد بشيء . وكل ما وقع تحت يدك ويصح ان تطلق عليه ما فعله الفاعل من قيد فأدرجه في المفعول المطلق ولا تتردد . وبهذا التوحيد نكون قد خلّصنا هذا الباب من كثرة المصطلحات ، ورددنا فروع المفعول المطلق الى اصل واحد . ونكون قد مهدنا طريق هذا الباب ، بحيث يصير النظر فيه نظرا قاصدا لا مشقة فيه ولا ارهاق او هذا هو الظن .

عامل المفعول المطلق : عامل المفعول المطلق اما ان يكون مصدرا او فعلا او وصفا مثل « فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا » و «كلّم الله موسى تكليما » و « والصافات صفا » (٦٥) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تثنية المصدر وجمعه :

المصدر نوعان : مبهم وهو المؤكد للفعل ، ومختص او مؤقت ويراد به الدال على النوع او العدد . فاما الأول فلم يجيزوا تثنيته او جمعه باتفاق لانه بمنزلة تكرير الفعل ، والفعل لا يثنى ولا يجمع . ثم انه اسم جنس محتمل للقليل والكثير . اما المصدر المختص العددي فيجمع ويثنى باتفاق لانه ينزل منزلة تمرة ، وشجرة ، وثمرة . واما المصدر النوعي فاختلف في تثنيته وجمعه والمشهور جواز تثنيته وجمعه . وظاهر قول سيبويه

(٦٥) اوضح المسالك ٣٣/٢ ، ومعجم النحو (٣٦١) .

المنع ، واختاره الشلوبين (٦٦) واحتج المجيزون بقوله تعالى « ويظنون باللـــه الظنونا » غير ان الظنون في الآية قد تحمل علـــى الظنون التي هي جمع اسم لا على الظن الذي هو مصدر ، لذلك قال في بدائع الفوائد « واما الفعل او ما فائدته كفائدة الفعل مـــن المصادر فلا يجمع ولا يستثنى وقولهم انما جمعت الحلوم والاشغال لاختلاف الانواع . بل يقال لهـــم : وهل اختلفت الانواع الا من حيث كانت بمثابة الاسماء المفعولة (٦٧) ؟ وهو راي وجيـــه .

واما المصادر المثناة مثل : حنانَيْك ، ولبَّيْك ، وسعديك . . . الخ فهي مصادر وردت بلفظ التثنية ويراد بها التكثير ، وليس الاثنين فقط (٦٨) .

بين الحـــال والمفعول المطلـــق

من مقاصد هذا البحث التيسير ، والتخفف مما لا فائدة منه من غير خروج عن طرائق النحاة ، ومناهجهم في النظر . فمن هذا الذي لا فائدة منه ادخالهم بعض المسائل في غير باب من ابواب النحو . . مـــن ذلك قولهم ان « ركضا » و « سعيا » و « بغتة » و « صبرا » و « مشيا » في « جاء زيد ركضا » و « جاء زيد سعيا » و « طلـــع بغتة » و « قتله صبرا » و « مشى زيد مشيـــا » احوال على التأويل بالوصـــف اي « راكضا » و « ساعيا » و « مباغتا » و « مصبورا » و « ماشيا » . وهي مفاعيل مطلقة ايضا . قال ابن القيم « اما الحال فنحو : جاء زيد مشيا وسعيا . تريد ماشيا وساعيا . وفيه قولان : احدهما هذا ، والثاني : ان الحال محذوف ، ومشيا معمولها ، اي يمشي مشيا (٦٩) .

---

(٦٦) انظر تسهيل الفوائد (٨٧) ، و وضح المسالك ٣٥/٢ ، وشرح ابن عقيل ٥٦٣/١ ، والتصريح علـــى التوضيح (٣٢٩) ، وشرح الاشموني ٢١١/١ .

(٦٧) بدائع الفوائد ٨٤/٢ ، وانظر ٩٨/٢ .

(٦٨) شرح المفصل ١١٨/١ .

(٦٩) بدائع الفوائد : ٧٨/٢ .

وقال ابن هشام في باب المنصوبات المتشابهة « ما يحتمل المصدرية والحالية : « جاء زيد ركضا » اي يركض ركضا ، او عامله على حد « قعدت جلوسا » ، او التقدير « جاء راكضا » (٧٠) . والذي عليه سيبويه : ان هذه المصادر تقع احوالا على التأويل بالوصف ، ولا يقاس عليها (٧١) . وهو راي الجمهور (٧٢) . ورأى سيبويه — كما ترى — في اجازته وقوع هذه المصادر احوالا على التأويل بالوصف ، وان قيد ذلك بالسماع — مخالف للأصل في الحال . فالحال هو الوصف الفضلة الدال على هيئة . والذي عليه المبرد والاخفش ان هذه المصادر منصوبة على المصدرية والحال عندهما في « طلع بغتة » هو العامل المحذوف لا بغتة لان التقدير طلع يبغت بغته (٧٣) .

وقول المبرد والاخفش يجري على الأصل في الحال وهو الوصف . وقولهم بأن الحال في « طلع زيد بغتة » هو يبغت لا بغتة يجري على ما يجري عليه الحال ، فالحال يكون مفردا وشبه جملة ، وجملة . وهو هنا جملة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وذهب السيرافي « الى جواز ان يكون قولك اتانا زيد مشيا » مصدرا مؤكدا والعامل فيه اتانا ، لان المشي نوع من الاتيان » (٧٤) .

ومذهب السيرافي يشبه مذهب المبرد ، فالمصدر منصوب على انه مفعول مطلق ، ولكن العامل فيه ليس من جنسه ، وانما هو العامل المذكور .

---

(٧٠) مغني اللبيب (٥٦١) .

(٧١) انظر الكتاب ٢١٨/١ ، وشرح المفصل ٥٩/٢ .

(٧٢) أوضح المسالك ٨٢/٢ .

(٧٣) المقتضب ٢٣٤/٣ ، ٣١٢/٤ وشرح المفصل ٥٩/٢ وشرح ابن عقيل ٦٣٢/٢ .

(٧٤) شرح المفصل ٦٠/٢ .

وهذا الاختلاف بين المذهبين لا يخرج « ركضا » في « جاء زيد ركضا . من المفعول المطلق . واما ابن مالك فقد ذهب مذهب سيبويه في أن هذه المصادر احوال،وقال بالقياس عليها في ثلاثة مواضع :

الأول : أن يقع المصدر بعد أما .

الثاني : ان يقع بعد اسم قرن بأل الدالة على الكمال .

الثالث : أن يقع بعد خبر شبه به مبتدؤه .

قال ابن مالك « اذا وقع مصدر موقع الحال فهو حال ، لا معمول حال محذوف ، خلافا للمبرد والاخفش ؛ ولا يطرد فيما هو نوع للعامل . نحو : اتيته سرعة خلافا للمبرد ، بل يقتصر فيه وفي غيره على السماع ، الا في نحو : أنت الرجل علما ، وهو زهير شعرا ، واما علما فعالم (٧٥). ومقتضى ما ذهب اليه سيبويه ، وابن مالك ، والجمهور ، حصول اللبس ، وتداخل بعض المسائل النحوية في غير باب من أبواب النحو ، فضلا عن جريان هذه الاحوال على خلاف الأصل في الحال . والأولى عندي هو مذهب ابي العباس المبرد والاخفش ، لانه يجرى على الاصل في الحال من جهة كونه وصفا ، ويجرى على ما يجرى عليه الحال في مجيئه جملة . فان صادفك مصادر سيقت على النحو الذي بيناه لك فأعربها مفعولا مطلقا ولا تتردد ، لان المفعول المطلق — كما بينا — هو ما فعله الفاعل ويكون مصدرا وغير مصدر . فان قيل لك : أن هذه المصادر أحوال فقل أن الجملة هي الواقعة موقع الحال . والحال لا يكون مصدراً ، والمفعول المطلق لا يكون جملة (٧٦) . وأما قول ابن الحاجب من أن الجملة المحكية بالقول مفعول مطلق فقد رده ابن هشام في المغني فقال « باب الحكاية بالقول

---

(٧٥) تسهيل الفوائد (١٠٩) ، وانظر أوضح المسالك ٨٢/٢ ، ومعجم النحو (١٦٤) .

(٧٦) انظر حاشية على شرح الفاكهي لقطر الندى ٨٤/٢ .

او مرادفه . فالاول نحو « قال اني عبد الله » وهل هي مفعول بـــه او مفعول مطلق نوعي كالقرفصاء في قعد القرفصاء » : اذ هي دالة على نوع خاص من القول ، فيـــه مذهبان ، ثانيهما اختيار ابن الحاجب قال : والذي غر الاكثرين انهم ظنوا ان تعلق الجملة بالقول كتعلقها بعلم فـــي « علمت لزيد منطلق » وليس كذلك ، لان الجملة نفس القول ، والعلم غير المعلوم . فافترقا . والصواب قول الجمهور ، اذ يصح ان يخبر عن الجملة بأنها مقولة ، كما يخبر عن زيد مـــن « ضربت زيدا » بأنه مضروب ، بخلاف القرفصاء في المثال فلا يصح ان يخبر عنها بأنه مقعودة لانها نفس القعود . وأما تسمية النحويين الكلام قولا فكتسميتهم اياه لفظا ، وانما الحقيقة انه مقـــول وملفوظ » (٧٧) .

وقال ابن هشام في موضع آخر« وزعم ابن الحاجب في شرح المفصل وغيره ان المفعول المطلق يكون جملة ؛ وجعل من ذلـــك نحو « قال زيد عمرو منطلق » وقد مضى رده . وزعم ايضا في « انبأت زيدا عمرا فاضلا » ان الأول مفعول به . والثاني والثالث مفعول مطلق ، لانهما نفس النبأ . قال بخلاف الثاني والثالث في « أعلمت زيدا عمرا فاضلا » فانهما متعلقا العلم لا نفسه . وهذا خطأ ، بل هما ايضا منبأ بهما ، لا نفس النبأ . وهذا الذي قاله لـــم يقله احد ، ولا يقتضيه النظر الصحيح (٧٨) .

واما القول بمجيء الحال مصدرا معرفا كالعراك في بيت لبيد :

فأرسلها العراك ولم يذدها ولم يشفق على نغص الدخال

فهو اضعف من القول بمجيء الحال مصدرا نكرة ، لانه يخالف الاصل في الحال من جهتيـــن : من جهة ان الحال وقع مصدرا ، والاصل فيه ان يكون وصفا . ومن جهـــة انه معرف ،والاصل في الحال ان يكون نكرة .

---

(٧٧) مغنى اللبيب (٤١٢) .

(٧٨) مغنى اللبيب (٦٦١) .

والنحاة انفسهم حملوا هذا ومثله علـى الشذوذ . قال ابن يعيش « فنصب العراك على الحال ، وهو مصدر عارك يعارك معاركة وعراكـا ، وجعل العراك في موضع الحال ، وهـو معرفة اذ كان في تاويل معتركة ، وذلك شاذ لا يقاس عليـه (٧٩) .

بين الحال والمفعول المطلق والمفعول لـه

وهذا لون اخر من المسائل المتداخلة في غير باب من ابـواب النحو ، ومقتضاها الدخول في باب واحد ، حسرا للتشعب ، وتلافيا للاضطراب . من ذلك ما قالـه ابن هشام في المغنى . قـال : « ما يحتمل المصدرية والحالية والمفعـول لأجله . من ذلك (يريكم البرق خوفـا وطمعا) اي فتخافون خوفا وتطمعون طمعا ، وابـن مالك يمنـع حذف عامل المصدر المؤكد الا فيما استثنى ، او خائفين وطامعين ، او لأجل الخوف والطمع (٨٠) فالقول بأن « خوفا وطمعا » واقعان موقـع الحال على التأويل بالوصف ، مردود لما بيّناه من ان الاصل في الحال الوصف ، ولا مانـع هنا أن يكون الحال هـو موضع الجملة .

واما القول بأن هذين المصدرين مفعولان له ، فمردود ايضا لان المفعول له هو المصدر القلبي ، وهو علـة الاقدام على الفعـل ، ويشترط في هذا المصدر ان يكـون مقارنا للفعل في الوجود والفاعل فان انخرم شرط من هذه الشروط خرج عـن حد المفعول له وجـر بحرف جر . كقوله تعالـى « ولا تقتلوا اولادكم من املاق » او قوله : « والارض وضعها للانام » . والآية التي ساقها ابن هشام لا يصح ان يحمـل « خوفا » و « طمعا » . فلم يبق عندنا غير المفعول المطلق . ولا يقـال : ان يريكم بمعنى يجعلكم

---

(٧٩) شرح المفصل ٦٢/٢ .

(٨٠) مغنى اللبيب (٥٦٢) .

ترون ، والتعليل باعتبار الرؤية لا الاراءة ، او الاصل اخافة واطماعا » (٨١).
لا يقال ذلك : لان هـذا التأويل لا تقتضيه الضرورة ، وفيه بعد وتعسف .
فيريكم غير ترون ، والاخافة غـير الخوف . نقـول : خاف خوفا ومخافة وخيفة . ونقول : طمع طمعا وطماعا وطماعية . واخـاف : اخافة ، واخافـا (٨٢) .

فاذا وقفت على شيء مما توهمه النحاة محمولا على غـير باب من ابواب النحو من مثل ما اوردنا ، فاعلم ان ذلك اخراج لابواب النحو عن حقائقها ، وهو امر غـير جائز ، كأن النحو ميدان لاظهار المهارة العقلية وليس علما يتعلـم لضبط اللسان العربي . ولتعمل علـى رد هذه الاشياء المتوهمة الى اقرب الابواب اليها كما رددنا « ركضا » في « جاء زيد ركضا » الى المفعول المطلق ، لان المفعول المطلق هـو المصدر وغـيره ، والحال هو الوصف الدال على هيئة ، واذا كان لا بـد من اعتبار الحال ، فليكن موضع الجملة هـو الحال . وكما فعلنا في « خوفا وطمعا » وهما مصدران محمولان على المفعول المطلق لا علـى المفعول لاجله لانخرام شرط مـن الشروط الواجـب توافرها في المصدر حتى يصـير مفعولا لأجله ، فضلا عن عدم قبول هذيـن المصدرين لتسليط اللام عليهما ؛ اذ الاصل فـي المفعول لاجله ان يقبل تسليط اللام عليـه لان ذلك هو اصله ، قال ابن يعيش « واصله ـ اي المفعول له ـ ان يكون باللام (٨٣) . فان قيل وماذا تقول في « جـاء زيد رغبة » ، اي يرغب رغبـة ، او مجيء رغبة ، او راغبا (٨٤) ؟ قلت : ان المثال غير محدد معنـاه تحديدا قاطعا ، فهو يصلح ان يكون معناه جاء زيد لرغبة او جاء زيد يرغب رغبة،فان كان الاول فهو

---

(٨١) مغنى اللبيب (٥٦٢) . وانظر حاشية على شرح الفاكهي ٢/٩٠ .
(٨٢) انظر المعجم الوسيط خوف ، طمع .
(٨٣) شرح المفصل ٢/٥٢ .
(٨٤) مغنى اللبيب (٥٦٢) .

مفعول لأجله . وان كان الثاني فهو مفعول مطلق ، والجملة في محل نصب حال . والحال لا يكون مصدرا لما قدمنا . والاولى في هـذا الضرب من الامثلة ان يحمـل على المفعول له لا علـى المفعول المطلق لان الشروط اللازمة للنصب على المفعول لـه قد توافرت في المصدر،لان الشروط جميعا قد توافرت في المصدر من جهـة انه مصدر قلبـي متحد مع فعله في الزمان والفاعل . وهو علّة الاقدام علـى الفعل ، فضلا عن قبوله تسليط اللام عليه ، خلافـا للمفعول المطلق الذي لا يقبـل تسليط اللام عليـه . الا ترى ان اللام لا تسلط على الضرب في قولنا : « ضرب زيد ضربا » ولا في « ضربته سوطا » ولا في « ضربته ضربتين » ولا في « ظننت ذلك الظن » ؟

★ ★ ★

ما سلف بيانه هـو ما توصلنا اليه ؛ وعسى أن يكون فيـه خير ، وعسى أن يقع على وجه من وجوه الصواب ؛ والا فحسبي النية الصادقة ؛ ولكـل امرىء ما نوى . والحمد للـه اولا وآخرا . والصلاة والسـلام على رسول اللـه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

د. محمد حسن عواد

مرد المصادر والمراجع

١ ــ **اسرار البلاغـــة :**

تأليف عبد القاهر الجرجاني . تحقيق ريتر . استنبول . مطبعة وزارة المعارف ١٩٥٤ .

٢ ــ **الاصول في النحو :**

تأليف ابي بكر بن السراج . تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي . مطبعة النعمان بالنجف الأشرف ١٣٩٣ هـ ، ١٩٧٣ م .

٣ ــ **اوضح المسالك الى الفية ابن مالك :**

تأليف ابن هشام ، تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد . الطبعة الخامسة . دار أحياء التراث العربي . ١٣٨٧ هـ ، ١٩٦٧ م بيروت ــ لبنان .

٤ ــ **بدائـــع الفوائـــد :**

لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي المشهور بابن قيم الجوزية. عني بتصحيحه والتعليق عليـــه ادارة الطباعة المنيرية .

٥ ــ **البيان في غريب اعراب القرآن :**

تأليف أبي البركات بن الانباري ، تحقيق الدكتور طه عبد الحميد طه مراجعة الاستاذ مصطفى السقا . دار الكاتب العربي للطباعـــة والنشر / القاهرة . ١٣٨٩ هـ ، ١٩٦٩ م .

٦ ــ **التعريفـــات :**

تأليف السيد الشريف الجرجاني . دار الكاتـــب العلمية . طهران . الطبعـــة الأولـــى ١٣٠٦ هـ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٧ ــ **تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد :**

تأليف جمال الدين محمد بن مالك . تحقيــق الاستاذ محمد كامل بركات ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر . ١٣٨٧ هـ ، ١٩٦٧ م.

٨ ــ **حاشية على شرح الفاكهي لقطر الندى :**

تأليف ياسين بن زين الدين الحمصي . مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٥٣ هـ ، ١٩٣٤ م .

٩ ــ **شرح الأشموني على الفية مالك :**

تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتاب العربي . الطبعة الاولى . ١٣٧٥ هـ ، ١٩٥٥ م . بيروت ــ لبنان .

١٠ــ **شرح التصريح على التوضيح :**

تأليف خالد بن عبد الله الأزهري ، مطبعة عيسى البابي الحلبي . دون تاريــخ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١١ــ **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب :**

تأليف ابن هشام . تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد . المكتبة التجارية الكبرى . الطبعة العاشرة . ١٦٨٥ هـ ، ١٩٦٥ م .

١٢ــ **شرح ابن عقيل :**

تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد . دون تاريخ .

١٣ــ **شرح المفصل :**

تأليف ابن يعيش . المطبعة المنيرية . دون تاريخ .

١٤ــ قطر الندى وبل الصدى :

تأليف ابن هشام . تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد . الطبعة الحادية عشرة . ١٣٨٣ هـ ، ١٩٦٣ م . المكتبة التجارية الكبـــرى .

١٥ــ الكافيـــة :

لابن الحاجب (شرح الرضي الاستراباذى) . دار الكتب العلمية . بـــيروت ــ لبنـــان .

١٦ــ الكتـــاب :

تأليف سيبويه . منشورات مؤسسة الأعلي للمطبوعات . الطبعة الثانية . ١٣٨٧ هـ ، ١٩٦٧ م . بيروت ــ لبنان .

١٧ــ كشاف اصطلاحات الفنون :

تأليف التهانوي . تحقيق الدكتور لطفي عبـــد البديع ، وزارة الثقافة والارشاد / القاهـــرة .

١٨ــ المرتجـــل :

تأليف ابي محمد عبد الله بن أحمد المعروف بابـــن خشاب . تحقيق الاستاذ علي حيدر . دمشق . ١٣٩٢ هـ ، ١٩٧٢ م .

١٩ــ معجم النحو :

تأليف الاستاذ عبد الغني الدقر . ١٣٩٥ هـ ، ١٩٧٥ م . مطبعة محمد هاشـــم الكتبي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢٠ــ **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب :**

تأليف ابن هشام الأنصاري . تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد . مطبعة محمد علي صبيح . دون تاريخ .

٢١ــ **المقتضـــب :**

تأليف ابي العباس محمد بن يزيد المبرد . المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية . القاهرة . تحقيق الاستاذ عبد الخالق عظيمة .

٢٢ــ **النحـــو الوافي :**

تأليف الاستاذ عباس حسن . دار المعارف بمصر . الطبعة الثانية . ١٩٦٣ م .

٢٣ــ **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع :**

تأليف جلال الدين السيوطي ، تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم ، دار البحوث العلمية . الكويت . ١٣٩٧ هـ ، ١٩٦٧ م .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مع تحقيق كتب التراث

للدكتور أحمد سعيدان
(عضو المجمع)

تحت عنوان « مع تحقيق كتب التراث » . كتب الدكتور ابرهيم السامرائي ، في العدد المزدوج ١١ ، ١٢ ، من مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، بحثا أشار فيه الى بعض أسس التحقيق . فذكرني ذلك بأمر كادت تنسيني اياه الأيام ؛ ذلك أن مشروع منهاج لتحقيق كتب التراث قد وضع ، في ندوة عقدت في بغداد ، من ٢٠ الى ١٩٨٠/٥/٢٩ ؛ بدعوة من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (معهد المخطوطات العربية) بالتعاون مع وزارة الثقافة والاعلام في الجمهورية العراقية . وقد ضمت الندوة نفرا ممن تمرسوا بتحقيق كتب اللغة والدين والتاريخ والعلوم ، كل في ميدان تخصصه . وكنت فيهم المثل الوحيد لمحققي كتب العلوم ؛ ولكن كان الى جانبي بحث قيّم بعثه للندوة الدكتور سلمان قطايه ، استاذ الطب في جامعة حلب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كان بين ايدينا ستة بحوث حول تحقيق التراث، أُعدت للندوة بتكليف من معهد المخطوطات العربية ، هي :

١ ــ التراث العربي ومناهج تحقيقه ــ بقلم الدكتور أحمد سليم سعيدان.

٢ ــ ضبط النص والتعليق عليه ــ بقلم الدكتور بشارة عواد .

٣ ــ التخريج في التحقيق ، مع ملحق بعنوان : التعريف بنص مغمور في التحقيق الخ ــ بقلم الدكتور حسين علي محفوظ .

٤ ــ علم تحقيق الوثائق ــ بقلم الاستاذ سالم عبود الالوسي .

٥ ــ حول تحقيق المخطوطات الطبية ونشرها ــ بقلم الدكتور سلمان قطايه .

٦ ــ التراث العربي ــ خطة ومنهج ــ بقلم الدكتور شكري فيصل .

★ ★ ★

انسجاما مع هذه البحوث الستة راينا ان نمضي في رسم مشروع المنهج من منطلقات اربعة هي :

١ ــ منطلق التقدير للفكر العربي الاسلامي ، والابداع الذي حققه ، في مختلف مجالات المعرفة ، من لغة وادب وعلوم وفن وفلسفة . فان يكن العالم ، لاسباب لا تخفى ، لا يولي هذا الفكر التقدير الذي يستحقه ، فان واجبنا نحن ، العرب والمسلمين ، الاضطلاع بنشر الفكر العربي الاسلامي على العالم وتبيان دوره في بناء صرح الحضارة الانسانية ، احقاقا للحق ، واظهارا للحقيقة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢ ــ منطلق الايمان بقدرة الامة العربية والامم الاسلامية على بناء مستقبل امثل ، يمكنها من استئناف مسيرتها الحضارية كيما تعود ، كما كانت في عصورها الزاهرة ، قادرة مبدعة .

٣ ــ منطلق الثقة بأن التراث العربي الاسلامي هو قوة دافعة تبعث فينا قدراتنا الكافية المبدعة وتستجيش قوانا لمواكبة الحضارة المعاصرة ، والمساهمة في رفد تيار الفكر العالمي ، بروافد خصبة معطاءة .

٤ ــ منطلق اليقين بأن اهتمامنا بتراثنا الفكري انما هو نظرة من يتعرف موطىء قدمه في سبيل احكام خطاه الى الأمام . ان المستقبل لا يمكن ان ينفصل عن الماضي ، والتجربة الحضارية التي مرت بها الامة

العربية طوال عصورها تجربة غنيـــة بالدروس والعبر ، زاخرة بحوافز تسند تطلعاتنا للحاضر والمستقبل . وان معرفتنـــا لتراثنا قمينة بأن تبين مواطن القوة والضعف في بنيتنا الذهنية ؛ وهذا مما لا مناص من معرفته كي نحكـــم رسم خطتنا لبناء المستقبل الذي ننشده . وهذا يقتضي ان يكون تقييم التراث موضوعيا ، مجردا عن التباهي الأجوف والتضليل . بذا نضمن ان يكون تحقيق التراث سُلّما للمعاصرة والابداع الذاتي ، شأنه في ذلك شأن التزود بالعلم المعاصر والتكنولوجيـــة الحديثـــة .

ثم استعرضنا الجهود التي بذلت وتبذل ، لتحقيق التراث ، في الوطن العربي وخارجه ؛ فلاحظنا اننا رغـــم تقديرنا لهذه الجهود ، ومدى مـــا قدّمت في تمهيد السبيل لدراسات أوفى وأشمل واعمق ، نراها **أولا** ما تزال بطيئة محدودة ، بالقياس الى تراثنا الضخم ، **وثانيا** بحاجة الى تنسيـــق ومنهجية واضحة تجعلهـــا تمضي متكاملة ، موحدة ، بعيدة عن التشتت وتباين المواقف ، وحسب خطة مرسومة تأخذ الاولويات بعين الاعتبار ؛ كما لاحظنا ايضا ان معظم هـــذه الجهود تنصبّ على التراث الادبي ، وقليل منها مـــا يتناول المخطوطات العلمية .

لهذا رأينا أن تحقيق التراث ينبغي أن تشرف عليه جهات أمينة ، وان يتناوله القادرون عليـــه ، ولا يتطاول اليـــه من لم تكتمل آداته اللغوية والعلمية والفنية . لذلك تقدمنا بالتوصيتين التاليتين :

١ ـــ أن تُدَرَّس مادة تحقيق المخطوطات في جامعاتنا ، ولطلاب الدراسات العليا بخاصة ، في الكليات الادبية والعلمية ، بغية تخريج متخصصين في التحقيق ، مؤهليـــن له .

٢ ــ ان تنشأ في الجامعات والمجامع العربية فروع لمعهد المخطوطات العربية تودع فيها نسخ من الافلام المصورة المحفوظة في مقر المعهد ؛ على ان تطوّر هذه الفروع حتى تغدو مراكز للبحث والتحقيق والنشر ، في مجالات متخصصة ، ان امكن ، مع بذل المكافآت التشجيعية السخية للباحثين والمحققين ؛ على ان تخضع اعمال المبتدئين بالتحقيق الى رقابة المسؤولين في هذه المراكز .

وبهذا الصدد اطلعنا ، بتقدير واعجاب ، على موقف القطر العراقي الشقيق ، من تشجيع التحقيق؛ اذ جعل التراث العربي اساسا لبناء الانسان العربي المعاصر ، واقامة حياة فكرية اصيلة ، تمضي بخطى حثيثة في سبيل الابداع الذاتي ، كما تشهد بذلك منشورات الجامعات العراقية، والمجمع العلمي العراقي ، ووزارة الثقافة والاعلام . ولا عجب ، فمن العراق بدأت شعلة الفكر العربي الأولى ، من ايام الخليفة المنصور ؛ وفي البصرة والكوفة وُضعت اسس الدراسات اللغوية العربية . وها هو العراق اليوم يستأنف مسيرة الخير ؛ سدّد الله خطاه ، وحيّاه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بعد هذا ، انتقلنا الى وضع مشروع المنهاج الذي اجتمعنا من اجله ؛ ولكي يكون المشروع كاملا متكاملا ، قسمنا البحث الى مراحل هي :

١ ــ اختيار المخطوط للتحقيق .
٢ ــ جمع النسخ الباقية منه .
٣ ــ دراسة النسخ وتعرُّف مراتبها من الصحة .
٤ ــ ضبط النص .
٥ ــ التعليق على النص .
٦ ــ مقدمة المحقق .
٧ ــ الفهارس .

٨ ــ الطباعـــة والنشـــر .

١ ــ اختيار المخطوط

لاحظنا ان تحقيق التراث في جملته لم يخضع سابقا لمنهـــج مرسوم للاختيار ، وانمـــا هو يتم صدفة ؛ او حسب الظروف ؛ فكان ان نُشِر ما كان حقه التأخير . وأُخِّر ما كان حقه التقديم ؛ ولاحظنا ان مخطوطات حُقِّقت ونُشِرت أكثر مـــن مرة ، من غير مسوِّغ لذلك ؛ هـــذا بالاضافة الـــى تحقيقات أساءت للمخطوطات ، جهلا بأصول التحقيق ، او تهاونا بالامانة العلمية واحترام النص . ولهذا كلّه أُقِرَّت التوصيات التالية بصدد اختيار المخطـــوط للتحقيـــق :

١ ــ تقديم الأهم على المهم ، والأصول على الفروع والمختصرات ، وتقديم ما لم يُنشر على اعادة ما نشر ؛ الا اذا لم يراعَ في تحقيق ما نشر قواعد التحقيق والنشر ، أو كشف النقاب عـــن نسخ جديدة لِمَـــا نُشر تقتضي تصحيحا فـــي النص .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢ ــ يناط بمعهد المخطوطات العربية اختيار مجموعات من المخطوطات الأصول التي يرى المختصون ضرورة تحقيقها ونشرها ؛ فيُجْمَـــع نسخها ويُوزَّعها على مراكز التحقيق المعنية ، تيسيرا للمحققين .

٣ ــ يولى التراث العلمي عناية خاصة ؛ ونحبِّذ ان ينشأ له مركز في قُطر عربي ، له فروع في الاقطار الاخرى التي يتوافر فيهـــا محققون علميون ، وان يتفرغ للتحقيق علماء قادرون عليه ؛ علـــى ان تهيأ لهم اسباب التفرغ ، مادة ومعنى .

٢ ــ معرفة نسخ المخطوط وجمعهـا :

كثيرا ما يتعـذر على الباحث والمحقق الحصول على صور مـن النسخ الموجودة للمخطوط الـذي يتم اختياره للتحقيق ، لذا رأينا ان على معهد المخطوطات ان ينهض بالامـور الآتية :

ا ــ ان يتعرف مظانّ المخطوطات القيمة في البلاد التي لم يصل بها اسبابه بعد ، وان يتخذ الوسائل التي تضمن الحصول على نسخ من هذه المخطوطـات .

ب ــ ان يضع فهارس تفصيلية تعرّف بالمخطوطات التي يظفر بها ؛ وينشر هذه الفهارس على مراكز التحقيق المعنية .

ج ــ ان يضع فهرسا موحـدا ، شاملا لما دُوِّن في فهارس المكتبـات العامة والخاصة ، بدءا بالموضوعات العلميـة ؛ ثم يليها ما هـو الزم من الموضوعات الاخرى ؛ على ان يعهد بوضع هذا الفهرس الى لجـان متخصصة ، متفرغة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فالى ان يتم هذا في معهد المخطوطات ، لا مندوحة للباحث من الرجوع الى مؤلفات سزكين، او بروكلمان، للتعرف على النسخ المتوافرة من المخطوط ، ثم يحاول الحصول عليها ، عن طريق معهد المخطوطات ان أمكن .

٣ ــ دراسة النسخ وتعرُّف مراتبها من الصحة :

بعد الحصول علـى نسخ المخطوط ، تأتي المرحلـة الاولى من التحقيق ، وهي دراسة النسخ ، لتحديد النسخـة « الأم » او مـا هي في منزلتها ، لاعتمادها أصلا في التحقيق ؛ ثم تعرف النسخ الاخرى وتصنيفها ، وتحديد مراتبها من الصحة والتوثيق . وذلك وفق القواعد الاتية :

١ ــ الاصل ان تكون النسخة الام هي النسخة التي كتبها المؤلف نفسه ، ان وُجِدت ، او أملاها . ولكن المؤلف كثيرا ما يعاود كتابة النص ، فيغيّر فيه ؛ فيتعين على المحقق ان يتبين ذلك . فان لم تصل الينا نسخة كتبها المؤلف . فالأمّ نسخةٌ عليها خطه ، والاّ فنسخة كُتِبت عن نسخة المؤلف وعورضت بها ، والاّ فنسخة كُتِبت عن نسخة وثّقها المؤلف .

٢ ــ ان لم يعثر المحقق على نسخة مما سبق ، فأفضل النسخ الباقية نسخة كتبها عالم متقن ضابط . فان لم تتوفر ، فعلى المحقق أن يستفيد مما تجمع لديه من النسخ ، وكثيرا ما يكون أقدمها أقربها من نص المؤلف ، واقلها سهوا او اخطاء . ولكن الأقدم كثيرا ما نجده قد تَعرّض للتلف . ولأن اول مهام المحقق تقديم النص الذي كتبه المؤلف او املاه ، فعليه ان يحصل على ما يرجح أنه هو النص بمقارنة هذه النسخ ، وسدّ ما في النسخة المعتمدة من نقص ، مما في سواها . ودراسة النسخ تهدف الى امرين : اولهما تحقيق نسبة النص الى صاحبه ، والثاني تحقيق ان النص الذي بين يدي المحقق هو نص المؤلف .

ويتحقق ذلك من درس النسخ ونصوصها ، ومن الكتب التي نقلت عن النص ، ان وجدت ، ومما قاله عنه من ترجموا للمؤلف او كتبوا عنه .

٤ ــ ضبط النص

بعد الحصول على ما يراه المحقق اقرب لان يكون نص المؤلف ، وتوثيقه ، بمقارنته بما نُقِل عنه او قيل فيه ، يأتي دور ضبط النص . ويجري ذلك حسب الخطوات التالية :

ـ يبدأ التحقيق بنسخ المخطوط . وينصح المحقق بأن يتولى النسخ بنفسه ، اذ يتيح لـــه ذلك التهدي الى مشكلات النص وحلولها .

وعلى المحقق ان يلتزم قواعد الكتابة المتفق عليها قديما ، الا في اشياء درج عليهـــا المعاصرون ، مثل كتابة « مئة » و « الحارث » و « اسحاق » ، ونقط الياء المتطرفة ، للتفريق بينها وبين الألف المقصورة ،

وعليه ان يدوّن في المقدمة ما درج عليه كاتب النسخة من رسم في الكتابة مميـــز ، مع ذكر امثلـــة ، ولا سيما مما غاير فيه الناسخ .

ب ـ ونوصي المحقق بما يأتـــي :

١ ـ كتابة النص بحسب معانيه ، فتقف الكتابة عند انتهاء المعنى ، ويبدأ سطـــر جديد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢ ـ استعمال النقط والفواصل والخطوط وعلامات التنصيص والتعجب والاستفهام والأقواس ، وغير ذلك مما يساعد القارىء على القراءة بتفهم .

٣ ـ شكل الكلمات التي قـــد تلتبس علـــى القارىء .

٤ ـ كتابة ارقام صفحات النسخـــة المعتمدة في صلب النص ، بين حاصرتين أو قوسين ، مشيرا للمقابلة .

٥ ـ ترقيم الأسطر ترقيما خماسيا تسهيلا للمراجعة .

٦ ـ استعمال الأقواس المزهرة لآيات القرآن الكريم ، وقويسات للأحاديث النبوية والنقول وأسماء الكتب ، وما شابهها .

٧ ــ وضع ما يستدركه المحقق على النص بين حواصر متميزة أو معكوفـــات .

جـ ــ الضبـــط

يتعين على المحقق أن يشكل من الالفاظ ما اشكل ؛ هـذا بالاضافة الى الآيات القرآنية ، والاحاديث النبويـة ، والأمثال والشواهد والمشتبه من الاعلام ، والغريب من الالفاظ ، وما قـد ينبهم او يلتبس من المصطلحات ؛ مستعينا بالمراجع المتخصصة ، والمصادر الموثـوق بها .

ه ــ التعليـق علـى النص

على المحقق اتباع ما يأتـي :

ا ــ اثبات فروق النسخ ، مع ترجيح ما يراه الأصح ، وتعليل ترجيحه . ولكن يراعى تجنب الاغراق في ذكر ما لا يفيد ذكره من الفـروق . ويراعى ايضا التنبيه على ما يُحتمل من النصوص قراءتين او اكثر ، مع التعليل عند الترجيح ، موثقا بالدليل .

ب ــ التعريفات : يُعرِّف المحقق ، من الاعلام والمواضع وما في حكمها ، ما يحتاج الى تعريف ، من غير استقصاء ولا اغراق ؟ فلا يُعرِّف ما هو معروف لدى أكثر المتخصصين .

ويُستحسن احيانا تزويد المقدمة بخارطة تبين مواقع المواضع التي تـرد في النص .

ويُدوِّن في الحاشية اسم الكتـاب موجزا ، مع ذكر الجزء والصفحة . ويحال ما يتعلق بالمعاجم المرتبة على الحروف ، على

المادة ، لا على الأجزاء والصفحات ، ما عـــدا معاجم المعاني ، ومـــا شابههـــا .

ج ــ التخريـــــج :

الهدف من التخريـــج التوثيق والتصحيح . ولذا يُقتصر في التخريج على ما يحقق هذين الهدفين .

ويكون التخريج في الآيات والاحاديث والشعر ، والنقـــول بكافـــــة .

ويوصى المحقق بتوثيق مواطن النقول في النص ، ضبطا او تكملة ، واثباتا للخلاف في الرواية ، حيث يكون ذلك مفيدا .

اما في الآيات الكريمة فيُذكر اسم السورة ورقم الآية . وفي الاحاديث النبوية الشريفة يكتفى بالتعليـــق عليها بما يفيد اظهار درجة الحديث وتحديد مرتبته ، استنادا الى المصادر الموثوق بها .

واما الشعر فيُرد الى موضعه من الديوان ، ان كان مطبوعا ، والا تعيَّن ذكر المصادر المعروفة التي أوردته ، وذلك حين يكون هذا الشعر يحتج به في متن اللغة ، او يستشهد به في علوم العربية

واما النقول فيشار الى مواضعها ما امكن .

واما الافكار العلمية فيشار الى موضعها في السلّـــم الحضارية ومدى تأثرها بما سبق، وتأثيرها فيما لحق .

د ــ التنبيه على الأوهام

كثيرا ما يخالط عمل اي مؤلف بعض الاوهام . فاذا وقع المحقق على وهم من هذه الاوهام ، وجب التنبيه عليه ، مع التروّي ، والتزام جانب الحذر والتحقق . فلا يُتَعَجَّل في امور لها ما يجوّزها ، او حالات لها ما يبررها ، او طرف ترد مورد الهزل لا الجد .

ويكون موضع التنبيه في الحاشية ؛ ويثبت المحقق في المتن الوجه الصحيح الذي اطمأن اليه ، الا أن يخالطه شيء من التردد ، أو يغلبه جلال مكانة المؤلف عنده ؛ فحينذاك يترك المتن كما أورده الناسخ ، ويقترح التنبيه في الحاشية .

٦ ــ مقدمة المحقق

يضع المحقق مقدمة للكتاب يراعي فيها ما يأتي :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١ ــ تعريف المؤلف المشهور تعريفا موجزا ؛ على أن نذكر لمن يريد التفصيل اهم المصادر التي تترجم له . أما من لم يُعْنَ احد بالكتابة التفصيلية عنه ، فيأتي المحقق بترجمة تفصيلية له .

٢ ــ وصف موضوع الكتاب ، وما كتب في فنه ، ومكانته بين هذه الكتب .

والكتب العلمية يصعب على غير المختص تَفَهُّم نصوصها ، لذا فعلى محقق الكتاب العلمي واجب تلخيص مادة النص ، في المقدمة ، بلغة العصر ، حتى يعرف فحوى الكتاب المحقق من لم يهيأ لدراسة النص مباشرة .

٣ ــ شرح منهج الكتاب ، فصوله وابوابه ومحتوياتها .

٤ ــ وصف نسخ الكتاب ، والنسخة المعتمدة ، وبيان مواضعها في المكتبات ، وما دُوِّن عليها من وقفيات وتملكات وسماعات ، ونحو ذلك .

٥ ــ اية امور أخرى يرى المحقق اضافتها حول اسلوب المؤلف، ودقة الناسخ، ووضوح الخط، وما شاكلها .

٧ ــ الفهارس

ينبغي فهرسة كل ما يمكن ان يفهرس في الكتاب المحقق : الآيات الكريمة ، والاحاديث الشريفة ، والامثال ، والاعلام ، والكتب التي ذكرها المؤلف او اخذ عنها ، والكتب التي رجع اليها المحقق في التحقيق ؛ مع ثبت بالمصطلحات العلمية والفنية الواردة في النص ، وتعريفها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويراعى في فهارس الاعلام ما يأتي :

يبدأ فهرس الاعلام بالاسماء المبدوءة بألفاظ ابن ، ثم ابنة ، ثم ابو ، ثم ام ، ثم بنت . ولا تذكر هنا الصفحات ، اذا كانت الاسماء معروفة ، وانما يحال على الاسم في موضعه من تتالي الحروف الهجائية . فالعَلَم « ابو اليمن الكندي » يذكر في « ابو اليمن » ويذكر اسمه الى جانبه : « زيد بن الحسن » ، ويحال عليه . اما ارقام الصفحات فتذكر في حرف الزاي ، مقابل « زيد بن الحسن » .

ثم تبدأ فهرسة الاسماء حسب ترتيب حروف الهجاء ، بدءا بالهمزة الممدودة ، مثل آدم ، ثم ما يكون بعد ذلك، والالفاظ التي تداخلها الهمزة يراعى في موضعها الحرف الذي توضع عليه الهمزة .

وفي فهارس المصادر يُذْكَر اسم الكتاب كاملا ، واسم مؤلفه ومحققه او مترجمه ، ثم مكان الطبع وتاريخه ، الهجري او الميلادي ، بحسب ما دُوِّن على الكتاب . اما المصادر الاجنبية فيجري تدوينها على النظام الاجنبي .

ولا مكان في الفهارس لالقاب التكريم والالقاب العلمية .

٨ ـ الطباعة والنشر

ينبغي الانتفاع بأساليب الطباعة الحديثة، شرط تطويعها للحرف العربي بما يضمن المحافظة على اصالته وجماله ، وبما يحقق احتماله للشكل في موضعه المناسب من الحروف ، دون ابهام او ايهام .

★ ★ ★

هذه خلاصة المشروع كما اتفقنا عليه ، وان في البحوث الستة التي قُدِّمَت للندوة لأفكارا قيمة لم يتناولها المشروع؛ فعسى ان يقوم اصحابها بنشر بحوثهم كي يطلع عليها من يعنيهم الامر .

احمد سليم سعيدان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأوقاف الإسلامية بجوار المسجد الأقصى

اصلها وتاريخها واغتصاب اسرائيل لها

THE ISLAMIC PIOUS FOUNDATIONS IN JERUSALEM ORIGINS, HISTORY AND USURPATION BY ISRAEL

للدكتور عبد اللطيف الطيباوي

يعود الفضل في ترجمة رسالتي هذه من الانكليزية الى العربية الى معالي السيد كامل الشريف ، وزير الاوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية بالمملكة الاردنية الهاشمية ؛ فقد بحثنا الموضوع عنـــد اجتماعنا في لندن في اثناء المؤتمر الذي عقده المجلس الاسلامي الاوروبي لبحث قضية القدس.

وكان الاتفاق ان تتولى الوزارة ترجمة الرسالة دون الرجوع الـــى المؤلف . ولكني طلبت ان ارى ترجمة ما كتب تحت الصور وعلى الخرائط وفي هوامش الصفحات من المراجع باللغـــة العربية وبلغات اجنبية . لكن بعد مدة وصل الي كتاب من الدكتور عزت جرادات بأن الوزير وكل اليه ترجمة الرسالة ، وان المترجم راى ان يرسل الي نسخة من الترجمة لابداء الـــراي فيهـــا .

نظرت اولا في الصور والخرائط والهوامش فوجدت فيها اغلاطا كثيرة ؛ فدفعني ذلـــك لمراجعة الفصل الاول من الترجمة ، فوجدت فيـــه اغلاطا خطيرة اقلقني وجودها جدا . فمنها مـــا وقع في اسم الملك الافضل بن صلاح الدين ، فهذا اصبح « الملك الفاضل » ، ومنها حـــذف نصف اسم عمر المصمودي المجرد الذي اوقف زاوية في حي المغاربة ، ومنها حذف « الثالث من ربيع الأول » من تاريخ وقفية سنة ٧٠٣ للهجرة،ومنها حـــذف جملة

كاملة من نص وقفية اخرى . فرأيت أن الامر يحتاج الى عناية تزيد كثيرا عما توقعه المترجم . ووضحت ذلك بمذكرة مؤرخة في ١٩٨٠/٥/٢١ في ثلاث صفحات كبيرة . وفي هذه المذكرة اكثر من خمسين تصحيحا وملاحظة ، خاصة بالفصل الاول والصور والخرائط والهوامش فقط .

لقد بيّنت في هذه المذكرة ان الترجمة لا تصلح للنشر ؛ فلغتها العربية معقدة ، وتحتاج الى تسهيل ، بل تعريب ، ويشوبها كثير من الاغلاط العلمية والحذف والتشويه ، وسوء فهم الأصل ، وقلة الدقة في نقل نصوص الوقفيات عن أصل مطبوع باللغة العربية . واقترحت وجوب مراجعة الترجمة مع اختصاصي بالتاريخ الاسلامي ، ومع اختصاصي باللغة الانكليزية جملة جملة وسطرا سطرا ، ثم عَرْضها على من يعرف مدينة القدس ، والحرم الشريف وما يجاوره من الأمكنة التاريخية المذكورة في الرسالة . ونبّهت الى وجوب العناية بالخرائط واصلاح ما فيها من أخطاء : فلا يجوز أن نقول (باب يافا) بدلا من (باب الخليل) ، او أن نكتب (باب هيتا) بدلا من (باب حطه) ، أو أن نضاعف (حارة النصارى) فنجعلها (حارات النصارى) كما نبّهت الى غير ذلك .

ثم وصل الي كتاب من السيد الوزير في ١٩٨١/٦/٦ ومعه نسخة مطبوعة من الرسالة . فلم يبق امامي الا مراجعتها بكل عناية ودقة . وفيما يلي ملاحظاتي تفصيلا لكل معتمد من الفصول الستة . وقبل ذلك لا بد من ملاحظتين : تختص الاولى بأرقام الصفحات في قائمة المحتويات ، فهذه تخالف ما في الرسالة ؛ فمثلا يبدا الفصل الثاني فعلا على صفحة ١٨ لا على صفحة ١٧ كما في المحتويات ، والوثائق تقع فعلا على الصفحات ١٠٤ — ١١٧ ، لا على ١٠٣ — ١١٣ . والملاحظة الثانية تختص بما كتب تحت الصورة الثالثة (ص ١٢٢) فالمحكمة الشرعية القديمة

(اي المدرسة التنكزية) لا تقع على الزاوية اليمنى بل **اليسرى** في الصورة . هذا وفي الرسالة كثير من الاغلاط المطبعية التي كان بالامكان تجنبها : اولها على الصفحة الاولى وآخرها على الصفحة الاخيرة ؛ وقد نبهت اليها سابقا . لكن الذي اصاب الهوامش من الحذف والتشويه يصعب تفسيره : فهذه الهوامش تبيّن مصادر الرسالة باللغة العربية وبلغات اجنبية في اسفل كل صفحة ، ولها ارقام متسلسلة من الواحد الى التاسع والستين . وقد آلمني جدا ان المترجم حذف منها ٣٨ هامشا واثبت ٣١ فقط . ومن المحذوف وثائق تفصل حقوق المسلمين في حائط البراق ؛ من اهمها تقرير لجنة شو (سنة ١٩٢٩) وتقرير لجنة البراق الدولية ، مع سجل الشهادات (سنة ١٩٣٠)، ومصادر بريطانية رسمية كلها تثبت الحق الاسلامي وتنقض ادعاء اليهود . هذا وكنت رجوت المترجم في ملاحظاتي الخطية ان يبقي المصادر الاجنبية بلغتها الاصلية وان لا يترجمها ؛ فلم يقبل النصيحة، فترجم عنوان كتاب لقنصل بريطانيا بقوله « أوقات مضطربة »، ولم يقل أن الكتاب في جزأين، ولم يشر الى ارقام الصفحات عند الاشارة اليه . ومثل ذلك ترجمة « سجلات الجلسة الثانية عشرة « كذا » للجمعية العمومية للامم المتحدة سنة ١٩٤٩ »؛ فهذا لا فائدة منه بعد أن حذف المترجم منه رقم المجلد والصفحة . ويلاحظ فيما يلي أن الاغلاط قليلة نسبيا في الفصل الاول ، لان المترجم اصلح معظمها (لا كلها) بناء على ملاحظات المؤلف .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفصل الأول

صفحة ١

حذف المترجم سنة وفاة ابن مسعود من الأصل الانكليزي (٣٣

للهجـــــرة) .

ص ١٢

١ ــ سقطت كلمة « باب » قبل « كلمة المغاربة » من العبارة « بين باب السلسلة وباب المغاربة » فاختلّ المعنى .

٢ ــ لم يضع المترجم الهامش الخاص بوقفية أبي مدين في آخرها على هذه الصفحة ، بل وضعه على الصفحة التالية خطأ،كأنه يتعلق بمصحف ملـــك المغرب .

ص ١٧

١ ــ « ممر مرتفع » ترجمة لا تفي بالمقصود من كلمـــة "Conseway" أي **الطريق** المرتفع،الذي كان فوق قنطرة عند باب السلسلة لمّا كتبـــت الوقفيـــة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢ ــ أضاف المترجم من عنده قولـــه « كما يؤكد ساكنو المنطقـــة من العائلات الثلاث المعروفة » . ولم يذكر اسماء هذه العائلات،ولا كيفية سماع التأكيد من أفرادها بعد مضي قرون ! (فالكلام في الأصل يتعلق بسكان حارة الشرف في سنة ٦٦٦ أو سنة ١٠٠٤ للهجرة) .

الفصل الثاني

ص ١٨

١ ــ أضاف المترجم من عنده كلمة « المعراج » التي لا وجود لها بالاصل .

٢ ــ جعل المترجم « حائط البراق » ملاصقا للحائط الغربي للحرم الشريف ؛ مع أن الاول هو جزء صغير من الثاني .

٣ ــ قول المترجم « سميت الصخرة التي اعتلى منها البراق قبة الصخرة »، سوء فهم للأصل وخطأ تاريخي ؛ فقبة الصخرة لم يكن لها وجود قبل عهد عبد الملك بن مروان .

ص ٢١

١ ــ أعطيت المترجم مع ملاحظاتي نصّ العهد العمري ، أي كتاب عمر بن الخطاب الى نصارى القدس عند تسليمها له . واعطيته مصدر النص، وهو تاريخ الطبري (طبعة المستشرق دي غويه التي يعتمدها علماء التاريخ في الشرق والغرب) مع ذكر رقم المجلد والصفحة . فأهمل المترجم ذلك واخذ نصا من طبعة جديدة ظهرت في بيروت سنة ١٩٧٩ . واغرب من ذلك انه وضع في آخر الهامش كلمة (المترجم) هكذا بين قوسين، كأنه هو الذي وجد النصّ واضافه ، وكأن هذا النص غير موجود في الرسالة، وكأن مؤلفها لم يعطه للمترجم !

٢ ــ يقول العرب « هرقل » ؛ واستعمال المترجم « هراكليوس » مشوّش للقارىء العربي .

٣ ــ تاريخ تسليم القدس مذكور بالرسالة بالهجري والميلادي هكذا : « سنة ١٧ هـ / ٦٣٨ م » فجعل المترجم السنة الميلادية ٦٧٨ .

ص ٢٥

١ ــ قول المترجم « بدون طلب مــن اليهود انفسهم » هو سوء فهــم للأصــل "Without question"؛ فهذا معناه ان المسلمين سمحوا لليهود الصلاة عند حائط البراق « بلا معارضة » .

٢ ــ لا يفهم القارىء العربي قول المترجم « سليمان الكبير » ؛ فالعرب يقولون « سليمان القانوني » ، وهو السلطان العثماني الذي اعاد بناء اسوار القدس ، ويلقبه الاوروبيون Magnificent . وهــذه الكلمة لا تترجم بكلمة كبير (أعيد هذا الخطأ على ص ٦٩) .

ص ٢٦

١ ــ حذف المترجم من النص مصدرا عــن معارضة اليهود لاحصاء نفوسهم اعتمادا علــى التوراة .

٢ ــ وحذف ايضا كلمــة « زعيم » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ص ٢٧

١ ــ اضاف المترجم من عنده قوله « بشدة » الى الأصل الذي هــو « أوصى برفضه » دون زيادة .

٢ ــ يسمي المترجم أحمد آغا الدزدار « حاكم القدس » خطأ وخلافا للاصل ؛ وبعد سطرين يسميه « متسلم القدس » صوابا .

ص ٢٩

١ ــ اساء المترجم فهم معنى (Not unlike = like) فقال « على خلاف ذلك » والصواب أن يقول « على شاكلته » .

٢ ــ حذف المترجم وصف لباس المصلين اليهود (القفطان وقبعة الفرو) ، فاضعف الحجة التي تقول ان المصلين اقتصروا على هؤلاء .

ص ٣٠

١ ــ قول المترجم « افساد الطقوس الدينية » بعد قيام الصهيونية، مخالف للأصل الذي معناه أن الصهيونية استغلّت امرا دينيا (بشأن حائط البراق) لأغراض سياسية .

٢ ــ جعل المترجم عدد مهاجري اليهود بعد سنة ١٨٨٠ « ضئيلا »، وهو عكس الأصل الذي يقول « عظيما » .

ص ٣١

١ ــ سوء فهم للأصل وترجمة ركيكة ؛ فالمقصود أن اليهود ازعجوا المغاربة المقيمين في بيوت على أرض وقف أبي مدين، أمام حائط البراق، برفع الاصوات، واحضار الكراسي، وعرقلة الطريق الى تلك البيوت .

٢ ــ قول المترجم « اساسا لادعاء اليهود اقامة الصلاة هناك »، مخالف للأصل الذي معناه ان المغاربة ومتولي الوقف خافوا أن يكون ما ذكر اساسا لادعاء اليهود ملكية المكان .

ARCHIVE

الفصل الثالث

ص ٣٦

اساء المترجم فهم كتاب وايزمن الى بلفور ؛ فهو "جريء" وليس « شديدا » ؛ فقد طلب تسليم حائط البراق الى اليهود . والذي قيل عن الحائط مشوّه في الترجمة، وصحيحه هو « اقدس مكان عندنا في مدينتنا المقدسة » .

ص ٣٧

١ ــ في الأصل « زعماء مسلمي القدس »، فجعل المترجم ذلك « قادة مسلمي المنطقة » .

٢ ــ في الأصل « منع المظاهرات » فجعله المترجم « منع مظاهرتين » فقـــــط ! .

٣ ــ واساء فهم الأصل : فالاستفزاز صار عنده تحريضا !

٤ ــ وقول المترجم « بدا بذلك عداء العرب للصهيونية منذ تلك اللحظة التي اتخذت الصهيونية فيها مظهرا دينيا »، مخالف للأصل الذي يبيّن أن عداء العرب للصهيونية كان حتى تلك اللحظة سياسيا محضا ، فاتخذ بسبب مطامعها في حائط البراق مظهرا دينيا بالاضافة الى السياســـــي .

ص ٣٨

١ ــ أخطـــأ المترجم بقولـــه « اضطرابات مشؤومـــة » ترجمـــة Disquieting Portents فمعناهما « دلالات مقلقة » للكلمتين .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢ ــ وأساء فهم الاصطلاح "Out of Bounds" الذي يحسبه يمنع الجنود من دخول مكان ما ؛ فقد صدر في سنة ١٩١٨ امر كهـــذا للجنود اليهود في الجيش البريطاني، يمنعهم من دخول المدينة القديمة بسبب سوء سلوكهم أمام حائط البراق (مبكى اليهود) . فجاءت الترجمة مخالفة لكل ذلك هكذا « كان سلوك الجنود اليهود يوحي بأن المدينة بكاملها تحت تصرفهم » .

٣ ــ في الترجمة : « كان الانتداب مناخا مناسبا لترسيخ وعد بلفور » . وهذا كلام غريب في اللغة العربية لا يؤدي معنى الأصل الذي هو : « اشتمل صك الانتداب على نص وعد بلفور » .

ص ٣٩

في الترجمة : « لم تكن جميع الاماكن المقدسة تحت رعاية المحاكم المحلية »، وهذا مخالف للاصل الذي يقول « لم تكن شؤون الاماكن المقدسة من **صلاحيـــة** المحاكم المحلية » .

ص ٤٠

كلمتا « شاشة مصغرة » في الترجمة لا تؤدي المعنى للقارىء العربي، ولا يصح أن تكون ترجمة لكلمة (Screen) ، فهذه معناها « ستار »، والفقرة الواردة فيها تلك العبارة ترجمة غير صحيحة للاصل ؛ فالذي حَوَّل قضية حائط البراق من مسألة دينية الى قضية سياسية هو الراي العام اليهودي ، لا أمر من الحكومة في فلسطين أو في لندن، كما توهم المترجم .

ص ٤١

« المؤتمر اليهودي » في الترجمة خطـــأ ، والصحيح هو « المجلس الملّي اليهودي » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ص ٤٢

١ ــ قول المترجم « حاخام يهودي » غريب ؛ فالحاخام لا يكون الا يهوديا، (اعيد هذا الخطأ على ص ٩٠) . والكلمتان ترجمة غـــير صحيحة للاصل وهو Chief Rabbinate ومعناه « رئاسة الحاخامين » .

٢ ــ جعل المترجم « الصحف اليهودية »، في الاصل، تصبح بمعجزة منه « الوكالة اليهودية » !

٣ ــ وكذلك صار « المؤتمر الصهيوني » في زوريخ سنة ١٩٢٩ على يد المترجم « المؤتمر اليهودي » !

ص ٤٣

١ ــ ومن معجزات المترجم ان « خطابا سياسيا واحدا » أصبح عنده « خطبا سياسية متعددة » !

٢ ــ ولا يفهم القارىء العربي معنى قول المترجم « لا يسمح باطلاق المزمار » . فالاصل يذكر ما يسميه اليهود « شوفار » وهو بوق يصنع من قرن الكبش ويستعمل عند الصلاة في اعيادهم الكبيرة . واللجنة الدولية اوصت بمنع استعماله عند حائط البراق .

ص ٤٥

١ ــ كلمة « استخدام » لا يصح ان تكون ترجمة لكلمتي "be regarded" فمعناهما في المتن « اعتبار » .

٢ ــ حذف المترجم من الاصل كلمة « الدينية » صفة للكتب التي سمح لليهود باحضارها في خزانة الى الحائط ، فأضاع المعنى .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ص ٤٦

الترجمة على هذه الصفحة مشوشة وفيها عدد من الاغلاط ، من اغربها قول المترجم « المستشار اليهودي » بدلا من « محامي اليهود » امام اللجنة الدولية للتحقيق في قضية البراق (اعاد المترجم الخطأ نفسه على الصفحة التالية) وذلك سوء فهم لكلمة (Counsel)

ص ٤٧

١ ــ قول المترجم « المؤسسات الوقفية » خطأ وصوابه « وثائق الوقف »

٢ ــ وقوله « هكذا خاب الطلب اليهودي » مخالف للاصل الذي يقول « خطورة الطلب اليهودي » .

ص ٤٨

الترجمة على هذه الصفحة كثيرة الاغـــلاط لان المترجم اساء فهم الاصل . وكان الواجب ان يقول « صدر امر من مجلس الملك الخاص في مقر بكنغهام يتعلق بفلسطيـــن والحائط الغربي او حائط المبكى » ، وهذا الامر خوّل المندوب السامي في القدس تنفيذ قرارات اللجنـــة الدولية . فجعل المترجم اسم العلم اسما للوظيفة ؛ فالاعلان الـــذي صدر في عدد ممتاز من الجريدة الرسمية كان بامضاء « سير جون روبرت تشانسلور » وهو اسم المندوب السامي كاملا ، فترجمة المترجم هكذا « اصدر المستشار سير جون روبرت » اعلانا ! وكلمة مستشار على كل حال ترجمة خاطئة لكلمـــــة Chancellor عندما لا تكون اسم علم .

الفصل الرابع

ARCHIVE

ص ٥١

اساء المترجم فهم الأصل فكتب « احتل اليهود قرية القسطل التي شطرت (كـــذا) غربي القدس عن المدينة » ومعنى هـــذا ان احتلال القسطل قطع الصلة بين القدس القديمة والجديدة . وهو كلام لا معنى له . فالقسطل على الطريق من القدس الى الرملة فيافا، سبّبَ احتلالها قطع الصلة بين القدس وما هو الى غربها مـــن البلاد .

ص ٥٢

وهنا ايضا اساء المترجم فهم الأصل واضاف اليه ما افسد معناه ؛ فالأصل يقول ان قرار الامم المتحدة هـــو السند القانوني الوحيد لوجود اسرائيل ، رغما عن ان العرب احتجوا عليـــه .

ص ٥٣

١ ــ قول المترجم أن « جميع » سكان الحي اليهودي خرجوا منه قبل ايار ١٩٤٨، مخالف للأصل الذي يقول « معظم » اليهود خرجوا . وهذا واضح فيما يلي من البحث عندما اخذ العرب اسرى من اليهود المدنيين والعسكريين عند سقوط الحي .

٢ ــ حذف المترجم جملة مهمة، وهي ان اليهود حاربوا الجيش الاردني في الحي اليهودي الى ان التجأوا الى الكنيس الكبير، فجعلوه حصنا، وكان هذا من اسباب ما اصابه من الخراب .

ص ٥٤

١ ــ قول المترجم « أرض قتال » يخالف الاصطلاح العربي ، ترجمة للكلمة الانكليزية Battle field ، والمألوف هو « ساحة قتال » .

٢ ــ وقد أساء المترجم الى العرب بقوله الذي لا وجود له في الاصل « تدمير الحي اليهودي » ؛ فالحي لم يُدمَّر، بل الكنيس الكبير، للسبب المذكور في اعلاه .

٣ ــ واساء ايضا الى اللاجئين العرب بقوله ان قرار الامم المتحدة في كانون الأول ١٩٤٨ كان « لتعويضهم » . فهذا القرار كما هو واضح في الاصل الانكليزي كان **لارجاع** اللاجئين الى بيوتهم ، أما التعويض فكان لهؤلاء الذين لم يريدوا الرجوع .

ص ٥٥

١ ــ حذف المترجم من الاصل وصف وظيفة لجنة التوفيق التي عينتها الأمم المتحدة، وهو « اكمال عمل الوسيط » الذي اغتاله اليهود في القدس .

٢ ـ اضاف المترجم من عنده كلمة « الثأر » التي لا وجود لها بالاصل .

ص ٥٦

١ ـ لم يفهم المترجم معنى "Ministers of Religion" فترجمها « وزراء الاديان » ، مع ان معناها هو « رجال الدين » من الحاخامين والقسس الذين تعهدت الاردن للجنة التوفيق بتسهيل وصولهم الى القدس وحائط المبكى .

٢ ـ تاريخ وثيقة الأمم المتحدة كما ذكره المترجم غلط ، والواجب ان يكون ١٩٤٩/٦/٢١ .

ص ٥٧

١ ـ قول المترجم ان رفض اسرائيل لقرارات الجمعية العمومية ومجلس الأمن « كان مفجعا للأمم المتحدة » سوء فهم للاصل الذي يصف الرفض بأنه « محزن » اجمالا ، لان السند القانوني الوحيد لوجود اسرائيل هو قرار من الامم المتحدة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢ ـ قول المترجم « آنذاك » خطأ وصوابه « بعدئذ » .

٣ ـ اضاف المترجم من عنده كلمة « العظمى » دون سبب . في سنة ١٩٤٨ كان سكان فلسطين : ثلثين من العرب وثلثا من اليهود .

ص ٥٨

١ ـ الفقرة الأولى ترجمة مختصرة لا تمثل الاصل .

٢ ـ أضاف المترجم من عنده كلمة « خاطف » وهي ليست بالأصل .

٣ ـ حذف المترجم كلمة « الاسرائيلية » بالنسبة الى سجلات حرب سنة ١٩٦٧ ، فاختل بذلك المعنى .

ص ٦٠

١ ــ قــول المترجم « الاعراف الدوليــة » ترجمة غريبــة وخاطئة للاصـــل Rules of International Law ومعناه « قواعد القانــون الدولــي » .

٢ ــ قول المترجم ان حي المغاربة « مجاور للجانب الغربي من المسجد الأقصى » يخالف الاصل ، فالحي مجاور للحائط الغربي للحرم الشريـــف .

ص ٦١

١ ــ قول المترجم « كان ابو مدين يتوقع مثل هذا » خطــأ ، فالاصل والقرينة يستدعيان ان يقول « وكأن ابا مدين كان يتوقع . . . » .

٢ ــ اخطأ المترجم معنى كلمة Calamity فهو « الكارثة » وليس « الســلــوك » !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ص ٦٢

١ ــ من اغرب الاغلاط على هذه الصفحة وعلى صفحات اخرى استعمال كلمة « الممارسات » بدلا من الاغتصاب (Usurpation) او بــدلا من الاستملاك (Expropriation)

٢ ــ ولا يوجد حي للسريان في القدس كما زعــم المترجم ، بل لهم كما يبين النص الانكليزي « ديــر » فيها .

٣ ــ قول المترجم « مبدأ عدم اقــرار الاستيلاء على المناطق بالحرب » يشــوه معنى قرار الامم المتحدة الذي حرم الاستيلاء على الارض بالقوة العسكرية . وترجمة كلمــة Territory بكلمة « مناطق » غير واف وغامض .

ص ٦٦

الترجمة على هذه الصفحة غير دقيقة وبعض عباراتها غريبة . وكلمة « المعالم » ترجمة لكلمة (Status) خطأ ، وصوابه الوضع القانوني

ص ٦٨

١ ــ اضاف المترجم من عنده كلمة « عنيفة » وهي ليست بالأصل .

٢ ــ ترجمة "Publicutipities" بكلمة « التسهيلات » خطأ، فهذه معناها الخدمات (البلدية) من توريد الماء والكهرباء وغير ذلك .

ص ٦٩

الترجمة خطأ ولا توضح ما حدث لمساكن ابي السعود والزاوية الفخرية .

ص ٧١

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١ ــ فقرة كاملة محذوفة او ممسوخة وجملة مضافة ليست بالاصل .

٢ ــ ترجمة كلمة "Tunnel" بكلمة « ممر » خطأ، وصوابها نفق او قبو .

ص ٧٢

١ ــ من أين جاء المترجم بقوله « القبور الاسلامية » ؟ فلا وجود لها بالأصل .

٢ ــ قوله « قرارات الاستيلاء » خطأ والواجب ان يقول « النهب » = Loot

٣ ــ حَوَّل المترجم المؤنث الى مذكر ! وذلك عند الاشارة الى عالمة الآثار البريطانية (كاثلين كنيون) التي يعرفها أهل القدس . وحذف ما قيل عن معاضدتها لقضية العرب ضد الحفريات الاسرائيلية .

ص ٧٣

١ ــ حَوَّلَ المترجم « بلدية القدس الاسرائيلية » في الاصل الى « البلديات الاسرائيليـــة » !

٢ ــ لا يفهم القارىء قول المترجم « الكتاب المذكور » فقد حذف المترجم ذكر ذلك الكتاب مـــن الاصل .

٣ ــ حَوَّل المترجم مساحات الأحياء من الفدان الى الدنم، فأوقع نفسه في الخطأ ؛ فمساحة الحي الارمني ٢٦ فدانا، وهذه تعادل ١٠٤ دنمات فجعلها المترجـم ٩٢ .

ص ٧٤

قول المترجم « وهذا يعني ان الحي اليهودي يشمل الحائط الغربي »، يخالف الاصل الذي يبين أن ما اغتصبته اسرائيل جعل الحي اليهودي يمتد شرقا حتـــى الحائط الغربي للحرم الشريف .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ص ٧٥

١ ــ اساء المترجم فهم السؤال وهو: « ايجوز لاهل دين تغيير اسم مكان مقدس عند اهل دين آخر؟ » (وهذا بالاشارة الى تسمية الحرم الشريف بجبل الهيكل (Temple Mount) عند الاسرائيليين) .

٢ ــ لهذا فقول المترجم « جبل المعبد » خطأ ، والواجب أن يكون « جبـــل الهيكـــل » .

الفصل الخامس

ص ٧٧

عندما احتـــل الصليبيون القدس سنة ١٠٩٩ م وضعوا اليهود في كنيسهم واحرقوه عليهم . وفي الترجمة « قضوا نهائيا وبالتصفية الجسدية على الطائفة اليهودية » . وهذا تعبير غريب فضلا عن غموضه .

ص ٧٨

وهنا غلط تاريخي شنيع ! يقول المترجم ان المسلمين سمحوا لليهود « التعبد في الهيكل » ، هذا الذي دمره الرومان قبل الفتح الاسلامي بخمسة قرون، والذي سُمح به هو الصلاة عند حائط يعتبره اليهود بقية (Relic) مـــن الهيكـــل .

ص ٨٠ — ٨١

خلط المترجم في المتن وفي الهوامش بين المرحوم عارف العارف والسيد روحي الخطيب ، فجعل الثاني لا الاول مؤلف تاريخ القدس .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ص ٨١ — ٨٢

رجوت المترجم ان يأخذ كلام الدكتور اسحٰق موسى الحسيني من كتابه « عروبة بيت المقدس » وان لا يترجم ترجمتي . فلـــم يقبل الاقتراح، وترجم الترجمة، ووضعها بعد علامة اقتباس كأنها الأصل !

ص ٨٣

١ — الكتب الجغرافية المذكورة تتعلق بالقدس لا « بالمنطقة » كما يقول المترجـــم .

٢ — حذف المترجم من الأصل هذه الجملة « الى الجنوب من طريق ممتد من الغرب الـــى الشرق » (اي من باب الخليل الى باب السلسلة) فسبب ذلك غموضا في مواقع الاحياء من حي الارمن الى حي المغاربة

٣ ــ اخطأ المترجم ترجمة كلمة "Buildings" فمعناها « مبانٍ » وليس « مرافــق » كما يقول .

٤ ــ واخطأ أيضا ترجمة كلمة Compound، فمعناها « حظيرة » وليس « حــي » كما يقول .

٥ ــ واشنع اغلاط الترجمة هي جعــل مدرسة دينية (Seminary) مقبرة ! وهو ظن من المترجم انها Cemetery

ص ٨٥

اضاف المترجم جملة عن المعراج قتلت المعنى ، فأصبح معنى كلامه ان رسول الله عرج الى السماء من موقع « حوش البراق » مــع ان العروج كان من فوق الصخرة المشرفة،كما هو واضح في الاصل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ص ٨٦

١ ــ حذف المترجم من الاصل هذه العبارة المهمة : « دون وثائق رسمية تثبــت الملكيــة » .

٢ ــ واخطأ بقوله ان السفير البريطاني حضر في سنة ١٨٥٥ تدشين الكنيس ؛ فالذي حضر هو القنصل في القــدس (والسفير كان في استانبــــول) .

ص ٨٨

١ ــ حذف المترجم وصف ازقة الحي اليهودي،وانها لم تكن كشوارع المدينة مرصوفــة بالحجارة .

٢ ــ وحذف كلمة « حــي » قبل « باب الواد » فاختل المعنى .

ص ٨٩

١ ــ اضاف المترجم من عنده ان الماشي في حي اليهود كان « يجازف بالسير بين بيــوت هاوية » .

٢ ــ واخطأ فهم معنى "Relieved" الذي يجب ان يكون في الجملة هكذا : خَفَّفَ مظهر الكنيسين بقبتيهما اثر مــا حولهما من الفقر والقذارة . فالفقر والقذارة لا يتعلقان بالكنيسين كما توهم المترجم .

٣ ــ وقوله عن الكنيسين « لــم تكن لهما اهمية تذكر » لا وجــود لها فــي الاصــل .

ص ٩٠

قول المترجم ان القاضي « ابــرز » وثيقة مخالفة للأصل ، فالوثيقة هي سجل المحكمة الشرعية الذي يبين ان مقبرة اليهود على سفح جبل الزيتون وقف اسلامي ولــم يبرز القاضي ذلك .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ص ٩١ ــ ٩٢

على هاتين الصفحتين غلطــان شنيعان مُضِرّان باسم العــرب بشأن حــرب ١٩٤٨ :

١ ــ حتى الاسرائيليون لم يتهموا العرب انهم اتخذوا الكنيس الكبير في حي اليهود حصنا ، فاليهود هم الذين فعلوا ذلك (ذكر هذا تحت ص ٥٣ اعــلاه) .

٢ ــ لم يصل الجيش الاسرائيلي الى « جسر » على طريق القدس ــ اريحا . بل كانت مدافعه تقصف الطريق من مرتفعات (تل بيوت)

فتقع بعض القنابل على المقبرة اليهودية على سفـــح جبل الزيتون وتتلف بعض القبور .

ص ٩٣

يقول المترجم عـــن المصمودي إنـــه « مؤسس أحـــد أمكنة الوقف الاسلامي »، والواجب أن يقول بحسب نص الاصل إن المصمودي هـــو « مؤسس احد الاوقاف المغتصبة في حي المغاربة » .

الفصل السادس

ص ٩٤ ــ ٩٥

لغة الترجمة مضطربة وفيها اضافة ليست موجودة بالاصل، كقوله « لانه مرفوض أساسا » ، وحذفت كلمـــة « الرسمية » فاختل المعنى .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ص ٩٦

حذف المترجم من الاصل « الاعتقاد بصدق النبوة » الخاص بعودة اليهود الى فلسطين ، واحد الاسباب للمبالغة في عددهم في القـــدس .

ص ٩٧

١ ــ كلمـــة Disabilities لا تترجم بكلمة « اضطهـــاد » ومعناها الدقيق « التضييـــق القانوني » .

٢ ــ حذف المترجم من الاصل كلمة « المهاجرين » وصفا لليهود الذين اقاموا بضواحي القدس ، فاختل المعنى وضعفت الحجة .

٣ ــ قوله « يتمتعون بخدمات بلدية » خطأ وصوابـــه « بحقوق بلدية » .

٤ ــ اخطأ المترجم في التمييز بين هجرة اليهود من فلسطين الى خارجها (Emigration) وهجرتهم من الخارج اليها (Immigration) وهذا الخطأ اضاع المعنى وافسد الحجة .

ص ٩٨

١ ــ اخطأ المترجم فهم كلمة Contemporaneous بقوله « متأثرة »، فمعناها معاصرة او واقعة في وقت واحد .

٢ ــ حذف المترجم « شهر نوفمبر » من التاريخ (سنة ١٩١٨) .

٣ ــ وقوله « واردة » خطأ، والواجب ان تكون « ممكنة » .

٤ ــ قول المترجم ان السكان صُنِّفوا « بحسب العنصر والدين » خطأ ، فالعنصر والدين شيئان مختلفان. والتصنيف كان فعلا بحسب الدين فقط، كما هو واضح للمدقق في الاصل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ص ٩٩

حذف المترجم من الاصل « سكان مدينة القدس القديمة من اليهود »، عند ذكر احصاء سنة ١٩٣١ ، فأضاع بذلك المعنى، وافسد البرهان على انهم لم يكونوا اكثرية فيها حينئذ .

ص ١٠١

١ ــ قول المترجم « المزايا المتحجّرة التي تتميز بها اسرائيل » كلام غريب لغويا، ولا ينطبق على الاصل الذي معناه : « ان قسوة اسرائيل المعروفة . . . » .

٢ ــ حذف المترجم كلمة التعصب (Fanaticism) التي وصفنا بهـا سلوك اسرائيل في النص الانكليزي .

٣ ــ وحذف ايضا من النص الانكليزي قولنا « لم تعد القدس مدينـة مفتوحة بأماكنها المقدسة . . . » .

ص ١٠٢

١ ــ لـم يلتزم المترجم الاصـل الذي ينذر بتعريض المسجد الاقصى وكنيسة القيامة للخطر في حالة حرب .

٢ ــ حذف المترجم من الاصل « الأرض المقدسة بجوار المسجد الأقصى »، وتفضيل كل شبر فيها على كل رمال صحراء سيناء .

الخلاصـــة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بعد اكمال مقابلة الترجمة مع الاصل الانكليزي ، وكتابة اكثر الاخطاء والنقائص افسادا للمعنى وضررا بالمصلحة ، تذكرت قـول المترجم انه عرض الترجمة على وكيل الوزارة،وراجعها مع مختص باللغة الانكليزية، وانه سيراجعها مع مختص بالتاريخ ؛ فسألت نفسي:اين اثر ذلك؟وكيف جازت هذه الاخطاء الكثيرة على هؤلاء كما جازت على المترجم ؟ والنتيجة التي انتهيت اليها ان الترجمة لا تصلح للتداول،ورأيي سحب جميع النسخ التي طبعت،واصدار طبعة اخرى صحيحة اللغة والمعنى والمتن .

في أول رمضان ١٤٠١

د. عبد اللطيف الطيباوي

[يؤسف المجمع أن يعلن أن الدكتور عبد اللطيف الطيباوي قد انتقل الى رحمة الله ، بعد أن وافى المجمع بهذه التعليقات . رحمه الله رحمة واسعة].

المحـرر